زكيّة السّائح دحماني

الأسمائيّة في اللّسانيّات الحديثة
بين النّظريّة والتّطبيق



كلّية الآداب والفنون والإنسانيّات بمنوبة

2014

زكيّة السّائح دحماني

الأسمائيّة
في اللّسانيات الحديثة
بين النّظريّة والتّطبيق

كلّية الآداب والفنون والإنسانيات بمنّوبة

2014

شكـــر

أتوجّه بجزيل الشّكر والامتنان إلى زميلي وأخي الأستاذ إبراهيم بن مراد الذي شرّفني بالتّقديم للكتاب، بعد أن تفضّل بقراءة العمل كاملا وإبداء ملاحظات قيّمة استفدت منها كثيرا وأصلحت ما أمكن، أمّا ما بقي في حاجة إلى المراجعة والتّدقيق فإنّني أتحمّل وزره وحدي.

ما انفك الأستاذ ابن مراد يشجّعني على البحث العلميّ داخل جمعيّة المعجميّة العربيّة بتونس، وفي أنشطة وحدة البحث "مفردات العربيّة بين المعجم والقاموس" بكلّة الآداب والفنون والإنسانيات بمنوّبة. وقد أثمرت مشاركاتي في ندوات الجمعيّة ووحدة البحث عن ولادة هذا العمل الذي هيّأت له بمقالات حول الاسم العلم.

لا يفوتني أن أشكر الأستاذين الشّاذلي الهيشري والمنصف عاشور على ما أمدّاني به من نصائح حول الكتاب. وأخصّ بالشّكر الأستاذ الصّديق، رئيس جامعة منّوبة حاليّا، شكري المبخوت الذي شجعني ويسّر لي تقديم عملي للجنة القراءة والنّشرعندما كان عميدا للكلّيّة.

إهــــداء

إلى تونس الخضراء : حبّا لا ينضب.

إلى روح أبي الطّاهرة : اعترافا بالجميل.

إلى زوجي، رفيق دربي : صداقة دائمة.

إلى بناتي رنا، سناء، يسر : فخرا واعتزازا.

إلى صغيرتي لينة وكلّ عائلتي.

أهدي هذا الكتاب.

تقــديــم

إبراهيم بن مراد

"الأسمائية" (onomastique) مبحث لغويٌّ معجميٌّ قديم قد عني به العربُ في ما ألّفوه من "مَعَاجم" – أي قواميسَ – في أسماء أعلام الأشخاص، مثل كتبهم في طبقات الرجال، وأسماء أعلام الأمَاكن ومنها كتبهم في أسماء الأمَاكن والمواضع، ومن كتبهم تلك ما عُنوا فيه بدلالاتِ الأسْماء مثل "كتاب الاشتقاق" لابي بكر بن دريد (ت. 321 هـ/933 م) وهو في اشتقاق أسْماء الأشخاص ومعانيها وفي أسْبابِ التسْمية، و"معجم ما استعجم من أسْماء البلاد والمواضع" لأبي عبيد البكري (ت. 487 هـ / 1094م)، وهو كما يدلّ عليه عنوانُه في تفسيرِ ما أشْكل من أسماء الأماكن، وقد خَصَّ بالتعريف الأماكنَ الواردة في الشّعر الجاهليّ وفي الحديث النبوي؛ ومنها ما عُنُوا فيه بالترجمة لأعلام العلماء والأدباء ومثاله "معجم الأدَباء" لياقوت الحموي (ت. 626 هـ/1229 م)، أو عنوا فيه بالتعريف الجغرافي بأسماء الأماكن ومثاله "معجم البلدان" لياقوت الحموي أيضا. ولكنّ اهتمامَ اللغويّين العربِ بالأسماء الأعْلام لم يتجاوزْ نطاق التأليف القاموسِي ، مثلُه مثلُ اهتمامهم بألفاظ اللغة العامّة التي عنوا بتدوينها في قواميسَ لغويَّة لكنهم – بعد الخليل بن أحمد (ت. 175 هـ / 791 م) في "كتاب العين" – لم يُعْنَوْا بها من حيث هي وحداتٌ معجمية ذاتُ مكوناتٍ وخصائصَ، وذات قابلية لأن تُعَالج قاموسيا مثلما تعالج الوحداتُ المعجمية العامّة – وهي الألفاظُ – والوحداتُ المعجميّة المخصَّصَةُ، وهي المصطلحاتُ.

وقد تطورَ هذا المبحثُ في العصرِ الحديث فأصبح مبْحثًا لسَانيًا مُعْجميًا، ذا منزلة مهمّة في الدراسات المعجميّة الحديثة بما له من أسُسٍ نظريـــة يقوم عليها. ويمكنُ اعتبارُ ظهوره نتيجةً لما يثيره "الاسمُ العلم" (le nom propre) من الإشْكالات النظريّة التي بدأ الفلاسِفة يُعنَوْنَ بها في الدراسَات المنطقية خاصَّةً، منذُ أواخر القرن التاسع عشر، وخاصة في حديثهم عن "الوظيفة الدلاليّة" للاسْم العلَم : هل تَقْتَصِرُ وظيفتُه على تَعيين الشخصِ الذي يُطلقُ عليه أو الإشارةِ إليه فيكون ذا دلالة ذاتيّة (dénotation) محضٍ ولا يكون له بذلك "مَغْزًى مُعْجمِي" (signification lexicale) معيّن، أم إنّ بإمكانِه مثلَ الاسْمِ العامّ أن يكون ذا دلالةٍ إيحائية (connotation) فيدلَّ على خصائص الشّخص المسمّى ويكتسبَ بذلك مَغزًى معجميًا معيَّنا ؟ بعبارة أخرى هل يُعتبرُ الاسمُ العلم "وحْدة معجميّة" عاديّة تعالج معالجة لسانية أم هو وحدة لسانيّة في جوهرها لكنها ذاتُ طبيعة خاصة تخرجُها من اللغة العامّة وتدْرجها في "لغة الاختصاص" التي تهمّ المناطقة قبلَ أن تهمّ اللسَانيّين ؟

وقد حُلَّ الإشكالُ معجميًّا في اللسانياتِ الغربيّة الحديثة وخُصّ الموضوعُ ببحوثٍ نظريَّة كثيرة وأُلِّفتْ فيه الكتبُ وكتبتْ فيه الرّسائلُ الجامعيّةُ ونُظِّمتْ من أجْله النَّدواتُ العلميّة وتوسّعت مجالاتُ البحث فيه فكانَ منها الصرفيُّ الذي يعْنى بمسألةِ الاشتقاق وكان منها الدلاليُّ الذي يُعْنى بقضايا التّسْميَة (dénomination) والتعْيين (désignation) والإحَالة (référence) والتّحول (transformation) من العَلَميَّة إلى التّعْميم أو من التَّعميم إلى العَلَميّة. وأما الأدبيّات اللّسَانيّة العربيّة فإنها ما زالتْ لم تَعرفْ إلى هذا المبحث سبيلاً لأن اهتمامَ العرب المحدثين به لم يتجَاوزْ مُقارباتِ القدماء له، وهي إما مقارباتٌ قاموسيّةٌ تتجسّمُ في تأليفِ القواميس الأسمائيّة (لأعلام الأشْخاص وأعْلام الأماكن) وإمّا مقارباتٌ نحويّة تتجسَّم في دراسة الاسْم العلَم باعتباره بابًا من أبوابِ النحو ونَوعًا من أنواع المعَارفِ فيه.

ومن هنا تأتي قيمةُ هذا العملِ الذي أنجزتْه زكية السّائح دحماني، فهو – حسب علمنا – أولُ عملٍ لسَانيّ في منهجه وفي مقاربته وفي غاياتِه يُخصصُ في اللغة العربيّة لموضوع الأسْمائيّة من حيثُ هي مبحث لسانيٌّ مُعجميٌّ. وقد قسّمت الباحثه عملَها إلى بابيْن، أولهما "في الأسمائية اللسَانية"، وقد حاولَت في الفصول الخمْسة المكوّنة له استيفاءَ القولِ في أهمِّ القضايا النظريّة المتعلّقة بالاسْم العلَم في الدّراسة اللسانيّة الحديثَة، باعتباره الأسَّ المعجميَّ الذي يرتكزُ عليه مبحثُ الأسمائية في اللسانيّات الحديثة؛ ومن تلك القضايَا ما سمّتْه "الأسمائية المجازيّة" التي تقوم على تحوّل الاسْم العلَم تحوُّلاً مجازيّا؛ وقد بحثتْ في الظاهرة باعتبارها ظاهرةً معجميّة وخاصة في علاقتها بالدّلالة وبالتوْليد المعجميّ، وبتحويل الاسمِ العلَم في الاستعمال إلى اسْم عامّ أو تحويلِ الاسْم العامّ إلى العلَميّة ؛ ومنها قضيةُ التحوّل والثّبات في الاسْم العلم وعلاقتها بمسائل التعْيين والإحالة والمرجِع ودورِ الاستعمال في التحْويل، ومنها التّحَجّرُ في الدلالة. وقد ختمت هذا البابَ الأوّلَ بفصل حولَ "الاسم العلَم بين المعجَم والقاموس" اهتمّتْ فيه خاصّةً بالمعَالجة القاموسيّة للاسْم العلم وتوقّفتْ عند ما يمكن تسميتُه "القاموسيّة الأسمائية" ، وقد حاولتْ ، انطلاقا من بعض الأمثلة من "الأسماء المحوّلة"، مثل "أدُونيس" – وهو في الأصْل اسمٌ ميثولوجيٌّ يونانيٌّ ذو أصل فينيقيٌّ – أن ترسُمَ منهَجًا للتأليفِ القامُوسيّ في الأسمائية لم تَعتمدْ فيه المنهجَ التقليديّ الذي اعتمدَه مؤلفُو القواميس الأسمائية العربيّة – الأعْلامية (anthroponymiques) ممثلةً في كتبِ الطبقاتِ وتراجمِ أعلام الأشخاص عامّةً، والمواقعيّة (toponymiques) ممثلةً في القواميس البُلدانيّة – في تأليفِ قواميسِهم، بل اعتمدتْ مقاربةً منهجيّةً حديثةً في المعالجة القاموسية (traitement dictionnairique) للأسماء الأعلام قد استمدّتْ عناصرَها من القاموسيّة الحديثة .

وأما البابُ الثاني بفصوله الأربعةِ فقد خُصّصَ لدلالة الأسمائية الأدبيّة؛ ومنطلقُ الباحثة النظريُّ في هذا البابِ هو أنّ الأسمائية اللسانية

هي الجانبُ النظري للأسمائية الأدبيّة التي تمثّل أحدَ جوانب التطبيق. فالبحثُ في الأسمائية الأدبية هو إذنْ في جوهره بحثٌ تطبيقيٌّ لما تُنْهي إليه المقارباتُ النظريّة في الأسمائية اللسّانية. وقد اعتمدت المؤلِّفَةُ في هذا التطبيق جملةً من النّصوص الأدبيّة الروائيَّةِ لكنّها ركّزت العمل على أحَدِها أكثرَ من غيره وهو رواية "موْسِم الهجْرة إلى الشّمال" للرّوائي السّوداني الطيب صالح. لكنّ هذا البابَ لم يكنْ تطبيقًا كلّهُ لأن منْ أهمّ النتائج النظريَّةِ التي انتهَت إليها الباحثــةُ فيه هي أن الاسْم العلــم الأدبيّ – وخاصة في الأعمَال السَّرديّة – اسمٌ ذو دلالةٍ وليس هو مجردَ علامَةٍ تُستَعمَل لتعيين شخْصٍ ما . فإن الاسْم العلَم الأدبيّ لا يُختَار اعتبَاطا، بل تكون للخَصائص التي يريدُ مؤلّفُ النّصّ القصصيّ مثلاً وصفَها أو استغلالها في الشّخصية القصصيّة دورٌ في إسْنادِ الاسم إليها. وهذا في الحقيقة لا ينطبِق على الاسْم العلم الأدبيّ فحسب بل ينطبقُ على الاسْم العلَم في الحياة العامّة، فإنّ الأسماءَ التي يحمِلها الأشْخاصُ الذين نعرفُهم أسماءٌ دالّةٌ عليهم، إذْ ما أنْ نذكرَ أحدَها حتى تنطبعَ صورةُ الشّخصِ الذي يحمله في الذّهن بالخصائص التي يحملُها والتي يختلِف بها عن غيرِه من الأشْخَاص. وهذا كلّه دالٌّ على أنّ الاسْمِ العلَم حاملٌ لمغزًى معْجَميّ (signification lexicale) ما، بل هو حاملٌ لدلالةٍ إيحائية (connotation) وليسَ لمجردِ دلالة ذاتيّة (dénotation).

لقد عُنِيَتْ زكية السائح دحماني في كتابها هذا بمبْحثٍ لسانيٍّ مستَحْدَثٍ ليس في الدرسِ اللغوي العربي فحسب بل في الدرس اللساني المعجميّ في العالم ؛ ولم تكن غايتُها من البحث فيه والدراسة له أن تُعمّق النظرَ في ما انتهى إليه الغربيّون من النتائج فتزيدَها توسيعًا وتعميقًا بقدر ما كانت غايتُها الأساسيةُ أن تطبّق هذا المبحثَ اللسانيّ الجديدَ على اللغة العربية فتفيدَ منه ويَثْرَى به الدرسُ المعْجميُّ – بشقيه المعجميّ النظريّ والقاموسِيّ – العربيّ الحديث. ويمكن القولُ إن لزكية السائح دحماني الفضلَ في فتح بابِ البحث في اللغة العربيّة في هذا المبحث الجديد. وليس

بحثُها فيه بحثَ المقلّدَة النّاقلة الجمّاعة للأفكار العَارِضَة لها دون نقد وتمحِيص، بل هو بحثُ الدّارسةِ النّاقدةِ العليمَةِ بمختلفِ المقارباتِ النظريّة التي تناولت الموضُوع، ذاتِ الدّراية المعمّقة بتلك المقارباتِ والاطلاعِ الواسِع على ما كُتِبَ فيها.

إن عملَ زكيّة السائح دحماني في هذا الكتاب هو عملُ المجتهِدة المحاوِلَة أن تأتيَ بالجديد فتفتحَ لها بابًا من الاختصاصِ في الدراسَات المعْجميّة جديدا، فكان لها ما أرادَتْ.

إبراهيم بن مراد
أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب
والفنون والإنسانيات
جامعة منوبة – تونس

قائمة المختصرات المستعملة في الكتاب

أ – بالعربية :

أ : أداة

ا.ع : اسم علم

ا.ج : اسم جنس

أ+ا.ع : أداة + اسم علم

م1 : مثل 1

م2 : مثل 2

ب – بالفرنسية :

dét : déterminant

NC : nom commun

NP : nom propre

X1 : comme 1

X2 : comme 2

exp. : expanssion

PR 2 : Petit Robert des Noms Propres.

PR1 : Petit Robert de la langue Française

P.L.I : Petit Larousse Illustré

J.D.L : Jean Damien Lesay

M.J : Maillet Jean

المقدمـــة

موضوع هذا البحث الاسم العلم من منظور الأسمائيّة اللسانية والأسمائيّة الأدبيّة، وعنوانه : الأسمائيّة في اللّسانيّات الحديثة بين النّظرية والتّطبيـــق. وهو مبحث جديد في اللسانيات خـــاصّ بالاسم العلــم ثابتا ومتحوّلا، ينظر في أحكامه الصّرفيّة وفي ما يلحق به من تغييرات سياقية تكسبه شحنات دلاليّة كان خاليا منها خارج النّص. وقد لفتت انتباهنا إليه أطروحة جورج كليبير(G. Kleiber ;1981) حول الموضوع بعنوان"قضايا الإحالة : أوصاف معرفة وأسماء أعلام"(*Problèmes de référence : descriptions définies et noms propres*) فعزمنا على البحث فيه، ولكنّنا تأخّرنا بعض الوقت لندرة المراجع حول المسألة بمكتباتنا الجامعية والوطنية. وقد مكّنتني لاحقا وحدة البحث "مفردات العربية بين المعجم والقاموس" بكلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة من الالتحاق بجامعات باريس حيث اطّلعت على النّزر القليل من الكتابات الكثيرة حول الأسمائيّة وما تعالجه من قضايا الاسم العلم معالجة معجميّة.

اشتغل بموضوع تحوّل الاسم العلم وثباته، تحوّلا مُمَعْجما أوسياقيّا، لسانيون أسمائيون عديدون. فبدأ البحث جورج كليبير بأطروحة لدكتورا الدولة (1981) التي مثّلت فتحا جديدا في لسانيات الاسم العلم. وواصل بعدها العمل مع مجموعة من اللسانيين كوّنوا مدرسة أسمائيّة فرنسية، ودرسوا الاسم العلم لذاته أي كظاهرة لسانيّة لها خصوصياتها داخل النّص وخارجه. فكانت المقاربات ثريّة إلى أبعد حدود الثّراء، نذكر من بين هؤلاء الأسمائيين - إضافة إلى جورج كليبيرGeorges Kleiber – ليبيون

نوايلي E.Le Bihan Noailly – وكريستين جوناسون K. Jonasson – وغـــاري بريور Gary-Prieur– وم.ولمت M. Wilmet – وسارة لوروي S. Leroy...

ولم يستوف الأسمائيون المسألة حظّها من البحث والتّمحيص، فمازالت النّدوات تعقد، وتصدر الأعداد الخاصة من الدّوريات اللسانيّة حول الاسم العلم (انظر مثلا – *Langue Française* n°146 : 2005 *Lexique* n°15 : *2000* - *Cahiers de Sociolinguistique* n°11 : 2006)، وتؤلّف كتب عديدة نذكر منها مؤلّفا ضخما شاملا لكل قضايا الاسم العلم للّساني ج.ل. فكسلير.(J.L.Vaxelaire) بعنوان الأسماء الأعلام : تحليل معجميّ وتاريخيّ *Les noms propres. Une analyse lexicologique et historique* (2005 : 952 ص).

والأسمائية فرع من فروع المعجميّة؛ نقل المصطلح إلى العربيّة إبراهيم بن مراد (1993–1994 : 6) عن المصطلح الفرنسي onomastique، وهي تهتم بدراسة الاسم العَلم لغويا في ثباته وتحوّله. وتتفرّع عنها علوم جزئية تُعنى بالاسم العَلم أدبيّا ولسانيّا، من ذلك الأسمائيّة المجازية أو الاستبدال العلمي الاستدلالي المعجم الذي ترجمنا به مصطلح l'antonomase، وهو يُعنى بالتّحوّل المجازي للأسماء الأعـــلام عن طريق المجاز المرسل والاستعارة مثل "إنّه يعزف موزار" : il joue du Mozart ، أي إنّه يعزف قطعة موسيقيّة للموسيقي موزار أو عن طريق المعجمة مثل poubelle (الحاوية)؛ ومنها الأعلامية (ابن مراد، نفسه) l'anthroponymie وهي دراسة أسماء الأشخاص؛ والمواقعيّة (ابن مراد : نفسه) la toponymie وهي اختصاص متّصل بعِلْم الجغرافيا، يدرس أسماء الأمكنة من بلدان وجبال وأودية وبحار، وتتفرّع عنها اختصاصات أسمائيّة مواقعيّة toponomastique مثل l'hydronymie التي نقلناها بمصطلح "المائيّة"، وهي تُعنى بدراسة أسماء مجاري المياه والبحيرات والشّلالات والبحار والعيون. ومن فروع علم المواقعيّة،

الأسمائيّةُ التّأصيليّةُ l'éthnonymie أو le gentilé، وهي دراسة أسماء الشّعوب والانتساب إلى البلدان مثل تونسيّ نسبة إلى تونس وأندونيسي نسبة إلى أندونيسيا. أمّا مصطلح المسمّياتيّة فقد ترجمنا به الأسماء المنسوبة إلى الأعلام أي l'éponymie كالإسكندرية (332 ق.م) نسبة إلى الإسكندر الأكبر(356 ق.م-323 ق.م)، والمهدية نسبة إلى عبيد الله المهدي (909-934 م)، وواشنطن (1791م) نسبة إلى جورج واشنطن (1857-1913)، وابن قيس الرّقيّات (ت.75هـ /694م) الذي شبّب بمجموعة من النّساء يشتركن في اسم رقيّة، فكنيّ بهنّ، وفورد وهو اسم نوع من السّيّارات نسبة إلى هنري فورد (1863-1947). وقابلنا بالأسمائية التّوليديّة مصطلح la déonomastique، وهو توليد لغوي من أصل أعلاميّ، تتولّد عنه مشتقّات اسميّة وفعلية، وتتكوّن منه وحدات معجميّة عامّة بسيطة مثل السّاميّة le sémitisme من سام بن نوح، أو وحدات مركبّة أو وحدات معقّدة كالمتلازمات اللفظية المتكلّسة والمكوّنة لوحدة معجميّة عباريّة مثل "وافق شن طبقة" أو "كلّ الطرق تؤدي إلى روما".

إنّ اهتمامنا بالمفردة في سياقها المعجمي من حيث تكوّنها كوحدة معجمية بطرق صرفية وأخرى دلالية، جعلنا ننتبه إلى طريقة في التّوليد مغمورة وليس لها قوّة الطّرق المعجميّة النّظاميّة المعهودة في إثراء الرصيد وتجديده، كالتّوليد الصّوتي والتّوليد الصّرفي والتّوليد الدّلالي والاقتراض. هذه الظّاهرة يمثّلها الاسم العلم الذي أولته الأسمائيّة القيمة التي يستحقّها، بعد أنْ كان موضوعا من مواضيع العلوم الإنسانيّة الأخرى كالمنطق وعلم الاجتماع وعلم النّفس، توظّفه لقضاياها الخاصّة بها وليس لذاتها كمقولة لغويّة فاعلة؛ فارتقت الأسمائيّة به إلى مستوى الاستحداث خاصّة في الدراسات المعجميّة الغربيّة. فبعد أنْ نفت الأنحاء القديمة عن الاسم العلم الدّلالة والإيحاء والاشتقاق، وأخرجته من القواميس العامّة،

أعادت إليه اللسانيات الاعتبار واهتمّت به لغويا ممّا مثّل تحوّلا كبيرا في دراسة الاسم العلم، وخلّصه من رواسب الدّرس المنطقيّ والمعياريّ، وبحث في ما يتولّد عن عديد الأمثلة من الأعلام من تحوّل دلاليّ بالاستبدال المجازي، وهو توليد دلاليّ ينقسم إلى صنفين : صنف استدلاليّ ظرفي يولّده السّياق ولا يدخل القاموس، فليس انتقاله إلى وحدات عامّة إلاّ انتقالا حادثا عارضا قائما على المجاز. وصنف ثان استبداليّ ممعجم lexicalisé، يتحوّل أيضا بالمجاز عن طريق الأسمائيّة المجازيّة، ثم يفارق العَلَمية ويستقر في المعجم، فيُعامل معاملة الوحدة العامّة. نجد لظاهرة المعجمة التّامّة أمثلة كثيرة في اللغة الفرنسية منها : الشّطيرة sandwich، قاطَعَ boycotter، ثلاجة frigidaire، عقّم pasteuriser، تعقيم pasteurisation... غير أنّ العلاقة الوصليّة ليست بين شكل اللفظ وما يكتسب من معنى، بل بين المرجع وصفاته. ولذلك لا يقبل هذا الصنف من المفردات المُمَعْجمة العلاقات المعجمية الائتلافيّة والتّقابليّة التي تختصّ بها وحدات المعجم العامّ كأحادية الدّلالة أوتعدّدها، والتّرادف، بينما يقبل الاشتراك اللفظي l'homonymie في الأوضاع التالية :

- متى نقلت الأعلام عن أسماء أجناس (صقر، مهى عقاب...).
- متى اشترك أكثر من شخص في نفس الاسم العلم (زيد1، زيد2).
- متى سُمّي الشخص الواحد بأكثر من اسم. (نور أمل، محمّد علي، شجرة الدّرّ).

وتجمع بين الاسم العلم الذي يصبح عند تحوّله دالاّ وبين صفة من صفات حامل الاسم التي تصبح مدلولا، علاقة تضمّن. فالتّحوّل مقصود ومبرّر، وهو انتقال من التّخصيص إلى التّعميم وانتماء إلى البنية الكبرى للقاموس التي يصبح فيها العلم مدخلا من مداخله، فيعرّف لغويا ويستعمل في مختلف سياقاته ويشتقّ منه. إنّ العَلَم في وضعيته المعجميّة الجديدة لا يعيّن فردا متفرّدا بل يدلّ على مفهوم أو على شيء.

وتمكّن الأسمائية المجازية، التي هي استبدال دلالي، الاسم العلم من دلالة كان يفتقر إليها قبل أن يُمَعْجم ويشتق منه، وقبل أن يكتسب معاني تصريفيّة كمقولات التّعريف والتّنكير والعدد؛ ومعاني اشتقاقية كمقولات الفاعليّة والمفعوليّة والحدث. يهمّنا في هذا المقام أوّلا التّحويل المُمَعْجم الذي يصيّر الاسم العلم، بفضل سمة مميّزة يتّسم بها المرجع، مفردة من مفردات المعجم، وثانيا التّحويل الذي يأتيه من السّياق بظواهر أسلوبيّة متعدّدة أهمّها المجاز.

اهتممنا بالاسم العلم في إطار اشتغالنا بالمفردة، لما يمثّله الاسم من ظاهرة لسانية معجميّة حديثة في دراسة الأعلام المتحوّلة إلى مفردات بوسائل متنوعة : سياقية مقاميّة، وتوليدية معجميّة. وقد بيّن البحث أنّ الأحكام المسلّطة على الاسم العلم ليست قارّة ونهائيّة. فمقولة الاسم تتحوّل في الاتّجاهين تحوّلا بطيئا تدلّ عليه عديد الأمثلة في العربية وغيرها من اللغات. وقد أصبحت الأسماء الأعلام تتحوّل اليوم تحوّلا سريعا في الاستعمال والسّياق. دلّت على هذه الظاهرة عديد الدّراسات لجورج كليبير وغاري بريبور وجوناسون... وهي تتحوّل تحوّلا معجميّا من مقولة إلى مقولة بوتيرة أقلّ سرعة، لكنّها هامّة، تلاحظ في القواميس التّاريخية الخاصّة بمَعْجَمة الاسم العلم التي تتتبّع انتقال العَلَم دلاليّا عبر الزّمن. إلاّ أنّ ظاهرة التّحويل هذه تظلّ ضعيفة جداً في اللغة العربيّة مقارنة بما هي عليه في اللغة الفرنسية.

قسّمنا البحث إلى بابين باتّباع منهج النّظرية والتّطبيق. تناول الباب الأول، الذي عنوانه : "الأسمائيّة اللسانيّة"، قضايا الاسم العلم النّظرية قديما وحديثا. فتوزّع الباب على خمسة فصول : درسنا في الفصل الأوّل تعريف الاسم العلم عند اللّغويين العرب القدامى وعند اللّسانيين الغربيين، ووقفنا في الفصل الثاني عند مفهوم الأسمائية المجازيّة l'antonomase لِمَا تمثّله من أهمية في توليد وحدات معجميّة جديدة من أصل عَلَميّ. جاء

الفصل الثالث مواصلة للحديث عن معان يكتسبها الاسم العلم المتحوّل في السّياق تحوّلا ظرفيا بواسطة محوّرات ومشيرات مقاميّة أو بدونها. ثم كان إثبات تحوّل الاسم العلم وتضمّنه دلالة إيحائيّة ضمنيّة سببا منطقيّا للحديث عن نظريّتين متناقضتين إحداهما تقول بظاهرة "المعيّن المتحجّر" وثانيتهما ترى للاسم العلم معنى يأتيه من حزمة الأوصاف الخاصّة بمرجع معيّن، وهي النّظريّة الوصفيّة. وإذا كنّا قد انطلقنا من اعتبار الاسم العلم ظاهرة لغويّة قبل أن يكون من مشمولات المنطق أو الأنتربولوجيا، فلا بدّ أنْ يكون خاضعا لجهاز نحويّ ومعجميّ. ولأنّ الأسمائية مبحث معجميّ يكسب بعض الأسماء الأعلام المشهورة دلالة إيحائيّة وسياقيّة ويجعلها تتولّد تولّد الاسم العامّ، كان من الطبيعيّ منهجيّا وعمليّا تخصيص فصل للاسم العلم وما يثيره من قضايا معجميّة وقاموسيّة. وهو ما وقفنا عنده في الفصل الخامس والأخير من الباب الأوّل حول الاسم العلم في المعجم والقاموس.

أما عنوان الباب الثاني من هذا العمل فهو : "الأسمائيّة الأدبيّة"، وهي مجال لتطبيق ما توصّلت إليه الأسمائيّة اللسانيّة من نتائج. ليس الغرض من هذا القسم عرضا لمناهج التّحليل الأدبيّ، فلسنا من أهل الاختصاص كي نخوض في هذه المسائل الدّقيقة، وإنّما يبقى هدفنا التّركيز على دور الاسم العلم في النّظام وخاصّة في الإنجاز. فقد سبق أنْ ذكر سيبويه الاسم (علَما وجنسا) قبل بقية أقسام الكلام في قوله : "الكلم اسم وفعل وحرف" (*الكتاب* 1 : 12). إنّ اسم العلم هامّ لما يمثّله من عديد الأنشطة البشريّة كالنّداء والتّعيين والتّخصيص والتّكنية والشّهرة. فلو أنّ البطل لم يعيّن لظلّ نكرة ولما أمكن التّمييز بينه وبين شخصيات ثانويّة وأخرى هامشيّة. ولو أن المؤلّف لم يختر اسما بعينه يحمل في دلالته المعجميّة إيحاء بالشّخصية يساعد على فهم الأحداث لكانت مهمّته حقّا عسيرة. إنّ الغرض من إطلاق الاسم على المسمّى في التأليف الأدبي

تعيينيّ تمييزيّ بالدّرجة الأولى، وإيحائيّ تضمينيّ بالدّرجة الثانية. وهو ما يرفع في أغلب الأحيان، إنْ لم نقل دائما، عن التّسمية في النّص الإبداعيّ سمة الاعتباط. فاختيار أسماء الأعلام مهمّ في الأدب لجمعه بين عدّة وظائف، يجعل العَلَم يكتسب دلالته في النّص القصصي العربي من المعنى الوضعيّ الذي يفهم من الجذر ومن النّمط الصّيغيّ، ومن صفات الشّخصيّة الأخلاقية والخلقيّة، ومن أحداث الرّواية. فالتّحويل الذي يلحق بالاسم العلم يكون تركيبيّا وبلاغيّا ومعجميّا في الأسمائيّة اللسانيّة، وهو إيحائيّ ووصفيّ قيميّ في الأسمائيّة الأدبية، فيوحي لفظ الاسم بما يريده الكاتب من الشخصية من صدق أو كذب، ومن وداعة أو خبث. كما يحلّ الاسم العامّ محلّ الاسم العلم بحلول الصّفات محلّ التّعين، فيسمّى السّجين "كلبا" والسجّان "خنزيرا"، وتتولّد أحيانا عن أعلام النّصوص الأدبية الشّهيرة مفاهيم جديدة تلحق بالرّصيد اللغويّ العامّ بعد أن تُمَعْجم وتصبح من وحدات المعجم ومن مداخل القاموس مثل "بوفاريزم" (bovarysme) من الاسم العلم بوفاري (Bovary) ومعناه في الفرنسيّة الفرار من واقع رديء واللّجوء إلى خيال خرافيّ حالم.

تحدّثنا في الباب الثّاني عن الاسم العلم في النّص الأدبي.وقسّمناه إلى أربعة فصول. وقد تعمّدنا التّشابه بين عناوين البابين، لأنّنا أردنا أن يكون بحثنا ذا منحى لغوي استرسالي. ورغم التّسليم بأنّ الاسم العلم ليس وحدة معجمية صريحة بدالها ومدلولها وبتعريفها ومستواها اللّغوي، فإنه يصبح في الأسمائيّة الأدبية رمزا، وهو يجمع بين التّعيين والإيحاء.

راودتنا، ونحن نبحث، أسئلة كثيرة كانت قد استوقفت الدارسين من لغويين ومناطقة ولسانيين اختلفوا حول بعض المسائل واتّفقوا حول مسائل أخرى وبقيت أسئلة كثيرة عالقة تنتظر جوابا. من هذه الأسئلة نذكر :

- هل للاسم العلم معنى ؟
- هل يمثّل دليلا لغويا ؟

- فيم يختلف عن اسم الجنس ؟

- ما هي مكانته في القاموس العامّ ؟

إنها أسئلة كثيرة محيّرة تطارحتها علوم مختلفة خارج اللسانيات، كالفلسفة والمنطق والأنتروبولوجيا والسيميائية. ولم تهتم اللسانيات بالاسم العلم لذاته ولم تخصّص له مقاربات لسانية إلاّ في مطلع السبعينات من القرن الماضي، وخاصة المقاربة المعجمية التي تعالج مَعْجَمَة الاسم العلم وتحوّله إلى اسم عام وتدخله إلى القاموس، أوالمقاربة النّصية التي تدرس تحوّل الاسم العلم، تركيبيّا وسياقيّا، إلى اسم عامّ لكنه تحوّل آنيّ. وقد فتحت هذه الطريقة المجال أمام دراسات عديدة حول هذا النّوع من التّحويل، فبيّنت ثراء الاسم العلم في النّص ودلالته على عديد المعاني التي يكتسبها من التركيب، فيصبح بذلك نموذجا ومثالا، أو يحمل علاقات المجاز المرسل ويعبّر عن صور الاستعارة. ورغم ما يكتسبه الاسم العلم من دلالات نتيجة هذه الدراسات المعمّقة لوضعه في النّص، فإننا لم نتمكن من تطبيق نفس المنهج على اللغة العربية ولم نعثر على المقابل للتراكيب الفرنسية بسبب اختلاف نظام اللّغتين اختلافا كلّيا، ولأنّ بنية الاسم العربي المعجميّة تعطيه دلالة وضعية لغويّة ليست بنفس القوّة والوضوح في الاسم الفرنسي.

الباب الأوّل
في الأسمائيّة اللسانيّة

الفصل الأول
حـــدّ الاسم العلـــم

1.1 – تعريف الاسم العلم عند النحاة العرب

يعسر التّمييز في العربية بين الاسم العامّ واسم العلم المنقول، لاشتراكهما في نفس الجذر ونفس الوزن ونفس المقولة. ولعلّ هذه الصعوبة في التفريق بينهما خارج السّياق هي التي قد جعلت سيبويه يجمع بينهما في قسم واحد من أقسام الكلام (*الكتاب* 1988 ، 1 : 12)، "فالكلم : اسم، وفعل، وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل". والاسم إذا جاء على وزن من أوزان الأسماء المتّصلة بالأفعال كالصّفة المشبّهة أو اسم الفاعل أو اسم المفعول أو صيغ التّفضيل أو صيغ المبالغة، يفيد ويدلّ على الجنس أو الصّفة ولا يعيّن. وإذا تمحّض إلى العَلَمية مثل منير ومنتصر ومأمون وأكرم وحسّان، فهو يفقد وظيفة الوصف وخاصّية الدلالة معا، فيصبح معيّنا مشيرا غير مفيد دلاليّا.

وقد عرّف سيبويه الاسم العلم بـــ"العلامة اللاّزمة المختصّة [...] نحو زيد وعمرو، وعبد الله وما أشبه ذلك" (*الكتاب* 2 : 5)، لأنّه يقع على فرد "بعينه دون سائر أمّته" (نفسه)، ويوصف بالمعرفة لأنّه اسم (نفسه). وميّزه المبرّد عن غيره من الأسماء بأنّه "اسم خاصّ" و"ألقاب محدثة" تُعلّق على المسمّى (*المقتضب* 3 : 185، 4 : 276). ولم يخالف الزمخشري أسلافه في تعريف الاسم العلم، فهو "ما عُلّق على شيء بعينه غير متناول ما أشبهه ولا يخلو من أنْ يكون اسما كزيد وجعفر أوكنية كأبي عمرو وأم كلثوم أو لقبا كبطّة وقفّة" (*شرح المفصل* 1 : 27)، ممّا

يدلّ على أنّ التّفكير اللّغويّ العربيّ قد أولى مقولة الاسم اهتماما واضحا يتجاوز مجرّد بنيته الصّرفيّة إلى قضايا فلسفيّة ومعجميّة.

1.1.1 – أصناف الاسم العلم

1.1.1.1 – عَلَم الشخص وعَلَم الجنس

عرّف النّحاة العرب الاسم العلم فقارنوه بأصناف الأسماء الأخرى وخاصة باسم الجنس، وقسّموه إلى عَلَم الشخص وعَلَم الجنس (*الكتاب* 2 : 93–94). ويكون علم الشخص اسما لإنسان متحوّلا عن وحدة معجميّة عامّة، دالاّ على الاسم واللقب أو الكنية، منقولا عن اسم جنس مثل صقر ورعد وصخر وشمس وقمر... أو عن فعل كيزيد وأحمد ويشكر ويحمد، أو عن صفة كطاهر وهيفاء وأمين ورانية، أو عن جملة مثل جاء وحده وسرّ من رأى وتأبّط شرّا . أو يكون الاسم العلم الدالّ على الشّخص غير مرتجل وضع ابتداء للدّلالة على العلَمية كعثمان وأيّوب وسليمان ، وجلّها أسماء دينيّة غير عربيّة لأنبياء بني إسرائيل، كانت في بداية وضعها حاملة لدلالة رمزيّة في لغتها الأمّ، فإبراهيم يعني أب الشّعوب، ويعني إسحاق الضّحّاك ، ويعني إسماعيل سميع اللّه.

وعَلَم الشخص يخلو عادة من الألف واللاّم مثل ميّ وشيمان وسلوى وعائشة، أو تلحق به أداة التّعريف العهديّة الذّهنيّة الدّالة على التّخصيص مثل الكعبة، والغار، والسقيفة، والثّريّا، والله، والبيت (الحرام)، والمدينة (المنوّرة). فهي أداة عرفية لازمة تخلّص العلَم من الشّيوع والكثرة والشّمول ليصبح دالاّ على التّفرد والتّعريف وتعيين شيء بعينه متّفق عليه ثقافيا وتاريخيّا وعقائديّا. كما قد يدخل هذا الصّنف من الأسماء في علاقة تخصيص بالإضافة والصّفة مثل أبي الهول وابن قتيبة وشجرة الدّر وسيف الدّولة، ومثل فاطمة الزّهراء والحسن الثّاني وأبي بكر الصّدّيق والإسكندر الأكبر.فيدلّ على واحد من جنسه دلالة مطلقة، ويعيّن ذاته باسم لا يشاركه فيه غيره من المسمّيات.

أما عَلَم الجنس فهو اسم علم من نوع خاص، موضوع للدّلالة على ماهيّة الشيء وليس للتّعيين والإشارة وتخصيص ذات من الذوات كأسامة وأبي الحارث وهو الأسد "الذي كل واحد من أمّته له هذا الاسم" (*الكتاب* 2 : 94). فهو شائع وغير دالّ على واحد بعينه من أمّته بل على الجنس كلّه، فإذا بالأسماء الخاصّة مثل أسامة وأبي الحارث تصبح في هذا الضرب من الأعلام شائعة. وسبب ذلك أنّها "ليست بأشياء ثابتة مقيمة مع النّاس فيحتاجوا إلى أسماء يعرّفون بها بعضا من بعض" (نفسه). إنّ عَلَم الجنس وضع لتحديد الماهيّة وليس للإشارة والتّعيين والمناداة. يقول سيبويه "ليس واحد منها أولى به من الآخر، ويتوهّم به واحد دون آخر اسم غيره، نحو قولك للأسد : أبو الحارث وأسامة، وللثعلب : ثعالة وأبو الحصين وسَمْسَم، وللذئب : دَالانُ وأبوجَعْدة، وللضبع : أم عامر وحضاجِرُ وجَعارِ وجَيْأَل وأم عنثل وقثام، ويقال للضبعان قُثَم. ومن ذلك قولهم للغراب : ابن بريح" (*الكتاب* 2 : 93).

وتختلف أصناف الأعلام باختلاف وظائفها. فمنها ما يعرّف الذّات ومنها ما يعرّف الجنس. وليس الفصل بينها إلاّ فصلا "بين جنس وجنس". يقول المنصف عاشور في التّمييز بين صنفي العَلَم : "العَلَم الشّخصي تعيينيّ دالّ على شخص بعينه ثابت [...] وعلم الجنس تصنيفيّ. وله علاقة مجازيّة بمسمّاه" (عاشور، 1999 : 684). فأعلام الأجناس هي أسماء أجناس تتأرجح بين التّعميم والتّخصيص شكلا لا دلالة، وتتعلّق بأصناف من الحيوانات غير الآهلة، مثل أويس وهو عَلَم جنس للذئب، وأبي براقش كنية طائر ذي ألوان تتغير أثناء النّهار ويضرب به المثل في التلوّن، وابن دأية للغراب. وكلّ هذه الأعلام مبرّرة دلاليّا (الأستراباذي 1998، 3 : 327).

2.1.1.1- عَلَم العيْن وعَلَم المعنى

يذهب ابن جني إلى أنّ أكثر وقوع الأعلام في كلام العرب على الأعيان دون المعاني (ابن جنّي، 1955، 2 : 197). فالاسم العلم يشير إلى

الأعيان لأنها "أظهر للحاسّة، وأبدى إلى المشاهدة، فكانت أشبه بالعَلَمية ممّا لا يرى ولا يشاهد حسّا، وإنّما يعلم تأمّلا واستدلالا وليست كمعلوم الضرورة للمشاهدة". *(ابن جني* : 200). والأعيان هي الأشخاص كزيد وعمرو وفاطمة عبّر عنها ابن جني بالجوهر (نفسه، 3 : 32)، لأنّها وضعت لتكون أعلاما. وأما المعاني فهي اسم لمعنى، من ذلك "سبحان" الدالّ على "معنى البراءة والتنزيه" (نفسه : 197)، وهي عرض كالأسماء الموزونة الواقع عليها الاسم العلم المثال الواوي كموْظَب وموْرَق (نفسه : 33-34)، لا تخرج عن الأنماط الصّيغية العربية، وتخضع لمقاييسها النّحوية من الانصراف وعدم الانصراف، ولكنها أقلّ استعمالا لأنّ العرب كما يقول ابن يعيش : "قد علّقوا الأعلام على المعاني أيضا كما علّقوها على الأعيان إلاّ أنّ تعليقها على المعاني أقلّ وذلك لأنّ الغرض منها التّعريف، والأعيان أقعد في التّعريف من المعاني وذلك لأنّ العيان يتناولها لظهورها له وليس كذلك المعاني لأنّها تثبت بالنّظر والاستدلال، وفرق ما بين علَم الضرورة بالمشاهدة وبين علَم الاستدلال بينّ" *(شرح المفصّل* 1 : 37).

3.1.1.1 - اسم العلم واسم الجنس

لا يعرّف الاسم العلم لذاته بل بمقارنته بصنف من أصناف مقولة الاسم وهو اسم الجنس المتعلّق بذوات كثيرة. فكلّ ذات محمّلة بسمات معجميّة تجعل منها فردا لغويّا يقوم على سمات الائتلاف والاختلاف والمشاركة والتّقابل والشّمول واستغراق الأنواع تُعلّق " على شيء وعلى كلّ ما أشبهه" (نفسه 1 : 25). فاسم الجنس "يعتبر أوّل أصناف الأسماء من حيث كثرته في اللغة ومن حيث تنوّع أدواره التي يؤدّيها معنويّا ونحويّا وتكوينه لقائمة مفتوحة من الصّفات وغير الصّفات" (المنصف عاشور. 1999 : 690)، بينما لا يتجاوز الاسم العلم الدّلالة على الفرد وتعيين حامله واختصار صفات المسمّى وتحديد ذاته والاكتفاء بها، "فيقبل الاستقلال بالوجود ولا يحتاج إلى سياقات تركيبيّة ليدلّ على معناه"

(عاشور 1999 : 690). أما بقيّة الأسماء فتحتاج إلى ما يثبت معناها في التّركيب من خلال العلاقات السّياقية التي تربط بين عناصر الخطاب، ولذلك اعتبره ابن يعيش "الاسم الخاص الذي لا أخصّ منه" *(شرح المفصل،* 1 : 27). وإنّ استعمال صيغة التّفضيل المؤكّدة توكيد نفي، الدالّة على مقولة الكمّ"لا أخص منه" تقطع عنه كل إمكانيّة التّحوّل من العموم إلى الشّمول، وتفصل بينه وبين اسم الجنس. فدور اسم العلم هو التّعيين وتخليص حامله من "الجنس بالاسمية" *(نفسه،* 27 : 1)، "وترك التّطويل بتعداد الصّفات" (نفسه، 1 : 27).

4.1.1.1 – درجات المعارف في النّظام

عرّف الاسم العلم بمقارنته باسم الجنس من حيث الاختصار والشّمول. ويعرّف بمقارنته بالأسماء المعارف التي ينظر في درجة تعريفها ومدى لزومها معنى الإشارة ودورها الرابطي. فقد صنّفها اللّغويون العرب تصنيفات مختلفة، واختلفوا في أعرف المعارف. فأمّا سيبويه فقد رتّبها على النّحو التالي : "المعرفة خمسة أشياء، الأسماء التي هي أعلام خاصة والمضاف إلى معرفة [إذا لم ترد معنى التنوين]، والألف واللام، والأسماء المبهمة، والإضمار" *(الكتاب* 2 : 5). وأمّا الأسترباذي فقد قدّم المضمرات على الأعلام *(شرح الكافية* 1998، 3 : 316). ولأنّ الاسم العلم يحدّد بدلالته الإشارية الملازمة لمسمًّى مخصوص ومرجع بعينه، فقد اعتبر من المعارف الوضعية التّعبيرية القارّة، واعتبرت باقي الأسماء التي تشير إشارة مقاميّة من المعارف الاستعمالية (محمد الشاوش 2001 ، 2 : 1007). يقول التّهانوي في هذا السّياق : "ما سوى العلم معارف استعماليّة لا وضعيّة" *(كشاف* 3 : 998). وربّما يعود استبدال رتبة العلم والضمير العائد عند اللّغويين العرب وتقاربهما في التّصنيف إلى التقاء الضمير مع الاسم العلم في خاصية الدلالة على المعنى الواحد والإحالة على نفس المسمىّ.

5.1.1.1.- أصناف التّسمية

وفي سياق تعريفهم للاسم العلم أثار اللّغويون العرب قضية فلسفية دلاليّة لغويّة حول مكوّنات الاسم العلم، أي التّسمية والمسمّي والمسمّى التي يقابلها الوضع والواضع وهو مطلق الاسم، والموضوع له وهو المسمّى أو المدلول عليه. أما الاسم فهو في نظرهم متضمّن لكل هذه العناصر. فالتّسمية تعيين، وهي تعريف بالفرد عند سيبويه "وسمّيته بفلان، كما تقول : عرّفته بهذه العلامة وأوضحته بها" *(الكتاب* 1 : 38).

ولبيان العلاقة بين الاسم والمسمَّى ورد في نص متميّز للسّهيلي (39 : 1978) تعريفا للمصطلحين جاء فيه : "الاسم الذي هو السّين والميم عبارة عن اللفظ الذي وضع دلالة على المعنى. والمعنى هو الشيء الموجود في العيان إنْ كان من المحسوسات كزيد وعمرو وفي الأذهان إن كان من المعقولات كالعلم والإرادة، فذلك الموجود الذي في العيان أو الموجود الذي في الأذهان وضعت له عبارة في اللسان بها يترجم عنه ويتوصل إلى فهمه والكشف عن حقيقته. فاللفظ المؤلَّف من ألف الوصل والسين والميم عبارة عن اللفظ المؤلَّف من الزاي والياء والدال مثلا. واللفظ المؤلَّف من الزاي والياء والدال عبارة عن الشخص الموجود في العيان والأذهان وهو المسمَّى. واللفظ الدال عليه الذي هو الزاي والياء والدال هو الاسم. وقد صار أيضا ذلك اللفظ مسمًّى من حيث كان اللفظ الذي هو السين والميم عبارة عنه". فإذا الاسم يساوي لفظ المسمَّى، وإذا المسمَّى والاسم متساويان في الدّلالة على نفس المرجع ومتّحدان قيمة وإحالة. إلاّ أنّ الاسم لفظ دال على المسمَّى، والمسمَّى شخص. ولأنّ الاسم لفظ فإنه يطرأ عليه ما يطرأ على ألفاظ اللغة من إعراب وبناء وزيادة وغيرها من المقولات التصريفية والاشتقاقية. إنّ المصطلحات الثلاثة : اسم ومسمًّى وتسمية ليست مترادفة لأنّ الأوّل لفظ والثاني شخص والثالث "فعل المسمَّى" (السّهيلي1978 : 41). فاللّغويون العرب

اعتبروا الاسم إشارة باللفظ إلى المسمَّى الموجود بالفعل وعلامة عنه *(الكتاب* 38 : 1).

ومن طرق تعريفهم للاسم العلم أنّه مختزل لصفات المرجع. يقول ابن جني "أنابوا اسما واحدا علَما يغني عن الإطالة والملالة وقصور المعنى مع حسور المنّة. ولهذا قال أصحابنا الأعلام لا تفيد. يريدون بذلك أنّ الاسم الواحد من الأعلام يقع على الشيء ومخالفه وقوعا واحدا. فزيد علامة على الأسود والأبيض والقصير والطويل. وليس كذلك الأوصاف ولا أسماء الأجناس من حيث كان كلّ واحد منهما مفيدا". (ابن جنّي، 1983 : 21-22). فالاسم يختصر سمات المُسمَّى ويميّز بين الأفراد، وقد وضع" ليغني عن الأوصاف الكثيرة"(ابن جنّي، 1955، 3 : 238).أمّا إذا اشتركت الأسماء فإنّ الفرد يختلف عن حاملي نفس اسمه بحزمة الصّفات الخلقية والأخلاقية الخاصّة به.

وتجمع بين الاسم المتعدّد والمسمَّى الواحد علاقة اشتراك كأسماء الله الحسنى، أو علاقة تجانس متى تعدّدت المسمّيات واتّحد الاسم كأن يسمّى كثيرون زيدا، وأنْ تشترك عديدالبنات في اسم فاطمة "فإذا وصف العلم فلأنّه كثر المسمَّون به ، فدخله اللّبس فيما بعد ، فلذلك وُصف" (ابن جنّي، 1955، 3 : 239). وقد تكثر الأوصاف عند ذكر تسلسل النّسب قصد الإعلام وبغية "استمرار النّسب" (نفسه). فذكر الآباء ليس بالضّرورة للتّخصيص والتّمييز وإنّما للاستغناء عن الأوصاف الكثيرة "ألا ترى أنّك إذا قلت : قال الحسن في هذه المسألة كذا، فقد استغنيت (بقولك : الحسن) عن قولك : الرّجل الفقيه القاضي العالم الزّاهد البصري الذّي كان من حاله كذا، ومن أمره كذا، فلمّا قلت : الحسن أغناك عن جميع ذلك.(...) ألا ترى أنّ ما كان من الأعلام لا شريك له في العَلَميّة فإنّه لا يوصف. وذلك قولنا : الفرزدق، فإنّه لا يوصف فيقال : التّميمي ولا نحو ذلك، لأنّه لم يسمّ به أحد غيره."(ابن جنّي، 3 : 238-239). ولأنّ الأعلام أسماء غير

دالّة فلا تختصّ بها مسمّيات دون أخرى ولا تتقيّد تقيُّد أسماء الجنس بمفاهيم معيّنة وبذات بعينها. عدا هذه الاستعمالات الخاصة، يبقى الاسم العلم متّصلا بمسمًّى واحد، دالاّ دلالة مطلقة على التّفرد والتّمام والشّمول. فالاسم شكل لغوي يوسم في العربية بسمات صرفية مقوليّة كالجنس (أمين/أمينة) والتّعيين بالتّعريف والتّنكير (أحمد، سناء/الكعبة، الفرات)، والاشتقاق (منتصر / معزّ) والعدد (أشواق / عبيدات) والإعراب (محمدٌ / محمدًا / محمدٍ) والممنوع من الصرف (عمر / بحمدانَ / عزّة / جبريل). فالاسم العلم وسْم للمسمّى، يدلّ عليه، وبه تتحقّق ذاته، فيتمّ التّواصل بينه وبين أفراد المجتمع، فيعيّنون به مشارا خاصا، ويميّزون بين الأشياء والموجودات التي تتمايز عن بعضها كيفية وهيئة. فالموجودات مادّية وتعيينها لفظي.

2.1 – حكم الاسم العلم في النحو العربي

تتحكم في الاسم العلم، كغيره من أقسام الكلام ومقولاته، قواعد لغوية صوتية وصرفية وتركيبية معجميّة، ولا يختلف فيها كثيرا عن الاسم العام.

1.2.1 – الضوابط الصوتية

تطبّق على الاسم العلم وعلى غيره من وحدات اللغة، قاعدتان صوتيتان :

أ- القاعدة الأولى : لا يتضمّن الاسم بين الأصوات المكوّنة له أصواتا تخرج عن النظام الهجائي للغة العربية. وحتّى الأسماء من أصول دخيلة، فإنّها ترسم بالصوامت والصوائت العربية رغم إنجازها أحيانا إنجازا مختلفا عن النظام، فتنطق نطقا إفرنجيا بترقيق الأصوات أو تفخيمها، وبإطالتها أو تقصيرها.

ب – القاعدة الثّانية : تمسّ هذه القاعدة سلسلة الكلام.فمن أجل المحافظة على جمالية اللغة ويسر النطق بها، أقرّ الخليل أنّ ما تجاوز بناؤه الرّباعي والخماسي وتعرّى من حروف الذّلاقة (ر.ل.ن) والشّفة (ف.ب.م) عُدّ كلمة " مُحدثة مبتدعة، ليست من كلام العرب" *(كتاب العين* 52 : 1). ولا يخرج الاسم العلم في تأليفه الصّوتيّ عن النّظام الصّوتيّ العربيّ وعن قواعد ائتلاف الصّوامت.

2.2.1 – الضّوابط التّصريفيّة

لا تقلّ قواعد الصرف أهمية في بناء الاسم العلم عن قواعد الصّوتيات. فالأسماء العربية – باستثناء الأسماء المقترضة ذات الأصول الأعجميّة مثل يوسف ومريم ويعقوب وهارون – تقوم على جذور ثابتة تولّد جذوعا رئيسية وأخرى فرعيّة، وتتنزّل في أنماط صيغية محدودة، وتستجيب لضوابط الاشتقاق وقيود البنية غير السّلسليّة. ويتولّد الاسم العلم المنقول في اللغة تولّدا داخليا عن طريق زوائد تلحق به في بداية الجذع أو في وسطه شأنه شأن الوحدات المعجميّة العامّة، فتغيّر معناه الوضعي المعجميّ وصيغته الصّرفية ووزنه مثل آمنة وأمينة وإيمان ومأمون وأيمن.

1.2.2.1– من التعريف إلى التّنكير

أ – مقولة العدد

تتمثّل خاصيّة الاسم العلم في التّفرد والتّخصيص، ومتى تعدّد فَقَدَ سماته المميّزة وانتقل من رتبة التّنكير والشّيوع والكثرة. يقول سيبويه "هذان زيدان منطلقان وهذان عمران منطلقان لم يكن هذا الكلام إلاّ نكرة من قبل أنّك جعلته من أُمّة كل رجل منها زيد وعمرو وليس واحد منها أولى به من الآخر... لم يجعلوا التثنية والجمع عَلَما لرجلين ولا لرجال بأعيانهم وجعلوا الاسم الواحد عَلَما لشيء بعينه". *(الكتاب* 149 : 2). وبيّن

المبرّد أنّ "تثنية الأعلام وجمعها يردّان الأعلام إلى النّكرة" *(المقتضب* 2 : 310) إذا ما جرّدت من الألف واللاّم. وأكّد سيبويه أنّ مقولة العدد تضعّف تعريف الاسم العلم وتصيّره شائعا بين سائر أمّته. فالزيدان والعمران والأحمدون توافق قولك واحد من الزيدين والعمرين والأحمدين.

ويميّز المبرّد بين صنفين من الأعلام الّتي تقبل العدد. فمنها النكرة متى جرّد العلم من أداة التّعريف، فاكتسب التّنكير من مقولة العدد ومن غياب أداة التّعريف.ومنهاالمعرفة متى وُسم العلم عددا وتعريفا، "فإذا ثنّيت منها شيئا أو جمعته صار نكرة وذلك كقولك : هذان زيدان". فإنْ أردت تعريفهما قلت : "هذان الزيدان لأنك جعلتهما من أمّة كل واحد منهما زيد نكرة، فصار بمنزلة "رجلين" و"الرجلين" *(المقتضب* 323 : 4).

3.2.1 – الأحكام التركيبية

1.3.2.1– من التّعريف إلى التّنكير

وردت على لسان اللّغويين العرب بعض التراكيب النّحوية التي تنقل العَلَم من العَلَمية إلى الشّمولية ومن التّعريف إلى التّنكير وهي :

أ– مِنْ الجارّة المفيدة لتوكيد العموم، ويكون الاسم بعدها نكرة :

هل مِنْ زيد ؟

هل مِنْ رجل ؟

ب– لا النّافية للجنس وحكم اسمها أن يكون نكرة :

لا زيدَ في القسم

لا أحدَ في القسم

لا طالبًا في القسم

ج – الإضافة النّكرة : من مظاهر تحوّل الاسم العلم تركيبيا من التّعريف الذي هو أصل إلى التّنكير الذي هو طارئ أنْ يضاف إلى نكرة في حال تعدّده. فيُرفع عنه التّعريف كقولك "كتاب زيدين"، بينما يحافظ على التّعريف متى أضيف إلى معرفة مثنّى أو جُمع ومثاله "كتاب الزيدين". فقد أتاه التّعريف من الألف واللاّم وليس من التّعريف بالعَلَمية بل أتاه من أداة التعريف العهدية.

1 – اسم عامّ نكرة + اسم علم : حصان زيد

2 – اسم عامّ نكرة + اسم علم مثنّى أو جمع مجرّد من أل : حصان زيديْن، حصان زيدِين

3 – اسم عامّ نكرة + اسم علم مثنّى أو جمع معرّف بأل : حصان الزّيْديْن، حصان الزّيدِين.

أكسب العلم في (1) الاسم النّكرة معنى التّعريف، أمّا في(2) فقد فَقَد العلم المثنّى تخصّصه وتفرّده بسبب تعدّده وتجرّده من أداة التّعريف، فأصبح اسما شائعا دالاّ على شخصين يحملان اسم زيد وليس على زيدين بعينهما. ولم يأت التّعريف في (3) إلى المضاف إليه المثنّى من العلَميّة بل أتاه من أداة التّعريف العهديّة.

أ – مقولة الصفة

لا يكون الاسم العلم في وضعه النّمطي صفة بل هو تعيين للموصوف، ما عدا في حال تحويله إلى اسم عام مُمَعجم أو مستبدل كأنْ نقول "زيد أشعب" ونعني به "زيد طمّاع كطمع أشعب". أو أنْ نقول بالفرنسية « Marie est une pénélope .» بمعنى "مريم عفيفة". أمّا إذا اتّصلت الصّفة بالعلم الموصوف فإنّها تكوّن معه مركبا اسميا، وتقوّي بالمعجمة أو بالاستبدال دلالة التّخصيص في الاسم العلم. ويعلّل سيبويه نفي الصّفة عن الموصوف بقوله : "لا تكون له صفة من قبل أنّ زيدا لا

يكون صفة لشيء" (*الكتاب* 149 : 2)، لأنّ الاسم العلم دالّ على الذّوات فلا يمكن أنْ يصبح دالاّ على الصفات، بل إنّ الصفات تدلّ عليه باعتبارها حزما من المحدّدات بمفهوم الفلاسفة التحليليين (ق 20).

لا يحلّ العلم محلّ الصّفة لأنه وضع للتّعيين، لكن يمكن أنْ يؤوّل بصفة كما جاء في مثال ابن جني "أنا أبو المناهل". فقد أضمرت الصفة وأُوّل التركيب بـ"أنا جواد مثل أبي المناهل" (*الخصائص* 210 : 2) وكذلك يُفسر حلول العلم محلّ الصفة في المثال "الناس كلّهم بكر إذا شبعوا" (نفسه : 210) بمعنى "تعادوا وتغادروا إذا شبعوا" (نفسه).

تعدّ هذه التراكيب من الاستعمال وليس من اللغة. ولكن استعمالها يستوجب مراجعة بعض الأحكام المطلقة والأطروحات المتحجّرة، وهي تفتح الباب لمراجعة الرأي القائل بأنّ الأعلام تحيل دون أن تدلّ ولها خارج وإحالة دون أنْ تكون لها دلالة (محمد الشاوش، 2 : 1037).

ب – مقولة الربط

يكون الفرد المعيّن معروفا من المخاطب في المقام وثابتا في ذهنه. فالاسم العلم المؤوّل في الخطاب بالمنادى عنصر مقامي غير رابطي والإخبار يكون عن معرفة لا عن نكرة. يقول سيبويه "لم يقولوا إذا قلنا جاء زيدان فإنّما نعني شخصين بأعيانهما قد عُرّفا قبل ذلك وأثبتا. ولكنهم قالوا إذا قلنا جاء زيدٌ فلان وزيدٌ بن فلان، فإنّما نعني شيئين بأعيانهما. فهكذا تقول إنْ أردت أنْ تخبر عن معروفين" (*الكتاب* 2 : 103). نفهم من هذا الكلام أنّ اسم العلم متى ذُكِر أصبح، كضمير الغائب أي من عناصر الخطاب الغائبة المحيلة إلى مذكور سابق، مقارنة بضميري الحضور في المقام أنا وأنت. أقام سيبويه مقارنة وظيفية بين الاسم العلم وضمير المخاطب، جمعت بينهما عناصر ائتلاف أهمّها التّعيين المطلق والتخصيص والتفرّد، وعناصر اختلاف كدلالة الضمير على التخاطب ودلالة العلم على التّشبّه بالاسم المعرّف بالألف واللاّم إذا كان موصوفا

مخصوصا *(الكتاب2* : 93، 94). يقول صاحب الكتاب في بيان الفروق بين الاسم العلم وضمير المخاطب "إذا ذكر إنسان لشيء قال الناس : زيد. وقال الناس : أنت. ولا يكون على أن تضمر هذا، لأنّك لا تشير للمخاطب إلى نفسه ولا تحتاج إلى ذلك، وإنما تشير له إلى غيره. ألاَ ترى أنّك لو أشرت له إلى شخصه فقلت : "هذا أنت، لم يستقم" *(الكتاب* 1 : 141).

لكنّ الاسم العلم يدلّ على مسمّاه دون أن يحتاج إلى سياق مقاميّ أو مقاليّ يتحقّق فيه. وهو وضع خاصّ به يجعل منه عنصرا لغويا مختلفا عن العناصر اللغوية ذات الدوّر الرّابطي إلاّ إذا بطلت عنه العَلَمية المطلقة وأصبح من الأسماء المشتركة يقبل مثلها قواعد النّحو العربي منِ تعدّد وتنكير وتعريف ومطابقة ووصفيّة. وقد اعتبر محمد الشاوش الاسم العلم المعرّف بالألف واللاّم سيّان في التّعريف العهدي (الشاوش 2001 : 1046) إذا اكتسب العلم العهد من الوضع، فهو "عهد قديم متقدم على إجراء الخطاب" (نفسه)، لذلك لا يلحق بعناصر الترابط النصي إلاّ في وضع التكرار. إنّ ميزة الاسم العلم أنه يستقلّ بنفسه، على خلاف المشيرات المقاميّة التي تحتاج إلى غيرها للدّلالة والإحالة. فالضمير يحيل لأنّه يعود على اسم قبله وكذلك اسم الإشارة المقالي الإحالي.

يصبح حينئذ الاسم العلم عنصرا رابطيّا إحاليّا متى تكرّر في السّياق المقاميّ وقام مقام ضمير الغائب، فتتّسع قائمة المشيرات المقاميّة لتشمل الاسم العلم، ويصبح ضميرا مخاطبا غيابيّا رغم حضوره في الخطاب "فأنت تدلّ على الخطاب واسم العلم يدلّ على الغياب". (نرجس باديس 2009 : 117). وعلى عكس الأسماء العامّة والمعرفة أصالة التي لها وظيفة رابطيّة نصّية أو إشاريّة مقاميّة، فإنّ الاسم العلم يستقلّ بذاته ويستغني عن المسوّرات والمشيرات والرّوابط بسبب اختصاصه بالفرد.

أما حديثا فقد أشار محمد الشاوش في فصل التّعريف بالعَلَمية إلى علاقة الاسم العلم بمرجعه وعلاقة الاسم بالمسمىّ وقيام العَمليّة الدّلالية

على الإحالة والإشارة. (محمد الشاوش 2001، 2 : 1030)، وكلها مسائل يثيرها المنطق وفلسفة اللّغة، بينما تعالج الأسمائية اللّسانية، التي هي فرع من فروع المعجميّة، قضايا لغوية لها صلة بوضع الاسم العلم في اللغة والاستعمال كالمَعْجَمة والاشتقاق والمجاز والتحوّل والثّبات.

ويقوم الاسم العلم على عمليّة التّسمية la nomination التي تشمل مرحلتين يفصل بينهما عامل الزّمن : مستوى الوضع ومستوى الاستعمال (نفسه 2001، 2 : 1032). يتعلّق المستوى الأوّل بظاهرة الوضع عند اختيار اسم المولود. فيحمل الاسم معنى إيحائيّا ذا دلالة معجميّة اصطلاحيّة يوحي بها الأصل المعجميّ للاسم، خاصّة إذا كان من صنف الأسماء المنقولة. فهي تسمية أولى "نهائية ثابتة غير متجدّدة" (نفسه)، لأنّها تحدث مرة واحدة في حياة البشر. ويمثّل المستوى الثاني من التّسمية عملية إجراء وممارسة وتجدّد واستعمال لما استقرّ من الأسماء بصيغ مختلفة حسب المقام والتّنغيم والحالة النّفسية للمنادين لذاك الاسم.

3.1 – تعريف الاسم العلم في الدراسات الغربية

حددته الأنحاء التقعيديّة القديمة بضوابط صارمة شكلية صرفية ودلالية وبراغماتية تداولية وقاموسيّة، واعتبرته اسما ليس كالأسماء الأخرى (لوروي 7 : Leroy 2004). فمن المعايير الشكلية التي عُرّف بها الاسم العلم قديما ومازال يعرّف بها في الكتب المدرسيّة أنه يُكتب في بدايته بحرف التاج la majuscule، ولا يقبل التّرجمة، ولا يدرج في القواميس العامّة مع الوحدات المعجميّة التي من شروط وضعها أن تعرّف تعريفا لغويا توظّف فيها عناصر من اللغة لوصف اللغة métalinguistique. ومن المعايير الصرفية – التركيبية للاسم العلم ألاّ يتصرّف فلا يجمع، ولا يعيّن بأداة التّعريف أو التّنكير (la détermination / l’indétermination) إلاّ في حالات نادرة تكون فيها أداة التّعيين غير عاملة عهدا أو جنسا، بينما يمكن للعلم أن يتقبّل مقولة

الجنس في عدد كبير من الأسماء، وخاصة أسماء الأشخاص، فتظهر فيها المقابلة بين ثنائية (مذكّر/ مؤنّث) مثل المجموعة التالية من الأسماء : (Michel / Michèle) ،(François/ Françoise) ،(Sylvian/ Sylvie) (Jean / Jeanne)، (Emile/ Emilie)، (Eric/Erika). وعلى المستوى الدّلالي والتّداولي خلا العلم في تعريفهم من الدّلالة المعجمية واقترن بالدّلالة المرجعية. وهو معيار منطقيّ تقاس به الأعلام وليس حدّا لغويا. فالوظيفة المرجعيّة تعيّن ذاتا مفردة وتشير إلى كائن محدّد قد يكون شخصا أو مكانا أو حدثا.

ينقسم الاسم العلم حسب ج. مولينو (J. Molino) إلى أصناف : أسماء الأشخاص مثل محمد وClaire، وأسماء الحيوانات مثل Médor للكلب، وأسماء المناداة وألقاب مناداة الأبوين مثل Papa (أبي)، Maman (أمّي)، وأسماء الأماكن مثل Paris (باريس) وأسماء الزمن مثل Lundi (الاثنين)، Pâques، (عيد الفصح)، Juin (جوان أو حزيران)، وأسماء المؤسسات مثلرونو Renault، la CGT وهي مختصرات لاسم منظّمة شغّيلة فرنسيّة، وأسماء الإنتاج البشري والإبداع مثل السنفونية الخامسة للموسيقى الألمانيّ بيتهوفن (la 5èmeSymphonie)، والطّائرة الفرنسيّة الإنغليزيّة (كونكورد) la Concorde، وهي طائرة غاية في الجمال، وأسماء الرموز الرياضيّة والعِلْمية مثلπ(Pi)، وأسماء بين اسم الجنس واسم العلم كأن تسمّي سيارتك (تروتنيت) Trotinette (ج.مولينو J. Molino1982, n°66 : 6). وإنّ توسيع أصناف الاسم العلم من صنفين عامّين هما أسماء الأشخاص وأسماء الأماكن وتفريعه إلى تسعة أصناف يعود في رأي مولينو إلى تصرّفه كالطّراز le prototype الذي هو الاسم أو اللقب العائلي (نفسه : 7–8). ومازالت قائمة الأعلام تتّسع في الدراسات اللسانية لتشمل أصنافا جديدة، كأسماء الشعوب وأسماء الأحداث، رغم أن التّضييق على أصناف الأعلام وحصرها في الأشخاص

والأماكن قد ضبطه الأسمائيون المختصون أنفسهم. فبقية التّصنيفات "مهمّشة، وليست لها الشّرعية التاريخية، لأنّ جلّها حديث" (ج. ل. فكسلير J. L. Vaxelaire 2005 : 65). ومن الأسماء الحديثة التي انتشرت في كل اللغات المختصرات les acronymes، وهي متتاليات صوتية أصبحت رموزا مختزلة لمجموعة من الكلمات يمكن أن تعتبر معجميّا وحدات معجميّة معقّدة مثل الاتّحاد العامّ التونسي للشغل، (ا. ع. ت. ش : l'Union Générale des Travailleurs Tunisiens : l'UGTT). ويكثر هذا الضرب من الاختزال في اللغات الغربية، فيتكوّن العَلَم من الحروف الأولى لمجموع كلمات المركب الاسمي. وهي مختصرات لأسماء الشركات والمؤسسات القومية أو الخاصّة أو العالميّة، وللبنوك والأحزاب السياسية والمنظمات الدّولية وعالم الاقتصاد والتجارة ... غرضها الاقتصاد والاختزال والبحث عن المجهود الأدنى في الكلام، وييسّر حفظ التّعابير الاسمية المختصرة في قليل من الحروف والمكوّنة لوحدة اسميّة جديدة بسيطة تصبح بالتّداول اسم علم.

وكثيرا ما يلتقي الاسم العلم بالاسم العامّ، ويبيّن البحث التاريخي في أصل اللغات العلاقة التي تجمع بين أمثلة عديدة من صنفي الاسم العلم : فعاصمة النمسا مثلا Vienne تفيد قبل تحوّلها من اسم عامّ إلى اسم علم معنى "المدينة البيضاء"، وCasablanca المدينة المغربيّة، تفيد في الأصل الإسباني ما تفيده في التّرجمة العربية "الدار البيضاء". فالباحث في أنتربولوجيا الأماكن وأصل الأشخاص يساعد اللساني، بما يكتشفه من معلومات تأصيليّة، على ربط الصّلة بين الاسم العلم واسم الجنس (هـ. والتر، H. Walter 1995, n°2 : 37).

1.3.1 – معايير تعريف الاسم العلم

رغم مواقف الأنحاء القديمة من الاسم العلم الذي أقصته من القواميس العامّة وجرّدته من الدّلالة ونَفَتْ عنه النّظام واعتبرته غير

خاضع لقواعد اللغة التي يخضع لها اسم الجنس من تصريف واشتقاق، لأنّ العَلَم بالمقاربة اللّغويّة القديمة يعيّن الأفراد أو المنجزات الفردية ويحيل إلى مراجعها، فإنّ اللسانيات الحديثة قد ردّت له الاعتبار لأنّها تبيّنت أخيرا "أنّ امتلاك اللغة يفترض أيضا امتلاك الأسماء الأعلام" (أ. راي، A. Rey 2001 : XI)، فلا وجود للأشخاص والمواقع والأشياء دون تعيين وتخصيص.هذه الحقيقة المعجميّة التي أقرّها اللساني ألان راي A.Rey تعني أنّ الأعلام ليست خارج النظام وليست موضوع مستوى لغوي واحد .

1.1.3.1.- المعيار الشكلي

من الوسائل التي ميّز بها النّحو الغربيّ الاسم العلم عن اسم الجنس قرينة الرّسم، وهي علامة رسم الأعلام بحرف التّاج la majuscule في بدايتها مثل "جون "، "صوفي"، الثّورة "(Jean وSophie وRévolution). هذه العلامة ترفع مبدئيا اللّبس بين الاسم العامّ poison بمعنى السمّ والاسم العلم Poison وهو اسم عطر فرنسي معروف أتته العَلَمية من المجاز والشّهرة. لكنّ قرينة الرّسم بحرف التاج قرينة مكتوبة وليست منطوقة. فهي من اللغة وليست من الاستعمال. أضف إلى هذا احترازا هامّا وهو اشتراك الاسم العامّ مع اسم العلم في حرف التّاج عند ورود الاسم العامّ في صدر الجملة، إلى جانب استثناء آخر ليس نصّيا بل هو قيميّ ترسم فيه أسماء عامّة بحرف التاج بغرض إكسابها بعض خصائص الاسم العلم كتخصيصها وتمحّضها للعلميّة وإبرازها، من ذلك :

المقاومة (الفرنسيّة) : la Résistance

الثّورة (الفرنسيّة) : la Révolution

الحرب العالميّة الثّانية : la Seconde Guerre Mondiale

ويكون لحرف التاج في الأسماء العامّة وظيفة "احترام واعتبار" مثل (Chère Madame أو Professeur Pottier أو Docteur Gil) بمعنى الدكتور جيل والأستاذ بوتيي والسيدة العزيزة (لوروي 9 : Leroy 2004). كلّ هذه الاستثناءات تبيّن أن حرف التاج ليس خصيصة علَمية، ولا يكفي ليعرَّف به الاسم العلم تعريفا لغويّا، لأنّه ليس ظاهرة لسانيّة كلّية. فالألمانية وهي لغة غربية، يكتب فيها الاسم العلم والاسم العامّ بحرف عادي على خلاف ما هو معمول به في الرّسم الفرنسي. لذلك تبقى هذه العلامة المطبعيّة نسبيّة غير معياريّة حتّى في الفرنسيّة، ولا تعتمد مقياسا يطبّق على كلّ اللّغات.

المقياس الشّكلي الثاني في الأنحاء الغربية القديمة الذي يعرَّف به الاسم العلم هو مقياس الترجمة. وهذه الخصيصة التّمييزية أكسبته وضعا فوق لساني translinguistique بوصف لوروي (Leroy)، أوغير لغوي extralinguistique. فاسم مدينة San Francisco لا يترجم إلى الفرنسية بـ Saint François ولا إلى العربية بالقديس فرانسوا. وLos Angeles لا تحوّل إلى الفرنسية بـ LesAnges (نفسه : 10) وإلى العربية بالملائكة. وينطبق نفس الحكم على أسماء الأشخاص دون اعتبار ما يطرأ عليها من تغييرات صوتيّة تناسب النظام الصوتي للغة المورد. فمدينة"بجاية" الجزائرية أصبحت تنجز في النطق الفرنسي Bougie، وهو استعمال قريب من اسم الجنس الفرنسي"الشمعة"(bougie)، وتنجز"القاهرة" في نفس اللغة Le Caire. وقد يصل تقريب الأصوات من اللغة المنقول إليها حدّ التّشويه وطمس معالم الاسم الأصلي، من ذلك صلاح الدين (1138-1191) التي يقابلها تباعا في الفرنسيّة والأنغليزيّة Saladin / Saladin، وابن سينا (980-1037) Avicenna/Avicenne من اللاّتينيّة Avicenna، وابن رشد (1126-1198) Averoes/Averroès، والخوارزميات des Algorithms/Algorithmes.

ومن مظاهر المقاييس الشّكلية أيضا التي تعتبر معيارا لتعريف الاسم العلم وتخصيصه وإقصائه من القواميس العامّة، عدا بعضها مثل روبير الكبير (*Le Grand Robert*) ولاروس الصّغير المصوّر (*Le Petit Larousse Illustré*)، أنّه لا يُدرج ضمن البنية الكبرى للقاموس العامّ، بينما يكوّن مداخل في الموسوعات وقواميس الأعلام باعتبارها ذات وظيفة شموليّة وليست وصفيّة. ولكنْ تصبح الأعلام من عناصر االبنية الصغرى لقاموس اللغة العامّة، وتكوّن مدخلا رئيسيّا مُمَعْجما وتحافظ على خصوصيتها، فتفسّر القواميس المفاهيم المحوّلة عن أعلام بالإحالة إلى أصل المصطلحات، من ذلك Le bovarysme ومعناه الهروب من وضعية رديئة واللّجوء إلى خيال حالم، وهو مفهوم يعود أصله إلى الاسم العلم "بوفاري" (Bovary) بطلة رواية فلوبير G.Flaubert "السيدة بوفاري" (*Madame Bovary*). وإذا وردت الأعلام مداخل فرعيّة فتكون بعد مدخل عامّ تشترك معه في بعض الحروف أو كلّها، ذكر منها "*المعجم العربي الأساسيّ*" أمثلة كثيرة منها : ("ء.ل.ف"، ألف يألَف إلفا : أنِس.الألْفيّة : عمل نحويّ مشهور لابن مالك)، و("ض.ف.ف"، ضفّة ج ضفاف : شطّ، ساحل.الضّفّة الغربيّة : منطقة من فلسطين)، و("ط.ر.ء" ، طرَأ يطرَأ طروءا : حدث بعد أن لم يكن. طرابلس : المنطقة العربيّة من ليبيا... مدينة هامّة في شماليّ لبنان). أو تكون الأعلام من أركان التّعريف الهامّة كأن يعرّف مدخل "بحيرة" تعريفا لغويّا ويدعّم بالشّاهد والمثال، فتذكر أسماء بحيرات عالميّة لتقريب المدخل العامّ من القارئ كبحيرة فيكتوريا وبحيرة طبريّة وبحيرة ميشيغان وبحيرة ملاوي

2.1.3.1 – المعيار الصرفي النحوي

عرّفت الأنحاء الوصفية التّقعيديّة الاسم العلم تصريفيّا وتركيبيّا. وعلى خلاف الاسم العامّ، فإنّ اسم العلم يرد في القول خاليا من أدوات

التّعيين، وهو الاستعمال العاديّ والأكثر تداولا، كما تمثّله الجملتان (1) و(2) :

(1) Robert est gentil "روبير لطيف"

(2) *Enfant est gentil "وَلَدٌ لطيف"

المثال (1) جملة نحوية، بينما المثال (2) (*) جملة غير مقبولة نحويّا agrammaticale تمّ فيها إبدال الاسم العلم باسم عامّ خال من أداة التّعيين.والاسم العامّ يصاحب في الفرنسية بأداة تعيين معرفة أو نكرة، على أنّ بعض الأعلام تلحق بها أداة التّعيين المعرفة، ولا علاقة لها بالتّعريف كالحارث والحطيئة والهادي في العربيّة، فهي غير عاملة. وقد لا تنفصل عن الاسم في الفرنسيّة مثل دي غول De Gaulle، دي لافايات De La Fayette، فتصبح دالّة على ألقاب الشّرف. وتكثر الأداة مع أسماء البلدان مثل تونس La Tunisie، والغابون Le Gabon، وأثيوبيا L'Ethiopie. أمّا إذا ألحقت أداة التّعيين والمشيرات المقاميّة والمقاليّة بأعلام في سياق دون آخر، وهي عادة تكون معرّاة منها، فإنّه تطرأ على الاسم تحويرات دلاليّة ومرجعيّة تدخل في باب التّقابل بين العلم المحوّل والعلم الثّابت كما تبيّنه الأمثلة التالية (غاري بريور -Gary Prieur 1994 : 60) :

(1) **Ce** vélo me plait "هذه الدرّاجة تعجبني"

(2) Pierre me plait "يعجبني بيار"

(3) **Ce** Pierre me plait"بيار **هذا** يعجبني"

إنّ الاسم العامّ في (1) المصحوب بالأداة (Ce) له قيمة دلاليّة، أضيفـــت إليها قيمة تخصيصيّة دلّت عليها أداة الإشارة (Ce). وأفاد الاسم العلم العاري من الأداة في (2) معاني التّخصيص والإشارة، بينما اكتسب من أداة الإشارة (Ce) في (3) معنى "الاستعمال المثالي"

الدّال على الاستحسان والإعجاب. l'emploi exemplaire وهذه المسائل التّحويليّة النّصية أثارتها اللّسانيات الحديثة في إطار الأسمائية العامّة (انظر : *Langue Française 146/2005 و-147Lexique n°15,*).

واعتبرت الأنحاء القديمة أيضا الاسم العلم غير قابل للتغيير تصريفيا، فهو ثابت عددا وجنسا وغير متفاعل مع محيطه التّركيبيّ والسّياقيّ. ولكنّ هذه المعايير ليست مطلقة، فقد كثرت الأمثلة التي تناقض ما اعتبرته الأنحاء قاعدة. فخرجت بذلك الأعلام عن الشّذوذ والمعاملة غير اللّغوية، واستدعت إعادة النظر في أحكام النّحو التّقعيدي "فقائمة الاستثناءات ونقيض الأمثلة يحتلّ أكبر حيّز من القاعدة المقترحة ومن الأمثلة التي توضحها" (لوروي Leroy 2004 : 16). صحيح أنّ الفرنسي لا يخطئ في التّمييز رسما بين المذكر والمؤنث في الأزواج التالية : (Michel/ Michele)، (Louis/ Louise)، (Simon/Simonne) لأنها معلّمة، وكذلك الشأن في العربية عند تحديد الأمثلة التي تلحقها تاء التأنيث كصالح وصالحة، أو التي تأتي على النّمط الصّيغي "فَعْلى" و"فَعْلاء" الدّال على المؤنث مثل يسرى وشيماء. ولا يخطئ الفرنسيّ كذلك في التّمييز بينها نطقا لأنّها موسومة بالنّبر l'accent. لكنّ مقولة الجنس لا تعمّم على كل الأسماء، فلا مقابل في التأنيث لبعض الأسماء الفرنسية مثل David وMax. ولا مقابل لأحمد ونعمان ويوسف في العربية. كما أنّه لا تطبّق ثنائية مذكّر مؤنّث على الألقاب والأماكن، فليست العلامة هي التي تحدّد الجنس، بل إنّ أداة التّعيين المعرِفة (Le – La) هي التي تَسِم الأسماء دون أن يكون لها مقابل مثل فلسطين la Palestine، الكامرون le Cameroun، فلتا العليا La Haute-Volta. وقليلة جدّا أسماء البلدان التي لا تصاحب بأداة تعيين مثل كوبا Cuba.

وحديثا تطوّرت دراسات الأسمائية اللسانية التي تعالج ضمن اهتماماتها العلم المحوّل بأدوات ومحوّرات داخل الخطاب. فهل يصحّ بعد

هذا أنْ نتشبّث بضرورة غياب الأداة مع الاسم العلم واعتبارها غير دالّة وزائدة غير لازمة ؟ أمّا إذا تعدّد العلَم وألحقت به علامات الجمع، فإنّه يدلّ على تغيّر المرجع وتعدّده. ويخصّ هذا الاستعمال في الفرنسيّة والعربيّة وغيرهما العائلات المالكة أساسا، مثل :

Les Valois régnèrent sur la France de 1328 à 1589

حكم "الفلوائيون" عرش فرنسا من 1328 إلى 1589.

- دامت خلافة العثمانيين من سنة 1516 إلى سنة 1924م.

- ينتسب البويهيون إلى أسرة فارسية أسّسها أبو شجاع بويه.

- فتح الفاطميون مصر وسوريا.

وتلحق علامة الجمع (s) سلاسل الجبال مثل البيريني les Pyrénées واتحاد الإمارات والولايات مثل les Emirats Arabes Unis "الإمارات العربية المتحدة". وتأتي علامة الوسم إلى الاسم من الأداة متى استعمل استعمالا محوّلا بالأسمائية المجازية l'antonomase والمجاز المرسل la métonymie، نقرأ الأمثلة التالية عند غاري بريور : Gary Prieur 2001 18). يوجد في هذا المتحف "رافائيل" متميّزا

(1) Ce musée possède **un** Raphaël extraordinaire

(2) Ce musée possède des Raphaël extraordinaires

(3) Ce musée possède des Raphaëls extraordinaires

يدلّ عدم الانتظام في الوسم أنّ العلَم لا يقبل بطريقة آليّة علامة الجمع كما يقبلها الاسم العام. فوسمه قد يكون ظاهرة أسلوبية أو مجازية تحويليّة للتّعبير عن تغيير المرجع الواحد أو عن كثرة المراجع. وتفسّر غاري بريور (Gary-Prieur نفسه : 19) عدم الانتظام الصّرفي بخروج

الاسم العلم عن القاعدة الصارمة القائلة بعدم تعدّد الأسماء الأعلام والمحافظة على خاصيّة التّفردّ وحدها.

3.1.3.1 – المعيار الدّلالي والتّداولي

من المعايير التي تردّدت في دراسات الاسم العلم قديما، أنّه خال من المعنى ومفتقر إلى مدلول يجعل منه دليلا بداله ومدلوله. فهو يمثّل التّسمية، ويشير إلى مسمًّى واحد متفرّد، ولا يقبل تأويلا دلاليّا لأنّ التّسمية مجرّد وسم، لذلك يظلّ الاسم حسب هذا المفهوم خارج النّظام، ولا تطبّق عليه أحكام الاسم العامّ ومقاييسه بجميع مستوياتها اللّغوية، عدا التى تقبل في العربيّة نظريّا المقولات التّصريفية للاسم العلم مثل "زيد، زيدان، زيدون، أو الزيد، الزيدان، الزيدون".ولأنّه لا يعرّف لغويّا لأسباب دلاليّة فلا يدخل القواميس التي يقوم ركن الوضع فيها أساسا على تعريف الوحدة المعجمية وإبراز ما تتّصف به من ظواهر معجميّة كأحاديّة الدّلالة وتعدّدها وترادف الألفاظ. وإنْ شارك العَلَم الاسم العامّ في ظاهرة الاشتراك اللفظي مثل olivier (الشّجرة) وOlivier (اسم رجل)، وParkinson (اسم طبيب مكتشف لمرض الشّلل الرّعاشيّ) وparkinson (مرض الشّلل الرّعاشي)، فلا ينفي ذلك أنّ التّقابل قائم بين حامليّ الاسم وليس بين التّسميات. فقد لا يعرّف الاسم العلم لغويّا وقد يكون خاليا من الدّلالة، ولكن لا يعني أنه لا يحمل بعض المعاني (لوروي 20 : Leroy2004) كالمطابقة جنسا :

ذهب جون / ذهبت جان Jean est parti /Jeanne est partie

ولا تتداخل، كما بيّنا، أسماء الذكور بأسماء الإناث، لأنّه يميّز بينها بالسّمات الدّلالية : [+مذكر] أمام Jean أورفيق وحبيب و[+مؤنث] أمام Jeanne أورفيقة وحبيبة. و[+مذكر] و[+مسلم] أمام محمد Mohamed، بينما تصاحب المعيْنمات les sèmes(-عاقل] [+حيوان]، [+كلب] عَلَم

الحيوان ميدور Médor. وقد اعتبرت اللّسانية الفرنسية سارة لوروي (20 : 2004) هذه القرائن اجتماعية وثقافية وفوق لسانية extralinguistique.

4.1.3.1- الاسم العلم في الدّراسات الأسمائية

ليس اختيار الاسم اختيارا حرّا مطلقا، بل تتحكّم فيه عدة عوامل. فالوالدان يفضّلان اسما على غيره من الأسماء لما يوحي به معجميّا من قيم جمالية واجتماعية وأخلاقية، أولما يحمله من إيحاءات تاريخية وقوميّة وعقائدية وعائلية. وهذه الدّلالات الإيحائية للاسم العلم تعطي لضابط الحالة المدنية حقّ رفض بعض أسماء المواليد إذا خرجت عن كلّ هذه الضّوابط التي يضع حدودها المجتمع. وقد أُوكل للقضاء صلاحية تغيير الأسماء والألقاب متى خالفت العرف والذّوق.

يعرّف المناطقة واللّغويون القدامى الاسم العلم بخلوّه من المعنى، وهومقياس دلاليّ، ويعرّفونه بمقياس تداوليّ براغماتيّ أُستعير من المناطقة، يقول بتفرّد المرجع وتوحّد التّعيين والإشارة إلى شخص أو مكان واحد، بينما يعيّن الاسم العامّ قسما من الذوات قائما على ترتيب تدرّجي ينحدر من الشّمول، إلى الانضواء، إلى الاشتراك. فأسماء الأجناس تقوم على علاقة الأقسام وعلى المقولات اللّغوية الصرفيّة والتركيبيّة والدلاليّة والمرجعيّة التداوليّة. وفي المقابل تقوم أسماء الأعلام على العلاقة المرجعيّة الواحدة وغير الدّالة. وقد يكون المرجع ماديّا أو خياليّا خرافيا مثل رأس الغول في القصص الشّعبيّة، وهرقل Hercule الشّخصية الأسطوريّة، وبياض الثّلج Blanche neige صديقة الأقزام السبعة.

ما يتناقض مع نظرية المرجع الواحد الذي يخصّص العلم ولا يحيد عنه عند التّداوليين، وقبلهم المناطقة، إحالة أمثلة من اللغة العامّة على مرجع واحد مثل القمر والشمس والسّماء. ورغم أحاديّة المرجع فإنّ

الظواهر الطّبيعيّة لا تعامل معاملة الأعلام بل تحمل على الأسماء العامّة بسبب طابعها الفيزيائيّ الماديّ. وأمّا الكواكب الأخرى مثل فينوس (Venus) ونبتون (Neptune)، فهي تحيل إحالة مرجعيّة واحدة على شيء واحد وتحمل على الأسماء الأعلام (لوروي 22 : Leroy2004)، ولا يختصّ بالدّلالة المرجعيّة التّعيينيّة إلاّ الاسم العلم الثّابت. أمّا داخل الخطاب فبإمكان المحوّرات أنْ تتّصل بالعَلَم وتجعل منه اسما يتحوّل مرجعه تحوّلا جزئيا أو مثاليّا أو كلّيا.

إنّ الحاجة إلى تسمية الأفراد والأشياء ضروريّ أساسي. فالتّسمية تفرّق وتميّز وتجعل المسمَّى غير قابل للتّعويض (أ. راي A. Rey 2001). والاسم العلم وليد عملية التّسمية : تسمية المواليد والمدن والمنتوجات والإبداع الفني... وتقوم عملية التّسمية على الاختيار من أجل تعيين الذوات والأشياء والأحداث. أما أصناف المسمّيات فمتنوعة، منها حسب ولتر (H. Walter, 1995 : 239) :

اسم مكان : القيروان .

اسم شخص : عبد الرحمان.

اسم منتوج : شمبانيا، ميشلان، سيتروان (Champagne – Citroën – Michelin).

اسم عَلَم مركّب دال على الصفات : سرّ من رأى، تأبّط شرّا.

بهذا المفهوم يكون دور الاسم العلم هو التّعيين والتّسمية والنّداء، فهو بتعريف غاري بريور "كلّ تعبير لسانيّ محيل على مرجع منفرد مشهور" (غاري بريور 2 : Gary-Prieur 1994).

لقد انشغلت كلّ الدراسات في الغرب من فلسفة ومنطق وأنتربولوجيا وسيميائيّة وتحليل نفسي بتحليل الاسم العلم وضبط حدّ له. ولم تتخلّف عن درسه والبحث فيه إلاّ اللسانيات التي من المفروض أنْ

تكون الأولى في اهتمامها بالموضوع من كل العلوم الأخرى، لأنّه من مشمولاتها. ولمّا أخذت العلوم اللّغوية، وأساسا علم الأسمائيّة، بداية من العقد السّابع من القرن الماضي(ق 20)، على عاتقها مهمّة تخليص الاسم العلم من رواسب التقليد والتّهميش، فإنّ الأطروحات اللّسانيّة الأسمائيّة لم تتخلّص تماما من تأثير الفلسفة والمنطق (*Langages 1982 n°66*)، ولم تقدّم قواميس الأعلام ذات المنحى الموسوعيّ تعريفا لغويّا للاسم العلم، ولم تذكر خصائصه اللّغويّة والمعجميّة. كما أنّ الأنحاء لم تتناول جميع الجوانب التي يتشكّل منها الاسم. فظلّت صورته إلى ذلك التاريخ منقوصة، والاهتمام به تعيينيّا ومرجعيّا لاغير. فاعتُبر حالة طارئة ضمن مقولة الاسم، وليس مقولة قائمة الذّات. ولم تتعمّق اللّغة في دراسته إلاّ بالنظر في بعض الجوانب التّصريفية (الجنس والعدد)، وبدرجة أقلّ في صيغته التّركيبيّة عند اقتران الأدوات والمحوّرات به أو انفصاله عنها (غاري بريور Gary-Prieur1994 : 2).

يفسّر كلّ هذا عدم اهتمام اللّسانيين بالاسم العلم، فقد اعتبروه ظاهرة خاصة ومعزولة غير قابلة للتّحليل، ولذلك عدّ على هامش نظام اللغة (دي سوسير F. De Saussure 1976 : 237). ولقد تواصل حكم الإقصاء والتّهميش على ألسنة لسانيين ممّن بادروا إلى تخليص الاسم العلم من سيطرة المنطق، وأعادوه إلى محيطه الطبيعي وهو محيط اللّغة. فنقرأ عند أوّل المهتمّين بالاسم العلم من الباحثين في مجال الأسمائيّة كلاما لا نستشفّ منه تقدّما في الدّرس اللّساني وتغييرا في منهج معالجة الاسم العلم وتحرّرا من قيود الفلسفة. يقول جورج كليبير في أطروحة الدّولة حول قضايا الإحالة والاسم العلم : "الأسماء الأعلام ليست مدمجة في شبكة الدّلالة [...] إنها تحتلّ مكانا خاصّا ومهمّشا في البنية الدّلاليّة للغة مّا" (جورج كليبير G. Kleiber 1981 : 404-405). فالحكم على الاسم بالتّهميش يعزله عن نظام العلامات ويفرغه من مضمونه كظاهرة لسانيّة

لها خصائصها داخل النّظام، لذلك لم يختلف كثيرا تعريف اللسانيّ في بداية اهتمامه بالاسم العلم عن تعريف المنطقيّ. ولما استقلت اللسانيات عن طريق الأسمائيّة بدراسة الأعلام، نظرت في أصلها وتاريخها وتطوّرها. فكانت الاهتمامات تأصيليّة ثم أصبحت الآن تعالج قضايا كانت محظورة عن الاسم العلم كدلالته على المعنى بالتحوّل والانتقال عن طريق وسائط معجميّة أو تركيبيّة.

إنّ وظيفة الاسم العلم عند الدّلاليين مثل أولمان (S. Ullman) ولاينس (J. Lyons) وجورج كليبير (G. Kleiber) تتمثّل أساسا في التّحديد، أي في تعيين الأفراد والأشياء بواسطة أسماء هي علامات "خاصّة" بكل ذات متفرّدة. وكان من اللاّزم أنْ تتغيّر معالجة علم الدّلالة للاسم العلم، باعتبارها من فروع اللسانيات وباعتباره من مواضيع المعجميّة. ولكن ظلّت الصّبغة المرجعيّة المنطقيّة مسيطرة على الدّراسة وعلى منهج الباحثين إلى بداية السّبعينات من القرن الماضي (غاري بريور Gary-Prieur 1991, n°92 : 14). وقد لخّصت غاري بريور (59 : Gary-Prieur : 2000) تعريف اللسانيين المحدثين للاسم العلم في النّقاط الأربع التّالية التي بنتها على أساس التّفرد والتّعيين والمرجع والمحتوى، فصنّفها كالآتي :

1 – الاسم العلم شكل محدّد في اللغة ومسند في الكون كاسم لفرد مّا.

2 – يمكّن الشكل / اسم علم – NP / في القول المتقبلَ من معرفة الفرد وتحديده واعتباره مرجعا لذلك الاسم، من ذلك "أسماء" و"سهيل" و"جاك" Jacques.

3 – العلاقة المرجعيّة المُقامة بهذه الطّريقة، تستوجب من الباثّ والمتقبّل معرفة مشتركة بانتساب الاسم للفرد الذي يمثّل مرجعه الذّاتيّ.

4 – الإحالة على فرد مّا : مثلت له الباحثة غاري بريور(59 : 2000) بالرمزXi، وهو ما يستوجب معرفة بعض خصائصه التي تكوّن ما يسمّى محتوى الاسم العلم. فالاسم يمثل جزء من الخصائص التي يعرّف بها المرجع.

ولئن ظلت الدراسات الدّلالية ولفترة طويلة تعتبر الاسم العلم دالاّ دون مدلول، فإنّ معالجة الأسمائية لهذا القسم من أقسام الكلام قد خطت خطوات كبيرة إلى الأمام، فأصبح العلَم أصلا من أصول الاشتقاق، تتولّد عنه مجموعة من الوحدات المعجميّة الجديدة مثل تنصّر يتنصّر فهو ناصري أي انتمى إلى حزب الزّعيم العربي جمال عبد الناصر وتمذهب سياسيـــا بمذهبه القوميّ، وأصبح بذلك دالاّ دلالة معجميّة أو سياقيّة تركيبيّـــة. فقد أعاد الباحثون النّظر في مفهوم الاسم العلـــم (جورج كليبير12 : G. Kleiber1994)، وتخلّوْا عن المناهج القديمة لمعالجته، وأولَوْه كبير اهتمام، وقسّموه إلى ثابت ومتحوّل، ومتحجّر ودالّ، ومحيل مرجعيّا (نفسه).

ومن أهمّ طرق تحوّل الأعلام إلى أسماء عامّة قاعدة التّوليد المجازيّ. والتحوّل العلمي مبحث ثريّ في اللغات الغربية بدأ ظرفيا سياقيّا ثم استقرت الأعلام المحوّلة نهائيّا في الاستعمال ودخلت إلى قواميس اللغة العامّة (جون مايي Maillet Jean 2005، ليساي J.D Lesay 2000) ونُسبت إلى مقولة الأسمائيّة المجازيّة.

الفصل الثاني

مفهوم الأسمائية المجازية

1.2 – تعريف الأسمائية المجازية

يصطلح على الانتقال معجميّا من مقولة الاسم العلم إلى مقولة اسم الجنس، وهو الاسم العامّ، في الأسمائية اللسانية بالاستبدال أو بمجاز العَلَمية l'antonomase الذي ترجمناه بالأسمائية المجازية. وهي ظاهرة لغوية قديمة تُبدِل الأسماء الأعلام المشهورة بأسماء عامّة وتعتبر، كما يقول عنها فكسلير نقلا عن راستيي، "أسلوبا أدبيا أنيقا لا تخلو منه لغة طبيعيّة" (فكسلير269 : J.L.Vaxelaire 2005)، مع اختلاف في طريقة التّناول. فالعَلَم المنقول مجازيّا في الفرنسية يكون اسما مفردا أو مركّبا من أداة واسم، بينما لا تلحق بالاسم المحوّل في العربية أدوات محوّرة.

والأسمائية المجازية وجه من أوجه تحوّل الاسم العلم تحوّلا مجازيّا، ويشترط أنْ يكون حامل الاسم ذا خصائص مشهود بها، أو له دور معروف في مجتمعه، كأنْ يكون شخصية تاريخيّة أو أدبيّة أو علميّة أو فنّيّة أو شخصيّة خرافيّة أسطوريّة.

يشير الاسم العلم في استعماله الأصلي إلى مرجع ولا يحيل إلى دلالة معجميّة ثابتة أو عابرة. ويحافظ في وضع المجاز، وهو وضع الاستبدال والتّحوّل واكتساب المدلول، على وظيفته الأساسية المرجعيّة إلاّ متى أصبح مُمَعْجما ونُسيَ بطول الاستعمال وفعل الزّمن مرجعه الأصليّ.

وتتّسع دلالة التّجوّز معجميّا أو تضيق إلى أنْ تصبح مفهوما بعد أنْ بدأت في أوّل تجوّزها صورة حادثة، وليدة المجاز المرسل القائم على علاقة جامعة بين الفرد وسمة من سمات المرجع حامل الاسم، فيذكر الكل وهو الاسم العلم مثل "حاتمي" و"طفيلي" وharpagon أي بخيل، ويراد به الجزء وهو الكرم أو الطمع أو البخل... وتتّسع دائرة المرجع الرئيس لتشمل عديد المراجع التي تشترك معه في الصفة القيميّة.

أُخذ مصطلح antonomase من الأصل الإغريقي "antonomasia" الذي كان يدلّ في البداية على تحويل الاسم العلم إلى اسم عام لوجود سمة مميّزة يشترك فيها الاسمان، فيصبح مثلا المركب النعتي "الأمير البليغ" مرادفا للاسم العلم اللاّتيني سيسرون Cicéron، وتحيل صفة "مدمّر قرطاج" على الاسم العلم الروماني شبيون Scipion (نلي فلوكس Nelly Flaux 1992 : 118). واقتصر الاستبدال في البداية على اتجاه واحد (من اسم العلم إلى الاسم العامّ) بتعويض الاسم العلم بمفردة أو بعبارة أو بتركيب اسمي يساويه مرجعيّا. ثم توسّع محتوى المصطلح ليصبح مجازا مرسلا يبدل في الاتجاهين :

- من الاسم العلم إلى الاسم العامّ. وهو الأكثر انتشارا.
- من الاسم العامّ إلى الاسم العلم. وهو أقلّ تحوّلا من الصنف الأول.

والاستبدال في الحالتين استعمال مجازيّ لاسم الشخص أو المكان أو حتى الزّمان، دالّ على النّوع والنّسبة والانتماء. فيستعمل اسم صاحب الابتكار أو الإنتاج للدّلالة على الشيء المبتكر، مثل حلول أسماء أصحاب صناعة السّيّارات محلّ السّيّارة ، منها"فورد"(Ford) و"بوجو"(Peugeot) و"رونو "(Renaud)، أو حلول اسم مكان الإنتاج محلّ المنتوج كالخمرة الفرنسية "شمبانيا"(Champagne) والجبنة الإيطالية "سيسيليان"Sicilien، أو توظيف تواريخ قديمة لتوصيف أحداث معاصرة كتشبيه أحداث الحاضر

أو المستقبل بأحداث من الماضي فنقول متحدّثين عن الأزمة الاقتصادية لسنة 2008 "إنّنا نعيش أزمة 1929".

ويمرّ الاسم العلم المجازيّ في تطورّه المعجميّ بمرحلتين : تتمثّل المرحلة الأولى في تصرّفه كاسم عامّ دون أنْ يفقد سمات العَلمية، فهو عَلَم مجازي واستبداله باسم عامّ استبدال ظرفي طارئ. وأمّا المرحلة الثانية فينفصل فيهاالعَلَم تماما عن العَلَميّة، ويصبح اسما عامّا مُعَجْما lexicalisé، وينتقل من مرحلة المجاز ليصبح حقيقة معجميّة، فيتخلى عن خصائص العَلَمية ويكتسب خصائص اسم الجنس كالتّعريف والتّصريف والاشتقاق، ويقبل التّرجمة. ويصبح الاسم العلم المجازي معيّنا لمرجع جديد، إلى جانب مرجعه الأصلي، لِما يجمع بينهما من شبه في خصيصة أو أكثر.

وتتّصل علامة التّعريف (الألف واللام) أو علامة التّنكير (التّنوين) بالاسم العلم المتحوّل مجازيّا إلى اسم عامّ في العربيّة. وتلحق به في الفرنسية علامات خاصة بالتّعيين : أداة التّعريف l'article défini (le, la) أو أداة التّنكير l'article indéfini(un, une). وقد يجرّد منهما في وضع الإبدال.فاقترانه بهما يقرّبه من وضعيّة الاسم العامّ ويفقده خصائص العَلَميّة كما في المثال العربي "طُفيليّ" وكما في المثال الفرنسي التالي :

« Pierre c'est l'harpagon de la famille » (N. Flaux 1992 : فلوكس30)

بيار هو بخيل العائلة .

وأربغون " Harpagon" شخصية اشتهرت بقبض اليد ومنع العطاء، فأصبح الاسم رمزا للبخل ومرادفا معجميّا له. وتتميّز الخصائص الشّكلية للاسم المجازيّ في تغيير مقولته بانتقاله من مقولة العَلَمية إلى مقولة الجنس أو العكس، وهو ما عبّرت عنه فلوكس (Flaux) بالاشتقاق

"اللاعَلَمي" الملائم "la dérivation impropre" (1992 : 125). ولا يمكن للاسم العلم أنْ يكون من الأسمائية المجازية إلاّ في الاستعمال المجازي (جوناسون214 : Jonasson 1994) حيث يشتمل كالاسم العامّ على سمة أو أكثر تجعله يعمل عمل الوحدة المعجميّة (كربرات أوركيوني C.Kerbrat Orecchioni, 1977 : 172, note2).

2.2 – الأسمائية المجازيّة : أصنافها

قد يختلف الدارسون في تصنيف نوع المجاز الذي تقوم عليه الأسمائية المجازية أو الاسم العلم المتحوّل من المعنى المرجعيّ إلى المعنى المعجميّ... فقد حمّلوا تحوّله إلى المجاز المرسل والاستعارة والكناية والدّلالة الإيحائيّة الحافّة. وتميّز نيلي فلوكس (N. Flaux) بين ضربين من مجاز الاسم العلم : مجاز أسمائي l'antonomase ورمزه Npa وهو اختزال للمصطلح الفرنسي nom propre antonomasé أي اسم علم مستعمل استعمالا مجازيّا مثل "هذه المرأة حقّا مريم الصنّاع" كناية عن الحذق وحسن التّصرف. ومجاز الاسم العلم من باب الاستعارة مثل "زيد أسد" الذي تعتبره مجرّد استعارة أو معنى مجازيّ، Métaphorique ou figuré، وترمز إليه بـــ Ncf وهو اختصار لعبارة nom commun figuré أي اسم عامّ مجازيّ (فلوكس Flaux. 1991, n°92 : 26). أما جورج كليبير (G.Kleiber) فهو يعتبر نوعي المجاز من الاستعارة (فلوكس Flaux : نفسه 33).

وقد ترجمنا هذا التّحويل الدّلالي والمقوليّ للاسم العلم بالأسمائية المجازية التي يتمّ فيها توليد وحدات معجميّة جديدة من الاسم العلم عن طريق المجاز وبقرائن متعدّدة. ويحدث العدول عن اسم العلم إلى اسم الجنس عن طريق صلة دلاليّة رابطة جامعة بين الاسمين كالحديث عن المحلّ عوض الحالّ (Poubelle) و(Limoges)، أوالمسبّبية بدلا عن

السّببيـــة (Boycott). فالعلاقـــة اجتماعية وأخلاقية وجغرافية، والوظيفة توسيع الدلالة وإثراء الرصيد.

إنّ الأسمائية المجازية فرع من فروع الأسمائية العامّة، وهي "استبدال بلاغي يكتسب العلم بموجبه عديد السّمات المعجميّة لعلّ من أهمّها فقدان العلاقة التي تربطه بمرجعه الأوّل والمحسوس" (ز. السائح دحماني 2009 : 152)، فيحوّل من اسم علم إلى اسم عام، كما يحوّل الاسم العام إلى اسم علم.

ويختلف مجاز العَلَم عن المجاز الذي يلحق بالاسم العامّ. فعادة ما يتطلب الاسم العلم المُمَعجم توضيحا حتى يتبيّن المتقبّل الصورة ويفهم مطابقة العَلَم للمفهوم المُمَعْجم. وقد ميّزت اللسانية المختصّة في البحوث حول الاسم العلم (نلي فلوكس Nelly Flaux 2000, 15 : 123) بين صنفين من الأعلام المُمعجمة :

- الاستبدال العَلَمي المُمعجم l'antonomase lexicalisée : وهو استبدال يحافظ على علاقة العَلَم بمرجعه، فيتراوح استعماله بين مقولتي العلم والجنس إلى أنْ يُمَعْجَم تماما مثل sandwich (الشطيرة) وcalepin (الدّفتر).

- الاستبدال العَلَمي الاستدلالي l'antonomase discursive : يولّده السّياق ولا يستوجب من حامله شهرة بل يتطلّب تعليقا واستطرادا وتفسيرا حتى تتوضّح علاقة الاسم بالمفهوم الذي انتقل إليه وأصبح مرادفا له (فكسلير J.L. Vaxelaire 2005 : 275)، إذ لا يتبيّن المتقبّل العلاقة الجامعة بين الاسم روميو وجوليات (Roméo et Juliette) ومعنى التّماهي في العشق، وبين "ترتوف" Tartuffe والنّفاق، وبين أشعب والجشع، وبين جحا والحيلة، ما لم يكن مطّلعا على أخبار هذه الشخصيات وعلى دورها الرّئيسيّ في الحكايات والأقاصيص التي نقلت عنها. فلرفع الالتباس عنها

وتقريبها من القارئ وجب أن تعرّف الشّخصيات بالعودة إلى مراجعها الأصليّة.

وتتحوّل بالمجاز أيضا أسماء تاريخية ساهمت في بناء أحداث مشهورة. أمّا الأحداث العابرة فتنتقل أسماء فاعليها ظرفيا إلى أسماء عامّة وحادثة في وسائل الأعلام وفي الاستعمال خارج القاموس. ولأنّها مجازات علَمية حديثة دالّة على أحداث من الحاضر، فسرعان ما يلفّها النّسيان ولا تحلّ محلّ الاسم الأصلي. من ذلك تشبيه ما عاشه قطاع غزّة من جرائم ومجازر وحصار في حرب ديسمبر 2008 /جانفي2009 ، أثناء العدوان الغاشم الذي شنّه المحتلّ الصّهيوني على الفلسطينيين، بـــ"محرقة القرن الحادي والعشرين"، تشبيها للفظاعات التي لحقت بأهالي القطاع بما عاشه اليهود أنفسهم أثناء الحرب العالمية الثانية بأوروبا، يوم كانوا ضحية قبل أنْ ينقلبوا إلى جلاّد (ز. السائح دحماني، 2009 : 152).

3.2 – الأسمائية المجازية والظواهر المعجمية

تتمثل اهتمامات الأسمائية المجازية اللسانية في البحث عن الجوانب التاريخية والفلولوجيّة للاسم العلم المُمَعْجم. فتدرس التأريخ للأعلام وأصولها اللغويّة، وتكشف عن المعاني الأولى لها قبل تمحضّها إلى الاسمية العلَمية. وأما الكنى المميزة للفرد والخالية من الاعتباط لأنّها نتاج الملاحظة ووليدة حكم أطلق على موصوفها، فإنّها تنتقل من المعنى إلى "اللاّمعنى"، ومن العموم والشّيوع إلى الانفراد والتّخصيص. وبطول الاستعمال تخرج هذه الصّفات من القاموس العامّ، وتقطع صلتها بالرصيد المعجميّ، ويصبح لها دور التّعيين والإشارة. ولأنّها قد فقدت المعنى كالاسم وكاللقب فهي لا تدخل في علاقات معجمية توالفية وتقابلية، التي هي ظواهر من اختصاص الوحدة المعجميّة مثل أحاديّة الدّلالة la monosémie وتعدّد الدّلالة la polysémie والتّرادف la synonymie (الي

روي 20 : Leroy. S 2004). ولكنْ يمكن أنْ نقول إنّ الاسم العلم يقبل كبقيّة ألفاظ اللغة العامّة الاشتراك اللفظي l'homonymie في وضعيتين :

أ – متى نقلت الأعلام عن أسماء الجنس : صقر، مهى، شمس، صخر، كليب، عقاب، برق، قمر، زهرة، سراج... فهي في هذه الأمثلة قد تفيد الجنس وقد تعيّن اسما علما.

ب – متى اشترك أكثر من شخص في نفس الاسم العلم عرضا : زيد1، زيد 2، زيد ن.

إلاّ أنّ هذه الوضعية الأخيرة وإنْ اشتركت فيها الأسماء لفظا، فهي تختلف باختلاف الذّوات : فزيد1 تختلف هويّته وذاته عن زيد 2. لأنّ الأفراد التي تشترك في الاسم الواحد لا تجمع بينها خاصيّة أو معيْنمات معجميّة sémes يمكن أنْ تكوّن المَعْنم الرئيس l'archisémème الذي قد يُسمّى في هذا المثال "الزيدية"، على خلاف "كليْب" الذي يدخل في علاقة اشتمال بانضواء، لانتمائه إلى جنس الكلاب. فلا فرق بين كليْب وكلب إلاّ في خاصيّة التّصغير (ر. جاكبسن178 : R. Jakobson 1963).

إضافة إلى ما ذكر من ظواهر معجميّة تلحق بوحدات اللغة العامّة ولا يخضع لها الاسم العلم باعتباره معيّنا ومشيرا وليس دالاّ وموحيا، توجد علاقات معجمية تراتبية hiérarchique يكون عليها اسم الجنس، وهي علاقات فوقيّة تحتيّة تقوم على أزواج تنازليّة هي علاقة الاحتواء والانضواء أو علاقة الكلّ بالجزء (حيوان / أسد). وعلاقة المشمولات أو المنضويات بالمحتوى تتساوى فيها العناصر المتكافئة وتنضوي تحت نفس المحتوى (عصفور، حمامة، صقر / طير) (ز. السائح دحماني 2009 : 154).

كما لا يقبل العلم في مستوى لسانيّ معجميّ علاقات التقابل التي نجدها في الاسم العامّ كطفل وكهل وشيخ أو كامرأة ورجل. وإنْ وجد

تقابل فيكون في علاقات التطابق التركيبي مثل "ذهب أحمد وذهبت سلمى"، أو عند ظهور علامة الجنس كسالم وسالمة.

4.2 – علاقة الأسمائية المجازية بالدلالة

أمّا على المستوى الدّلالي، فالاسم العلم ليس خاليا من المعنى حتى قبل تحوّله. فهو دالّ لأنه يعيّن، ولأنّه يخصّص، ولأنّه يشير، ولأنّه يُنادى به. وهو دالّ عند التأصيلي، وعند الباحث في علم السّلالة، وعند عالم فقه اللغة، وعند الجغرافي، وعند من أطلق الاسم على مسمّاه. وهو دالّ دلالة زمانية تاريخيّة بتحوّله عن طريق الاستبدال المعجمي. وهو دالّ دلالة آنية بتحوّله عن طريق الاستبدال الآني (فلوكس N.Flaux 2000, 15 : 123). فالاسبتدال يكسب العلم دلالة، ويُحيل على فكرة أو مفهوم أو مصطلح، فيتحوّل من العَلَمية المطلقة إلى العَلَمية الجزئية مع المشاهير والاستثنائيين والمذاهب كأينشتاين وسقراط ومالكيّ... ويعوّض المرجع بالمفهوم، فإذا قلت "إنه أينشتاين" يعني أنه نابغة لُمَعة، وإذا نعتّ أحدهم بالعنتري يعني أنّه فارس مغوار. وبذلك تصنّف الأسماء عند انتقالها من اللاّمفهوم إلى المفهوم عن طريق المَعْجمة الدّلالية أي المجاز الأسمائي، إلى صنفين :

أ– صنف يتحوّل نهائيا فيتغيّر مرجعه ويصبح دالاّ على الأشياء والأفكار والمصطلحات، ويدخل القاموس فيكتسب مدلولا، من ذلك :

(فطيرة) : اسم جنس ← sandwich اسم عامّ ← اسم علم Lord Sandwich :

(مقاطعة، قاطَع) اسم جنس← boycott اسم عامّ ← اسم علم Charles Boycott :

(فقدان الذاكرة : اسم مرض) ← alzheimer : اسم عامّ ← اسم علم : Dr. Alzheimer

(شلل ارتعاشيّ : اسم مرض)، parkinson : اسم عامّ ←اسم علم : Dr. Parkinson

ب – صنف يتحوّل ظرفيا للدّلالة على الأفكار، ويتّصل بأسماء أشخاص مشهورين فيتحوّل إلى دلالات ومفاهيم، ثم يعود في سياقات أخرى إلى وضع تعيين الذوات مثل :

ناصري، الناصرية، تنصّر : ذو انتماء سياسي لمذهب الزعيم المصري الوحدوي جمال عبد الناصر (1918–1970).

Gaulliste, le gaullisme, être gaulliste : ذو انتماء سياسي لحزب الرئيس الفرنسي شارل ديغول (1890–1970).

يكون تحوّل الاسم العلم إلى اسم عامّ عن طريق المجاز، فلا يفقد في هذه الحالة خاصيته العَلَمية. أمّا إذا تحوّل عن طريق الاستبدال البلاغي فإنّه ينتقل إلى الرّصيد العام ويُمَعْجم، فيصبح علامة بدالها ومدلولها ومرجعها الجديد. وكلّما قلّت شهرة العَلَم، سهل تحويله بالمَعْجَمة وإدماجه في الاستعمال والقاموس، وتوسيع حقله الاشتقاقي والدّلالي. لذلك فإنّ المدخل"sandwich" أُثبتُ في القاموس العامّ باعتباره وحدة معجميّة مُمَعْجمة من لفظ "ماركسي" الذي ظلّ محيلا إلى الاسم العلم كارل ماركس(Karl Marx). فالأوّل يعرّف كشيء، بينما يعرف الثاني كمذهب يوصف به المنتمون إلى نظريّة الفيلسوف والسّياسيّ الألمانيّ المعروف كارل ماركس (1817–1883).

1.4.2 – الأسمائية المجازيّة والتّوليد الدلالي

وتدخل الأسمائيّة المجازية ضمن قواعد التّوليد الدلالي فتتولد عنها معان واستعمالات جديدة لوحدات معجمية لم تكن ضمن الرصيد. ويجمع بين الاسم العلم الذي يصبح عند تحوّله دالاّ وبين صفة من صفات حامل الاسم التي تصبح مدلولا، علاقة تضمّن كما في المثال السابق harpagon

الذي كان في بداية استعماله اسما أطلق على بطل مسرحية البخيل *L'Avare* للكوميدي الفرنسي موليير Molière (1622–1673). ولأنّ هذا الاسم مبرَّر motivé، فقد تحوّل من التخصيص إلى التّعميم، وانتمى إلى البنية الكبرى للقاموس الفرنسي، فأصبح له تعريف لغوي وسياقات استعمال. إنه في وضعيته المعجميّة الجديدة لا يعيّن فردا متفرّدا بل يمثّل اسم كل الأفراد المصنّفين ضمن فصيلة "البخلاء". فالأسمائيّة المجازية التي هي استبدال دلاليّ تمكّن الاسم العلم من دلالة كان يفتقر إليها قبل أنْ يُمَعْجم ويولَّد منه، وقبل أنْ يتحقّق في مقولات تصريفية كالتّعريف والتّنكير والعدد، وفي مقولات اشتقاقية كالفاعلية والمفعولية والحدثيّة والزيادة المعجميّة. فيكون التّحوّل الطارئ عليه تحوّلا صرفيّا وتركيبيّا ودلاليّا.

2.4.2 – الأسمائية المجازية والتّحويل

اقتصرت الأسمائية المجازيّة في البداية على تعويض الاسم العلم المشهور بصفات بسيطة أو دالّة عليه دلالة تسلسل ونسبة أو مشتملة على عنصر وصفي لخصيصة من خصائصه البارزة كشاعر الخمرة لأبي نواس وأمير الشعراء لأحمد شوقي وشاعر المرأة لنزار قباني والأمين للرسول محمد والصديق للخليفة أبي بكر ومؤذّن الرسول لبلال وأم المؤمنين لعائشة. فهي صفات وكنى من اللغة العامة يكنّى بها الأفراد فتحلّ محل الأسماء، وقد تعوّضها تماما فتُنسى الأسماء الأصلية كتأبط شرّا (ثابت بن جابر، ت 530 م). ولم يكن قد تمّ التّحويل من الاسم العامّ إلى الاسم العلم في هذه الفترة من تاريخ الأسمائيّة المجازيّة في اليونانيّة (نلي فلوكس Nelly Flaux 1992 : 118)، فكان مفهوم الاستبدال العلمي المجازي يعني "إبدال الاسم العلم بتركيب اسمي مساو له مرجعيا" (نفسه : 118). ثم توسّع مجاله، فأصبح الاستبدال ممكنا في الاتجاهين : من الاسم العلم إلى الاسم العامّ، ومن الاسم العامّ إلى الاسم العلم، لوجود علاقة

مشابهة ومماثلة بين سمة بارزة من سمات مرجع الاسم العامّ وما يشبّه به. فتكون السّمة جامعة، أمّا المراجع فتبقى مختلفة كما تبينه الأمثلة التالية :

(1) أحمد طفيليّ (= طماع) : المرجع الذي يحيل إليه أحمد غير المرجع الذي يحيل إليه الطفيلي.
(2) إنه سليمان (= حكيم) : هو ليس سليمان النبيّ ولكنه يتّصف بالحكمة. فالحكمة وسليمان النبيّ يستبدلان.
(3) كأنك أيوب (= صبور) : صفة النبيّ أيّوب الصّبر. وكلّ صبور يشبّه به.
(4) Mécène) C'est un mécène اسم رجل اشتهر بتشجيع الكتّاب والعلماء والفنّانين) : من يحبّ الكتب وكتّابها فهو مثل Mécène : عُدول عن التّعيين إلى التّعميم.

فالاسم العامّ يتحوّل إلى اسم علم عندما يبلغ المرجع أعلى درجات الشّهرة والاتّصاف بصفة غالبة في الاسم العلم. فنقول عن أستاذ فلسفة متميّز : "جاء أرسطو"، وعن شاعر فذّ كرّس حياته ونظمه لقضايا وطنه كأبي القاسم الشّابي : "وُلد شابّي جديد"، وعن زعيم يعادي الصّهيونية كتنظيم عنصريّ بغيظ وينادي بوحدة الأمّة "إنه ناصر الأمّة الجديد".

وفي المقابل يعوّض الاسم العلم باسم عامّ بسيط أو مركّب أو معقّد، عندما يتّصف حامل الاسم بخصيصة لا يشاركه فيها مرجع ثان، فعميد الأدب العربي هو طه حسين، والعذراء هي مريم البتول، وصقر قريش هو عبد الرحمان الداخل (713م–788م)، وأم المدائن هي مكة المكّرمة، وعروس الصحراء هي مدينة تدمر، وجزيرة الأحلام هي جربة، ومدينة الأنوار هي باريس. فقد جعلت الأسمائيّة المجازية من صفات أسماء الأعلام التي هي أسماء عامّة مستبدلة، أسماء أعلام جديدة تقوم مقام أسماء الأعلام الأصلية. دون أن تقوم مقامها.

ويظهر وجه ثالث من أوجه الأسمائية المجازية أقرب إلى الاستعارة يحلّ فيه الاسم العلم محلّ اسم علم آخر دون أنْ تتغير المراجع من ذلك :

محمود درويش متنبي القرن العشرين.

Louis XIV est un Jules César (Vaxelaire 2005 : 271 فكسلير)

"لويس الرابع عشر(هو) جيل سيزار"

ولا يمكن لهذا الضرب من التحوّل أنْ يتحقّق ما لم تتوفّر سمات مشتركة بين المتحوّل عنه والمتحوّل إليه، ينتج عنها استبدال دلاليّ ونحويّ ومقوليّ hypostase، ودون أنْ يطرأ عن التّحويل تغيير في السّمات المعجميّة الأساسية كما في المثالين :

1 – أفلاطون تلميذ سقراط.

2 – أفلاطون تلميذ الفيلسوف.

فسقراط في (1) اسم علم سمته [+ إنسان]= غير محوّل، فهو عَلَم ثابت. والفيلسوف في (2) = سقراط، فهي صفة اشتهر بها سقراط دون غيره، سمتها [+ اسم عامّ]، محوّلة من الاسم العامّ إلى الاسم العلم عن طريق الاستعارة.

ويكثر الانتقال المجازيّ في الأسمائية الأدبية كما سنتبين ذلك في الباب الثاني من هذا العمل، حيث يكاد لا يخلو اسم علم من الدلالة الإيحائية.

وقد سمّى فونتانيي (Fontanier 1997 : 119) الأسمائيّة المجازيّة "مجاز الفرد" ووسّع إمكانيات الاستبدال لتشمل الاتّجاهات التّوليدية التالية :

1 – اسم علم ← اسم عام : تَوْنَسة القطاع.

2 – اسم عام ← اسم علم : الفيلسوف (=سقراط)، المعلم : (=ابن سينا).

3 – اسم علم ← اسم علم : أحمد سقراط القسم (استعارة صفة النّبوغ الفلسفي من سقراط)

4 – اسم علم ← اسم جنس : عربيّ.

اسم علم : العربيّ.

فما هو جديد هو النوع الاستبدالي الثالث، ويعني به فونتانيي (Fontanier) أنْ تقدم شخصا باسم غيره. وسبب هذا الاستعمال هو الخلط بين الشّخصين، أو مطابقة أحدهما للآخر في سمة من السّمات وهو المعنى المقصود بـــ"أحمد سقراط القسم". ولعلّ ما يؤكّد هذا التّماثل بين الاسمين إلى حدّ الامتزاج هو غياب أداة التّعيين. وهو استعمال لا يقبله التركيب العربي، فلا يحلّ الاسم العلم محلّ الصفة لأنّه موصوف وليس وصفا.

أمّا الصنف الرّابع فهو طريف، ومن أمثلته ما ذكره صاحب المقترح ونقلته عنه فلوكس Flaux (1992 : 120) :

1 – اسم علم ← اسم عام :

أ – يهوديّ : منسوب إلى اليهود وهم قوم من أصل ساميّ.

ب – يهودي : بمعنى من يقبل الرّبا ويبيع بسعر باهظ جدا.

أ – عربيّ : منسوب إلى العرب وهم أمّة ساميّة الأصل منشؤها شبه جزيرة العرب.

ب – عربي : من يطالب بما هو له بكل شدة.

حلّ الاسم العامّ الدال على الرّبا والشدة (يهودي، عربي) في المثالين (ب) محل الاسم العلم "اليهودي" و"العربي" في المثالين (أ)، والاستعمال في (ب) استعمال مجازيّ غير مُمَعْجم.

2 – اسم عامّ ← اسم عامّ : أما استبدال اسم عامّ باسم عامّ فالغرض منه تقوية المعنى. وعادة ما تذكر عديد الأسماء العامّة التي تكاد تكون تداوليّة مترادفة في تركيب واحد (فلوكس; 120 : N.Flaux ;1992). واشترطت فلوكس للاستبدال قواعد هي :

أ – الاسم العلم المجازيّ هو اسم علم لا يعيّن مرجع حامله الأصلي بجامع المشابهة بين خصائص المرجع المشار إليه وخصائص الحامل الأصليّ.

ب – عندما يكون الاستبدال معجميّا تثبت صورة العَلَم المجازي أطول مدة زمانية ممكنة، يتمّ فيها ربط الصلة بالمرجع الأول.

ج – يشترط في الاستبدال المُمَعْجم، l'antonomase lexicalisée أنْ يكون حامل الاسم ذائع الصّيت، ولا يشمل هذا الشرط الاستبدال الاستدلاليّ l'antonomase discursive.

د – الأسمائية المجازية ليست خاصّة بأعلام الأشخاص، بل إنّ أسماء الأماكن والأزمنة تتحوّل وتقبل الاستعمال المجازيّ.

– بيروت، باريس الشرق !

– تحرّكُ الطلبة في فرنسا ينبئ بأحداث "ماي 68" جديدة.

إنّ ما به يتمّ تجوّز الاسم العلم هو تغيير المقولة وحضور أداة التّعيين في بعض اللغات، ووسمه عددا أحيانا، فيصبح الاسم "سيبويه" على سبيل الذكر ممثّلا لقسم النّحاة الذين لهم نبوغ صاحب الكتاب وعبقريته وتخصّصه. فإذا قلنا "أحمد سيبويه القسم" يعني أنّ السمات العلميّة التي يتّسم بها المرجع الأصلي أصبحت تمثّل مدلول اسم عامّ متحوّل عن الاسم العلم "سيبويه" بدلالة ضمنية حافة هي "النحوي" أو هي "اللّغويّ العبقري". فلا يتغير المرجع الأصليّ، ولا يحيل سيبويه في " أحمد سيبويه القسم "

على نفس مرجع "سيبويه أبي بشر". فالعَلَم يحافظ على مرجعه رغم قبوله المجاز، ويكون من الأسمائية المجازية التي يدلّ عليها السّياق في العربية ويؤكدها حرف التّاج في الفرنسية :

Pierre est un Don Quichotte (M. N. Gary-Prieur 1994 :
(غاري بريور133

بيار هو دون كيشوت.

أحلام مستغانمي نوال سعداوي الرواية المعاصرة.

وقد يحوّل الاسم العلم بالاستعارة المعجميّة، يلاحظ ذلك في تغيير كتابة ما كان اسما علما بحرف مطبعيّ عاديّ minuscule مثل أدونيسadonis وتعني الشاب الوسيم، وهو في الأصل اسم إله ميثولوجي فينيقي، وbechamel وهو مرق أبيض اللّون نسبة إلى مكتشفه المركيز لويس دي بيشمال(1630–1703) رئيس نُدُل الملك لويس الرّابع عشر، وcartésien (1665) بمعنى عقلانيّ وcartésianisme (1667) بمعنى العقلانيّة، وهما اسمان عامّان محوّلان بالمَعْجمة عن الفيلسوف الفرنسيّ ديكارت Descartes (لي ساي J. D. Lesay : 2000) وخوارزميات في العربية نسبة إلى عالم الرّياضيات عبد الله الخوارزمي (780–850).

يعتبر هذا التّحويل توليدا معجميّا من الأعلام وانتقالا بها من الوظيفة المرجعيّة إلى الدّلالة المعجميّة والمفهومية، ومن التّفرد والخصوص إلى الشّيوع والعموم. ثم إنّها تنتقل مع مرور الزّمن من الاستعمال المجازي إلى الاستعمال الحقيقي، فتصبح فردا معجميّا مثل اللفظ الفرنسي sadisme بمعنى التّلذذ بإيلام الغير، نسبة إلى الكاتب الفرنسي المركيز فرنسوا دي ساد le Marquis François de Sade (1740-1814). وعلى العموم تكون مراجع هذه الأسماء معروفة ومشهورة، وتكون طريقة تجوّزها قائمة عادة على علاقة من علاقات المجاز

المرسل. ثم يُنسى مع طول الاستعمال أصل اللفظ ويصبح المجاز حقيقة والعَلَم "المتصلّب" وحدة معجمية.

ليست القيمة التّعيينية هي التي تلفت الانتباه في الاستعمال المجازيّ، ولا يقصد من الأسمائية المجازيّة إبراز هويّة المرجع الأصلي، فقد أصبح للاسم العلم المجازيّ وظيفة وصفية إلى جانب قيمته المرجعيّة. وللخصائص التّمييزية التي يتّسم بها الفرد دور في نقل العَلَم من اللاّمعنى إلى معنى ضمني مُكتسَب. فقد ميّزت جوناسون بين صنفين من الأسماء الأعلام المحوّلة بالأسمائية المجازيّة، ولكلّ صنف خصائصه التّمييزيّة دلاليّا وتركيبيّا (كريستين جوناسون K. Jonasson 1994 : 220-224) :

- فأمّا الضرب الأول فقد اعتبرت تأويله مصطلحا عليه وثابتا "conventionnalisé et...assez stable" (نفسه : 224). فهي مجازات مُمَعْجمة.
- وأمّا الضّرب الثّاني فمجازيّ ولكنه غير قابل للمَعْجمة لأنّه سياقي كلامي.

3.4.2 – الأسمائية المجازية المُمَعْجمة

إنّ تأويل الصورة المجازيّة المعبّر عنها بأسماء أعلام مثل أشعب وطفيل وقارون، ومثل دون خوان ودون كيشوت وهِرَقل وطرزان، تأويل متّفق عليه وثابت، فهو يقرّب الأعلام من المفاهيم والأسماء العامّة بمعجمة دلالتها الضّمنية. ويتمّ حسب جوناسون تمييز هذا الصّنف من الأسمائية المجازيّة بالخصائص التّالية :

أ – الشخصيات التي ترجع إليها الأسماء يجب أن تكون شخصيات معروفة : تاريخيّة وخياليّة وأدبيّة وفنيّة وسياسيّة، توحي إلى معان مخصوصة وثابتة كشهرزاد رمز ذكاء المرأة ووصبرها على الصّعاب،

وقيس ليلى رمز العشق القاتل، والجازية الهلاليّة رمز الجمال والشّجاعة والوطنيّة.

ب – ولأنّها شخصيات مشهورة، تكفي الإشارة إليها بالاسم دون اللقب أو باللقب وحده، فيتّفق المتكلّم والمخاطب على ما تحيله عليه من معان. فإذا قلنا "هتلر" لا نحتاج إلى إضافة الاسم أدولف للتّعريف بشخصية حامل الاسم، والتّذكير بالوجه اللاّإنساني لهذا المستشار الألماني وبما ألحقه بالإنسانية من دمار خلال الحرب العالميّة الثّانية. فاسم هتلر مقرون بالحرب والإبادة وبغض الجنس البشري، وهو المتسبّب بسياسته العنصريّة في مأساة الشّعب الفلسطينيّ واغتصاب أرضه.

ج – تصاحب الأعلام المجازية المُمَعْجمة في الفرنسية بمفاعيل وتسبق بأداة تعيين غالبا ما تكون نكرة indéfini ومن ذلك :

ليس "موليير" : ce n'est pas **un** Molière

حيث يرمز الاسم العلم "موليير" إلى الإبداع الكوميدي والسّبق في الإنتاج المسرحي الغزير ومعالجة ظواهر اجتماعية سائدة في عصره.

د – يمكن أن تلحق بالعلَم المحوّل علامة الجمع « s » للدّلالة على معاني الكثرة والتّعظيم والتّحقير، حسب صفات كلّ علم.

4.4.2 – الأسمائية المجازية غير المُمَعْجمة

تمثلها أسماء أعلام مستعملة استعمالا مجازيّا في سياق ظرفي معيّن، ثم تفقد هذه الأصناف مع مرور الزّمن انتماءها إلى المجاز العلَمي وتلتحق بالمعجم، لأنّ الرابط الذي يربطها بمرجعها الأصلي الأول قد ضعف، إلى أن انقطعت الصلة به تماما. فالمصطلح الفرنسيّ poubelle بمعنى حاوية أصبح لا يستعمل إلاّ للتّعبير عن الحاوية ولا يفكر مستعملو اللغة في علاقة اسم الجنس باسم العلم "بوبال" (E .R.Poubelle) والي مدينة باريس وواضع الحاوية، باستثناء من يبحث في تأصيل الألفاظ

بطبيعة الحال. وكذلك لا يتفطّن المتكلّم العاديّ، ما لم يكن مطّلعا على أصل الكلمة، إلى أنّ لفظ sandwich، أي الشّطيرة ، هو من أصل عَلَميّ منقول وليس موضوعا. ويتّفق المتكلّمون بالفرنسية على أنّ calepin يعني الكنّش الصغير لتسجيل الملاحظات، ولا يربطون صلة بين اللفظ واسم العلم الإيطالي Calepino (1435-1511)، صاحب القاموس اللاّتيني الضخم (1502م) كورنوكوبيا cornocopiae (لي ساي J. L Lesay 2000 : 61)

تمثّل هذه الأسماء الأعلام غير المُعجمة انزلاقا مرجعيّا ودلاليّا، وتختلف في طبيعتها عن الأعلام التي تحوّلت من اسم علم إلى اسم عامّ لتدلّ على مفاهيم دون أن تقطع علاقتها بمراجعها الأولى الحقيقيّة أو الخياليّة (نفسه : 16) مثل"تارتوف"tartuffe الدالّ على معنى النّفاق، والعَلَمين "روميو وجوليات" Roméo et Juliette وما يوحيان به من معنى العشق والهيام... وأشعب المحمّل بمعنى الجشع والطمع، والطائي الدّال على معاني الكرم والسّخاء وحسن الضيافة.

وسواء أكان العَلَم المجازي مُمعجما أم غير ممعجم فهو يقبل في الفرنسية تراكيب تحويريّة تحوّله معجميّا وأحيانا مرجعيّا مثل :

(ضَرْبٌ من + ع.ا) une sorte de np

(حقيقي + ع.ا) une véritable, un vrai + np

ويفهم من هذه التراكيب أنّ المرجع المقصود بالكلام ليس حامل الاسم الحقيقي. أمّا فونتون ماغلي (Magali Fontant 1998 n°2 : 6) فتقسّم الأسمائية المجازية إلى توليد دلاليّ بالكناية la métonymie، ويشمل الأشياء التي لها علاقة مباشرة مع حامل الاسم مثل poubelle، أو المنتجات التي تستعار أسماؤها من أسماء منتجيها ومن أماكن إنتاجها مثل فورد Ford ورونو Renault وشامبانيا Champagne. وأمّا القسم الثاني من الأسمائية المجازيّة فيقوم على الاستبدال بتحوّل الاسم العلم إلى اسم

عام تحوّلا ظرفيا أو معجميّا مثل حاتميّ من "حاتم الطائي"، وmécène بمعنى راعي العلوم والفنون والآداب نسبة إلى مايسيناس C.C Maecenas (69–3 ق.م). وتعتبر فونتون الاستبدال المجازي طريقة صرفية ودلاليّة لتوليد ألفاظ جديدة بانتقالها من مقولة العلم إلى مقولة الجنس وما يتبع ذلك الانتقال من بناء مقولات اشتقاقية وتصريفية، وإكسابها معنى معجميّا يجعل منها علامة لغويّة بوجهيها بعد أنْ كانت تفتقد في وضع العلم إلى المعنى.

وتتحقق المَعْجمة متى أمكن للمجموعة اللغوية أنْ تنتقي سيميّا خصائص الاسم، فتقوم هذه المكوّنات السّيمية مقام المدلول الجديد للوحدة المعجميّة أو للمفهوم، وتُعرّف بها في القواميس العامة والمختصّة تماما كما يعرّف الاسم العام بمكوناته المعجمية الدنيا وهي المعيْنمات. ويصبح الاسم المُمعجم دالاّ على قسم الأشياء أو الأشخاص أو المعاني بعد أنْ كان يشير إلى فرد معيّن واحد. ومن أمثلة ذلك ما نقرأ في القواميس العربية العامّة من تعاريف لكلّ من أشعب وعنترة.

1 – "مدخل عنترة " :

أ- تعريف لغوي : – " العنتر : الشّجاع . والعنترة : الشجاعة في الحرب وعَنْتَرهُ بالرّمح : طعنه (...) والعَنْتَر والعُنتَر والعَنْتَرَة، كله : الذباب الأزرق(...)، سمّي عنترا لصوته(...)، شديد الأذى(...). والعنترة : السلوك في الشدائد". (*لسان العرب* لابن منظور 1998 ، 9 : 417).

– "عنْتَر الذباب الأزرق : صات وطَنّ، وعَنْتَر فلان : شجُع في الحرب، وعَنْتَر : سلك في الشدائد، وعنْتَر فلانا بالرمح : طعنه به. العنْتَر : الذباب الأزرق واحدته عنترة" (*المعجم الوسيط* 1985، 2 : 653).

ب – تعريف موسوعي : – "عنترة : اسم رجل. وهو عنترة بن معاوية بن شداد العبسي." (*لسان العرب* 1988 ، 9 : 417).

– لم يذكر المعجم الوسيط تعريفا موسوعيّا لعنترة بن شداد.

نلاحظ أنّ كل معاني المدخل "عنترة" تدور حول الشّدة والبأس والحرب، فاسم عنترة رمْز في العربيّة لكل هذه الأوصاف، " رمز مكتمل للحرب والبطولة والخلق الكريم، رمْز لِمَا كان أو لِمَا يظنّ الخيال الشعبي العربي أنّه كان، ورمْز كذلك لما نودّ أنْ يكون. بل هو شخصيّة مثقلة بالرّموز، مُشْبعة بعناصر الإيحاء". (مبروك المناعي 1987 : 146). واتخذ اللّفظ "عنترة" في تحوّله شكلا دائرياّ، فانطلق من الاسم العامّ (الشّجاعة في الحرب)، وانتقل إلى اسم علم مشهور(عنترة بن شدّاد الشاعر والفارس)، ثمّ تحوّل مجازيّا إلى اسم عامّ فأصبح رمزا للشجاعة والبطولة والإقدام، واشتقت منه صفات وأفعال مثل عنتريّ وتَعَنْتر يَتَعَنْتر. ولم تقتصر الّرمزية على الاسم وحده بل إنّ " اسم الأب (شدّاد) واللقب (العبْسيّ) يعمّقان في هذا البطل صلة بالحرب لا تقبل فكاكا"(نفسه : 145).

2 – مدخل "أشعب" :

أ– تعريف لغوي : – " الشّعب : الجمع. الشعب : الصدع (...) يقال أشعبه فما ينشعب أي فما يلتئم (...) التشعّب : التفرّق (...) وشاعبت نفس فلان أي زايلت الحياة وذهبت (...) شَعَبَ وانشعب وأشعب أي مات (...). شعوب : من أسماء المنيّة"(*لسان العرب*، 7 : 125_130).

– شَعَبَ الشئ : تفرّق، وإليه نزع واشتاق، وعنه : بعُد(...)، أشعبَ الشئ : أصلح صدعه (...). وشعّب الزرعُ : صار ذا شُعب(...). ويقال انشعب القول بصاحبه : "أخذ به من معنى إلى معنى. (*المعجم الوسيط*، 1 : 502–503).

ب- تعريف موسوعي : - " أشعبُ : اسم رجل كان طمّاعا. وفي المثل : "أطمع من أشعب". (*لسان العرب*، 7 : 130).

- "أشعبُ : اسم رجل في المدينة كان مولى لعثمان بن عفّان، وضرب به المثل في الطّمع، فقيل "أطمع من أشعب" و"طمع أشعبيّ". (*المعجم الوسيط*، 1 : 502-503).

وقد ذكرت فونتون (M. Fontant) نقلا عن جوزات راي دي بوف (Josette Rey Debove) سبع حالات اعتبرتها خليطا بين العَلَميّة والاسم العادي ودخلت بموجبها الأسماء الأعلام إلى القواميس (1991, n°2 : 147) هي :

1 – الكلمات المُعجمة عن طريق الأسمائية المجازية المتولّدة عن أعلام مشهورة مثل صفة "شكسبيري" Shakespearien.

2 – الكلمات المشتقّة من الاسم العلم عن طريق الأسمائية التّوليديّة la déonomastique فتكوّن حقلا اشتقاقيا كاملا، ومثاله في العربية طفيلي وتطفّلَ تطفّلا، وما تولد عنه من مقولات اشتقاقيّة متعدّدة. ونذكر من أمثلة الأسمائيّة التّوليديّة في الفرنسية دون جوان Don Juan بمعنى زنديق، وتزندق donjuaniser وما تولّد عنه باللّواحق من كلمات تحمل في دلالتها العامّة معنى الاستهتار والفسوق.

3 – كلمات سمّتها اللّسانيّة" الأسماء الأعلام المغلوطة". وهي أسماء العلامات والمنتجات ذات الطابع الإشهاري، تتواتر بكثرة في الاستعمال، مثل "تويوتا" السّيارة اليابانيّة و" ريكار" وهو نوع من الخمور الفرنسيّة.

4 – الأسماء الأعلام المتكوّنة من وحدات معجميّة مركّبة أو معقّدة، بإمكان كل مكوّن من مكوّناتها أنْ يستقلّ بذاته في القاموس والاستعمال مثل البحر الأحمر، والمحيط الهادي، وسُرَّ مَنْ رأى، وشاب قرناها.

5 – تراكيب يحمل الاسم العلم مدلولها أكثر مما يدلّ عليه المحوّر السياقي من ذلك :

كل الطرق تؤدي إلى روما.	Tous les chemins mènent à Rome.
مناقشات جوفاء.	discussions bysantines.

. أو ألفاظ ومصطلحات أصلها اسم علم أصبحت دالّة على المرض ومنقولة عن مكتشفها أو عمّن وضع لها علاجا مثل مرض الألزيمر.

6 – تعريب الاسم العلم أو نقله، وإكسابه شكلا عربيا أو فرنسيا arabisé ou francisé مثل النّمسا والبندقية وجزر القمور والقدس والمجر...

7 – الأسماء الأعلام المعروفة جدّا مثل جحا وأشعب وشمشون وجان دارك...تنتقل إلى أسماء مجازيّة لاشتهار مرجعها بخصيصة متميّزة . وتصبح رموزا موحية بدلالات ومقترنة بقيم أخلاقيّة وإنسانيّة أو لاإنسانيّة، كالغباء والطّمع والقوّة والتّضحية... فخصيصة المرجع يجب أن تكون بارزة حتىّ تبرّر التحوّل الدّلاليّ للاسم العلم والقياس عليه، وتفسّر علاقة الدالّ الذي هو الاسم العلم بالمدلول المكتسب مجازيا من سمات المرجع، والمكونّ لعلامة لغوية طارئة أو ثابتة.

يعد التّوليد المجازيّ من أهمّ قواعد إثراء المعجم الذي يتمّ به تحميل دالّ موجود في اللغة مدلولا أو مداليل جديدة بواسطة المجاز. فتطرأ تغييرات على الدّلالة الأصليّة بالّتوسيع والّتعميم، أو بالّتضييق والّتخصيص. ورغم أنّ ظاهرة الّتوليد اللغوي بالمجاز هي من خصائص الوحدة المعجمية الدّالة، فإنّها تطبّق في كثير من الأمثلة على الاسم العلم الذي من خصائصه التّعيين لا الدّلالة، وذلك لأسباب عديدة منها : تداوله بين الناس واشتهاره وتميّزه بخصيصة مّا. ويتمثل المجاز في علاقة المرجع بحامل

الاسم أو ما يحيل إليه. هل هي علاقة مباشرة أم غير مباشرة ؟ وهل هذه العلاقة بين صاحب الاسم ومرجعه علاقة تامّة ؟ أم جزئية ؟ وإلى أيّ مدى يمكن للأسماء الأعلام أنْ تتحوّل مجازيا وتولّد وحدات معجمية قادرة على أنْ تنتمي إلى الرصيد اللغوي العامّ وتثبت في الاستعمال وتنفصل تماما عن مراجعها الأولى ؟ وما هي قدرتها على إثراء المعجم والقاموس ؟

سنحاول من خلال الفصل الموالي معالجة هذه القضايا والإجابة عن عديد الاستفسارات.

الفصل الثالث

الاسم المحوّل والاسم الثابت

رأينا أنّ اللسانيات قد عرّفت الاسم العلم صوتيا وصرفيا وتركيبيا ودلاليا. فعلى مستوى النطق يخضع الاسم العلم كالاسم العام لقواعد الانسجام وعدم التّنافر التي يقوم عليها الائتلاف الصوتي للّغات، إلاّ إذا تعلّق الأمر باسم منقول من لغة أجنبية. أمّا صرفيّا فيختلف الاسم العلم عن الاسم العام في مقولة العدد. فالعلم لا يثنّى ولا يجمع عادة. ولكن هذه القاعدة ليست مطلقة. فكثير من الأسماء الأعلام وخاصة الألقاب جاءت في العربيّة على صيغة الجمع مثل زعاترة وفراعنة وصوالحة وعريقات. ويميّز تركيبيا بين صنفي الاسم بمقولة التّعيين تعريفا وتنكيرا. ولكن في هذا ما يخالف القياس، وخاصة في بعض اللغات كالعربية التي ترد فيها بعض الأسماء الأعلام مركبات معقّدة ومثال ذلك المستنصر لدين الله، وجاء وحده، أو تكون معرفة مثل الطاهر والبيومي. ومنها في الفرنسية دي بوا (Dubois)، دي بوف (Debove)، دي غول (De Gaulle). وقد تكون الأداة حادثة ووليدة السّياق. وهذه الظاهرة التي سنتناولها بالتّحليل في هذا الفصل الخاصّ بالثّابت والمتحوّل تمثّل وجها من وجوه ثراء استعمال الاسم العلم في الفرنسية وطريقة من طرق توليد وحدات معجميّة جديدة وكثيرة بواسطة الأسمائية المجازية. وهذه الظاهرة أقرّتها اللغة، وسجّلتها القواميس العامّة والمختصّة، وأرّخت لها القواميس الخاصّة بتحوّل الأسماء الأعلام إلى أسماء عامّة، وهي قواميس لسانية تطوّرية،

فتابعت مراحل انتقالها من نوع إلى نوع ضمن المقولة الواحدة وهي مقولة الاسم (لي ساي J. D. Lesay 2000).

1.3 – الاسم العلم المحوّل وما يثيره من قضايا

يتحوّل الاسم العلم إلى اسم عام تحوّلا عرضيّا ظرفيّا مثل دلالة أشعب على الطّمع، و"دون جوان"(Don Juan) على الفسوق، أو تحوّلا مُعَجْما "ومن أمثلة تحوّل اسم العَلَم إلى اسم عامّ إطلاق أسماء أشخاص على مآكل (مثل سندويتش Sandwich)، أو نقود (مثل لويز من Louis)، أو إطلاق أسماء مدن على أنواع من الخمور (مثل بوردو من Bordeaux). ومن أمثلة تحوّل الاسم العامّ إلى اسم علم إطلاق "الزّيتونة" على جامع بعينه هو جامع الزيتونة بتونس، و" الرّباط"– وهو مكان المرابطة عامّة– على مدينة بعينها هي المدينة المغربيّة المعروفة "(ابن مراد 2003 : 49 – 2010 : 29 – 30). ويتحوّل الاسم العلم تحوّلا سياقيّا تركيبيّا عندما تلحق به أدوات التّعيين، للتّنكير أو للتّعريف أو المشيرات المقامية، وأهمّها أداة الإشارة مثل "هيغو الشباب" (le Hugo de la jeunesse)، جون هذا (Ce Jean).

أما الأداة القارّة في الأعلام المفردة مثل الله والغار والسّقيفة والشّجرة فليست لها وظيفة تحويليّة، وتعدّ أداة عرفية زائدة ولكنّها لازمة لا يخطئ أبناء المجموعة اللّغوية الواحدة والثّقافة المشتركة في تأويلها. فالغار يحيل على غار حراء مكان انزواء الرّسول عليه السّلام حيث نزل عليه الوحي وليس أيُّ غار لذلك يلازمه التّعريف، والكعبة لا تشبه أيّ كعبة أخرى، وما الألف واللام إلاّ دلالة على تفرّدها وتخصّصها. إنّ انتقال الاسم من قسم إلى آخر، وخاصة من صنف الاسم العلم إلى صنف الاسم العامّ شرطه الشّهرة وكثرة التّداول، "فالاسم العلم شاربنتي Charpentier أصله اسم عام، والاسم العام باريم barème بمعنى ضبط الموازنات، متحوّل عن الاسم العلم" (غاري بريور Gary-Prieur : 1991,

27 : n°92). فالتّحول داخل نفس المقولة الاسمية أيسر مع الاسم العلم في اتّجاه الاسم العامّ، وخاصة بظاهرة التحوّل التركيبي la modification عن طريق الأدوات المعيّنة والمشيرات المقامية.

أُستعمل مصطلح الاسم العلم المحوّل بمفهومين : يتناول المفهوم الأول المظهر التركيبي فيكون العَلَم في السّياق تركيبا اسميّا رأسه أداة تعيين أو اسم إشارة، بينما يهتمّ الثّاني بالمظهر الدّلالي (جوناسون Jonasson, 1994). وتصاحب العَلَم المحوّل تركيبيّا الذي رمزه "det+NP"(أ+ ع) معيّنات نكرة مثل : plusieurs (كثيرون)، quelques (بعض)، des (أداة تعيين في صيغة الجمع)، un (أداة تعيين في صيغة المفرد)، تماثلها استعمالات خاصة بالعربيّة مثل "مِن" المؤكدة للاستفهام، و"لا" النافية للجنس، والإضافة إلى النّكرة، وصيغة الجمع التي تُفقد الاسم العلم سمة التّعريف وتحوّله تحويلا مرجعيا (انظر الفصل الأوّل).

واعتبرت كل أصناف التّحويل إلحاقا بالاسم العام une communisation، بما فيه التّحويل المُمَعْجم أو الأسمائية المجازيّة، مثل sosie بمعنى لِئْم أي شبيه، وهو في الأصل اسم شخصية ميثولوجية، دخل اللفظ إلى الاستعمال الفرنسي سنة 1715 (لي ساي 321 : Lesay 2000). وvolcan وهو البركان، يعود أصل اللفظ إلى الاسم العلم الميثولوجي Volcain ابن جوبتورJuputer. وقد تحوّل إلى اسم عامّ في الفرنسية سنة 1356 بمعنى النّار أو الحريق. ثم تطوّر رسما ومعنًى سنة 1598 ليصبح دالاّ على البركان. وadonis أي الرجل الوسيم، وقد تحوّل هذا الاسم العلم إلى اسم عام سنة 1565 ، وهو اسم إله في الميثولوجيا الفنيقيّة (لي ساي، Lesay 2000 : 11). فظاهرة الانتقال من مقولة اسمية إلى مقولة أخرى ليست ثرية ثراء طرق التّوليد المعجميّة الأساسية كالاشتقاق في العربية والتركيب في الفرنسية، ولكن لها دور هام في الفرنسية، حيث تتحوّل

الأعلام معجميّا ويؤرخ لتحوّلها ويُنسى بالاستعمال وبمرور أحقاب من الزمن أصلها العَلَمي. فتتولّد عنها وحدات معجمية جديدة تكوّن حقولا اشتقاقيّة تثري المعجم.

1.1.3 – العلَمية والتّعيين بالألف واللام

نشط تحوّل جديد في الأسمائية اللسانية، وهو تحوّل تركيبي سياقي يعمل بواسطة أدوات محوّرة تلحق بالاسم العلم، أو يجرّد منها أحيانا. فكل اسم اتّصلت به أداة تعريف غير لازمة أو غير معجميّة كما تسمّيها غاري بريور (Gary-Prieur 1991, n°92 : 46) عدّ محوّلا وحمّل دلالات مختلفة تأتيه من المركب الاسمي(SN) ومن السّياق، فتغيّر مقولته التصريفية وتفقده طبيعة التّفرد، ويصبح مشيرا إلى شيء ضمن مجموعة مكوّنة للقسم مثل "الزّيد" الذي قد يفيد فردا حاملا لهذا الاسم المشترك بين عدد من الأفراد يسمّون زيدا، أو "الزيدون". فتنقل الألف واللام العَلَم من الخصـــوص إلى العموم، كما تخصّصه الإضافة مثل "بوفاري الرّيف" (Le Bovary de la campagne)". ويحافظ العَلَم المحوّل على مرجعه الأصلي أو على بعض صفاته، كما قد يختلف عنه وذلك حسب السياق الذي يرد فيه والمعنى الذي يدلّ عليه، ولكنّنا لا نقصد تعميم الحكم. فليس كل تركيب على المنوال (أداة + اسم علم) يولّد بالضرورة تحويلا دلاليا وانزلاقا نحو مقولة الاسم العام. نلاحظ ذلك في الاستعمال حيث تكون أداة التّعريف لازمة وغير لازمة حسب اختلاف إنجاز العَلَم في الوطن العربيّ. ففي تونس تنجز بعض المناطق الأعلام مصحوبة بالأداة مثل الحبيب والهادي والمختار والزّهرة، بينما تخلو منها في مناطق أخرى، وقد يطرأ عليها تماثل صوتميّ فتنطق "لَحْبيب". وتكون الأداة لازمة ولها دور في تحويل الاسم العلم كما في أسماء الله الحسنى؛ أو في أسماء تحيل إلى مرجع معروف ثقافيا وتاريخيا وعقائديا من نفس الجماعة اللّغويّة كالغار والبيت والكعبة؛ أو في أسماء معروفة من جماعات لغوية مختلفة

مثل أسماء البلدان العربيّة كالجزائر والنّيل والقاهرة، أو البلدان الغربيّة كفرنسا (la France) والدّنمارك (Le Danemark) والنّمسا (L'Autriche). وهي في هذه الأمثلة الأخيرة زائدة غير لازمة. وتكثر اللاّم الزّائدة معنًى اللازمة شكلا في الألقاب العربية مثل الشّابي والأيّوبي والعقّاد والمتنبّي، لأنّ هذه الألقاب كانت في الأصل صفات ونسبا. كما أنّها تلحق بالكنى كالجاحظ (نتوء العينين) والأعشى (ضعف النظر ليلا) والأخفش (ضعف النظر في النّور الشّديد) والشنفرى (سوء الخلق). فلا تزيد الأداة جاحظ العينين بروزا ولا ضعيف البصر ضعفا ولا سيّء الأخلاق سوءا. فاللاّم الزائدة اللازمة أو غير اللازمة مظهر تركيبي غير عامل عمل التعريف والتحويل والمعجمة، على خلاف الدّور الذي تقوم به أداة التّعيين الملحقة بالعلّم في السّياق. فهي تحوّره دلاليّا ومرجعيّا. اصطلحت غاري بريور (Gary-Prieur) على أداة التّعريف اللاّزمة للاسم العلم بأداة التّعريف المعجميّة "article défini lexical". أمّا الأداة العاملة دلاليّا في تركيب : (أداة+ ا.ع) "det+NP"، فتختلف علاقتها بمصاحبها باختلاف المقام، وتتحقّق بالتّحويل أهمّ المعاني التّالية في الاستعمال الفرنسي - وهى معان لا نجد لها بالضرورة نظيرا في العربية التي تعمل في هذا السياق بطرق تركيبية مغايرة كالإضافة والوصف :

أ – مرجع الاسم العلم واحد لا يتغيّر ومماثل لحامل الاسم في التركيب العادي وفي التركيب المحوّل بالتسمية emploi dénominatif :

(1) **Un** Meyer est venu me voir شخص يدعى ميّي قدم لرؤيتي

ب – الإحالة على جزء من المرجع في مرحلة مّا أو على صفة من صفاته : التجزئة والتفصيل :

(2) **Le** Paris de mon enfance باريس *طفولتي*

ج – اختلاف المرجعين باختلاف حاملي اسم العلم واتفاقهما في سمة جامعة في استعمال الاستعارة emploi métaphorique :

معلمتنا نابليون في لباس امرأة

(3) Notre institutrice est **un** Napoléon en jupon

فكلّ الأدوات المحدّدة والمحوِّرة، وكل التّوسعات التي تسبق الاسم العلم أو تلحقه ممكنة (غاري بريور19 Gary-Prieur 1991, n° 92)، نمثّل لهذه التوزيعات بالرّموز التالية :

(أ+ا.ع) Det+ NP

(أ+ ا.ع+ توسعة) Dét+ NP+ expansion

(أ + توسعة + ا.ع) Dét+ expansion+ NP

فالأداة الدّاخلة على الاسم قد تحوّله معنويّا وقد لا تحوّله، فيحافظ على وضعه العاديّ الطرازي. وليست الأداة وحدها محوّلة للاسم العلم، بل إنّ شغورها ينقل العلم من حالة الثّبات إلى حالة التحوّل مثل : (غاري بريور، 19 : Gary – Prieur 1991, n°92)

(4) Paris, c'est Beyrouth باريس هي بيروت

فبيروت لا تحيل إلى بيروت، بل إلى باريس في صورة بيروت. نفهم من هذا الاستعمال للاسم العلم المحوّل والمجرد من الأداة ("Ø + ا.ع") "Ø+NP" أنّ تأويل معنى الاسم وتحوّله أو عدم تحوّله يعود إلى السياق وحده. وأبلغ دليل على ذلك اختلاف معاني المركب الواحد في شكل (أداة تنكير+ا.ع) "un+NP"، فهو يفيد في السّيميائيّة معان مختلفة هي الاستعمال المثاليّ أو استعمال التّسمية أو تأويل الاستعارة أو المجاز المرسل أو معنى التبعيض. كما أنّ التركيب الاسمي "un+NP" (فون غوغ un Van Gogh) يجمع في نفس الوقت بين مفهومين متناقضين : الأوّل له

دلالة الاسم العلم على التّعيين والتخصيص والتفرّد، والثاني له معنى أداة التّنكيرun الدّالة على التّعميم والشّيوع وعدم التّحديد على حدّ تعبير غاري بريور (Gary-Prieur 1991, n° 92 : 24). ومتى أضيفت التّوسعة إلى التركيب "un +NP"ضعف التنكير ودلّ الاسم العلم في آن واحد على الدوام والتحويل : (نفسه)

(5) Nous avançons dans **un** Paris ensoleillé نحن نتقدم في باريس مشمسة.

فبــاريس وهي معيّن متحجّـــر متصلّب بحسب مفهوم كريبــك (S. Kripke 1980)، تشير بطريقة قارّة وثابتة إلى نفس المدينة الفرنسية، بينما تشير "باريس المشمسة" إلى مشهد عارض من مشاهد باريس.

2.3 – الاسم العلم الثّابت

يعرّفه كوربلان (F. Corblin 1990 : 76) باسم العلم المجرّد من الألف واللام الذي يبقى محلّ أداة التّعيين معه شاغرا، وهو ما يسمّى بالأداة الصفر l'article zéro ورمزه (Ø + ا.ع) "Ø+NP" (فكسلير : 104 Vaxelaire, 2005)، لأنّ الاسم العلم في استعماله العاديّ، وكغيره من الأسماء المعارف (الإشارة والموصول والضمير)، لا يقبل الألف واللاّم التي لا تزيده تعريفا، كما أنّه لا يخضع لثنائية تعريف / تنكير.ولكن يحدث أحيانا أن تتّصل الأداة بالأعلام المجرّدة فتحوّلها عن مقولتها وتكسبها مفهوما وتغيّر مقولتها.وقد تشذّ عنها أعلام أخرى تلازم مقولة العَلَمية وتحافظ على خصائص التّفرد والذّاتية والمرجعيّة الواحدة والإحالة إلى حامل الاسم، وتمثّل استثناء تركيبيا، لأنّ الأداة الملحقة بها لا تغير وضعها الأصلي المعياري، فهي لصيقة بها في عديد الأمثلة كالقاهرة والبصرة ولامارتين (la Martine) ولاهاي (La Haye) ورغم ملازمتها لها فهي لا تعمل، أي أنها لا تحوّل مصاحبيها دلاليّا ومرجعيّا. لذلك اعتبرها النحو العربي لازمة شكلا زائدة محتوى، أي أنّها لا تنفصل عن

الاسم العلم شكلا فلا نقول : "قاهرة" و"بصرة" و"مارتين" (ØMartine). ونجدها أيضا في المختصرات الاسميّة les acronymes المختزلة لتراكيب كاملة، فتكون اللاّم معها جنسية لاعهدية وتأتي في صيغة الإفراد والجمع والتذكير والتأنيث. وهي مقولات تصريفيّة خاصّة عادة بالاسم العامّ. ومن أمثلته : الاتحاد العام للعمل بفرنسا La CGT، الحزب الاشتراكي le PS، الولايات المتحدة les EU، الر.م.ع. (الرئيس المدير العام). فالأداة المصاحبة للاسم العلم أو ما ألحق به كالمختصرات، لا تحوّل مصحوبها من المرجعية، وهي خاصية الاسم غير المحوّل، إلى المفهومية وهي وظيفة الاسم العامّ، وإنّما يبقى وجودها شكليّا مقتصرا على وظيفة الإشارة والتّخصيص والتّسمية الجامدة المتحجّرة. ولأنّ هذه الأداة غير عاملة، ولا تكفي وحدها لتعريف الاسم العلم الثّابت أو المحوّل، فهي تنفصل في العربية عن مصحوبها مثل البصرة والعباس في تراكيب النداء والاستغاثة فنقول "وامعتصماه !"، "أ عباس"، "يا عباس"، " وابصرتاه". وتسقط الأداة المصاحبة للاسم الثّابت مع الأسماء الغربيّة كالإعلان عن نتائج كرة القدم على اللّوحة المضيئة (نوايلي 81 : Noailly 1995) :

فرنسا Ø France : 1

ألمانيا Ø Allemagne : 1

بينما تثبت مع أسماء البلدان العربية

الجزائر Algerie1 : 1

المغرب Maroc1 : 1

تصاحب الألف واللام الاسم العلم في وضعيتين مختلفتين : حضور دائم للأداة مع بعض الكنى والصفات كالمتنبي والجاحظ، وحضور ظرفيّ سياقيّ أمام أعلام تكون مجرّدة عادة من التّعيين والتّحوير مثل تونس وعادل ومنير. فقد جاء في مقال صحفيّ لخالد عبيد في جريدة الصّباح النّص التالي "... ينتابني شعور مُستَكنه كلّمّا أطلّت علينا ذكرى استقلال

تونسنا وحلت بين ظهرانينا، يرمي بي بعيدا إلى **هذه التّونس** التي وسّعت فحوت كلّ من عليها" (2009/03/20). هذا الاستعمال لاسم الإشارة من باب الإشارة العائدة، تمثّل في تكرار اسم سابق في السياق وهو "تونسنا". وجاء التكرار المعجمي في الجملة اللاحقة لنفس الاسم مسبوقا بأداة التّعريف"التونس" وباسم الإشارة **هذه**، فأحالت الألف واللام إحالة ما قبلية على الاسم الوارد قبلها "تونسنا"، وأصبح للعلم دور رابطي دلت عليه أداة التعريف العهدية الذكرية، وحافظ الاسم العلم مضافا "تونسنا" ومعرفة "التونس" على نفس الإحالة المرجعية مع اختلاف في المعنى : فقد دل الأوّل من خلال الإضافة على الملكية والانتماء، وأفاد الثاني المتركّب من (اسم إشارة + أل+ ا.ع) الإبراز والتحبّب والاستعمال المثاليّ.

يلتقي الاسم العلم المحوّل وغير المحوّل في اتّصال الأداة بهما أو تجرّدهما منها، ويختلفان في نوع الأداة ودرجتها. فهي قارّة مع بعض الأسماء الثّابتة وملازمة لتركيبتها الشّكلية ولا دور لها في تغيير خصائصها التي تكتسبها خارج القول. وهي حادثة مع عدد كبير من الأسماء داخل النّص.

3.3 – أصل المصطلح ومفهومه

جاءت ثنائية محوّل/غير محوّل N p modifié/ Np non modifié على لسان جورج كليبير (G.Kleiber) في فقرة من أطروحة دكتورا الدولة (1981) حول قضايا المرجع والأسماء الأعلام. وقد أخذه بدوره عن فيلسوف اللغة الإنغليزي تيلور بورج (Tylor Burge) (1973)، ويرادفه حسب بوسريدون وغيرين (Bosredon et O Guerin 2005 ; n146 9 :) مصطلحا التّحديد والتّخصيص (détermination/caractérisation).

درس بورج Burge لأوّل مرة الاسم العلم باعتباره موضوعا لغويّا وليس موضوعا منطقيّا، فخالف مذهب أسلافه من المناطقة، واهتم ببنية

الاسم العلم في شكله المعياري وفي شكله المحوّل داخل الخطاب.يعرّف التّحويل تعريفا صرفيّا تركيبيّا بمقابلته للاسم العلم الثّابت non modifié في استعماله المُعرّى من المحوّرات. فقد أراد بورج Burge بمصطلح التّحويل الوَسْم والتّعيين والتّشبّه بالاسم العامّ في التّركيب والعمل. وتتلخص نظريّة بورج Burge الخاصة بالثّبات والتّحوّل في الاستنتاجين المواليين :

أ – اسم علم ثابت : اسم علم غير محوّل ← اسم علم بدون أداة = لفظ متفرد

ب – اسم علم متحوّل : اسم علم غير ثابت ← أداة تعيين نكرة أو معرفة + اسم علم = اسم عام.

إنّ مبحث الاسم العلم متطور جدّا في الدراسات المعجمية الغربية. وقد نقلنا عديد الاستعمالات والتراكيب إلى العربية واعتمدنا على ظواهر قد لا نجدها أصلا في العربية مثل دلالة المحدّدات المتّصلة بالاسم العلم كاسم الإشارة وأداة التّعيين المعرفة والنّكرة وأداة التّبعيض والتراكيب التّحويريّة، لذلك كثرت الأمثلة الفرنسية في مقابل الأمثلة العربية القليلة.

1.3.3– نظرية بورج BURGE

حاول بورج أنْ يثبت أن الاسم العلم ليس من الثوابت كما كان يعتقد قديما، بل هو من المتغيّرات، يستعمل في صيغة الجمع ويقبل علامة التّعيين والتّنكير كالاسم العامّ، وتلحق به المسوّرات les quantificateurs. وتبنّى أغلب اللسانيين الفرنكفونيين مصطلح الاسم العلم المحوّل NP modifié، واستقر المصطلح في أبحاثهم، بينما ظهرت مصطلحات مرادفة سرعان ما تركت مكانها لمصطلح التّحويل نذكر منها : تبدّل الاسم العلم la métamorphose du nom propre، وتعميم الاسم العلم وتجنيسه la communisation، والاستعمال اللّساني الانعكاسي للاسم العلم l'emploi

J.L. Vaxelaire 2005 : فكسلير) métalinguistique du nom propre .(743

2.3.3 – تطوّر النظرية

ثم واصل مصطلح "الاسم العلم المتحوّل" تطوّره ورادفته مصطلحات يستبدل بها في بعض النّصوص (كليبير Kleiber 1994 : 65)، فهو المحدّد l'articulé والمعيّن le déterminé والمسوّر le quantifié والمتحوّل le transformé، والمستبدَل بالاسم العام أو المجنّس نسبة إلى اسم جنس communisé (نوايلي M. Noailly 2005 : 56). وهذه المترادفات لم تعوّض كسابقاتها مصطلح الاسم المحول le modifié في الدراسات الأسمائية، فظلّت تُحمل على الإسهاب والإطناب لا غير. فالاسم العلم غير الطّرازي يتحوّل من التّخصيص إلى التّعميم وينتج عن ذلك تغيير في قيمته المرجعيّة وتوليد لدلالة سياقيّة نسقيّة. وقد يتغير أيضا مرجعيّا ويفقد خاصيّة التّفرد دون أن يتغيّر تركيبيّا فلا تلحق به أداة التّعيين في الفرنسيّة وفي العربيّة أيضا :

Je veux être châteaubriand ou rien. (Gary-Prieur ;n 92 : 53

(غاري بريور)

أريد أنْ أكون شتوبريون أو لا أكون.

وقياسا عليه يمكن أنْ نقول بالعربية :

أريد أنْ أكون درويشا أو لا أكون.

فالاسم العلم يتحوّل تركيبيا دلاليا، أو يتحوّل مرجعيّا تداوليّا. وتتمحور التحويرات في البنى الأساسية التالية : (بوسريدون وغيرين (Bosredon et O. Guerin 2005 : 10

1 – (un Np) : tu trouves **un** Balzac sur l'étagère. تجد بلزاك فوق الرّف.

2 – (du Np) : j'ai écouté **du** Beethoven استمعت إلى بتهوفن كامل الليلة toute la nuit.

3 – (le Np + De + SN) : **le** Hugo de la jeunesse. هيغو في شبابه الشباب.

اتّحدت البنى بسبب اقتران الاسم العلم بالأداة (un, du, le)، ولكنّ المعاني اختلفت. فقد دلّ المركب الاسمي (SN) في (1) على المجاز المرسل وعلاقته السّببية، ودلّ في (2) على التّبعيض بالكمّ. بينما أفاد التّركيب في (3) التجزئة والتّفصيل، وكلّها معان يكتسبها العلم من السياق.

لقد توسّعت البنى بالأدوات المحوّرة وبالتّوسعات، فأثْرت دلالات الاسم العلم داخل السّياق لا خارجه. وهي استعمالات كانت مهمّشة في الدّرس اللّغوي. ثم أسهمت دراسة العلم المتحوّل من منظور تركيبي ومرجعيّ ودلاليّ في تطور البحوث الأسمائية حول هذا الموضوع، وقد قدّمت اللسانية نوايلي M.Noailly (109 : 1999) مفهوما للاسم العلم المحوّل أقامته على بعدين. أولهما مرجعي وثانيهما تركيبي :

أ – البعد المرجعيّ : يفقد العلم ظاهرة التخصيص وتتغيّر وظيفته التّعيينية، فلا يشير إلى مرجعه الأصلي المتفرّد والكامل، بل يعيّن خصيصة من خصائصه كما في (3)، أويصبح محيلا إلى غير حامل الاسم كأنْ تقول بالعربية : "نزار قباني عمرو بن أبي ربيعة القرن العشرين" وتقول بالفرنسية : جُونْ هو دون جوان Jean est un Don Juan

ب – البعد التركيبي : تقترن بالاسم العلم أداة تعيين تجعل منه اسما مكوّنا لقسم حقيقي أو افتراضي كأنْ تقول : « c'est un Don Juan » أي أنه دون جوان. فكل من يوصف بهذا الاسم ينتمي إلى قسم الفسّاق.

يبدو البعدان المرجعي والتركيبي متّحدين ومتكاملين في نظر نوايلي. بينما يذهب كليبير (Kleiber) إلى أنّ الاسم العلم ينتقل من صفة الثّبات إلى التّحول، فيصبح اسما عامّا متى ألحقت به أداة التّعيين (1991) وهي مقاربة لا توافقها عليها كريستين جوناسون(K. Jonasson). فالعلم متحوّل متى تغيّر مرجعه، وليست الأعلام الموسومة بالأداة بالضرورة محوّلة (جوناسون Jonasson 1994). أمّا سارة لي روي(S.Leroy) فإنّها تلحق بصنف الاسم العلم المحوّل في الخطاب، نماذج أخرى تنتمي إلى اللغة قد تحولت خارج السياق وبدون أداة، عن طريق المَعْجمة في علم الأسمائية المجازية والأسمائية التوليدية. ومنها في الفرنسية "راعي الثّقافة والفنّ"mécène "وثلاّجة" Frigidaire عن الظاهرة الأولى، و"عقّم" Pasteuriser و"فَتَن"donjuaniser عن الظاهرة الثانية. وفي العربية نذكر أعلاما مفردة مثل أشعب وجحا والطفيلي ومشتقاته (تطفّل يتطفّل تطفّلا)، وأخرى في متلازمات لفظيّة مثل رجع بخفّي حنين.

ما يمكن استنتاجه من هذه المواقف المختلفة نقطتان أساسيتان :

1 – ليس كل اسم معيّن بالأداة محوّلا.

2 – الاسم الخالي من الأداة لا يعيّن بالضرورة مرجعه الأساسي. وقد يكون محوّلا.

يبرّر هذا الاستنتاج حيرة لوروي (Leroy) التي عبّرت عنها "بضبابية المفهوم" وعدم وضوح الحدود بين الثّابت والمتحوّل من الأسماء (جوناسون,Jonasson.K.2005 : 4).

لقد أصبح الاسم العلم المحوّل ظاهرة لسانية معجميّة تحظى باهتمام الأسمائيين الغربيين لما لها من حضور في حياتنا اليومية. فإذا نحن ألقينا نظرة حوالينا تبيّن لنا أنّ كثيرا مما يحيط بنا أسماء أعلام حوّلت عن مراجعها الأصلية كالمنتوجات الصناعيّة مثل صناعة السيارات (فورد،

فولسفاغن) والطائرات (بوونغ). كما تسند إلى الطائرات والبواخر أسماء محليّة مثل سيدي بوسعيد وقرطاج والحبيب بورقيبة والقيروان. أو تسمّى وسائل النّقل بمختصرات مثل "RER" لشبكة القطار السريع بين باريس وضواحيها، و"TGV" للقطار "فائق السرعة بين المدن"، وTGM للقطار الرابط بين تونس العاصمة والضّاحية الشّمالية (تونس حلق الوادي المرسى : Tunis – Goulette – Marsa). كما تحوّلت الأسماء العامة إلى أسماء أعلام مثل عناوين الكتب الشهيرة كالأيّام لطه حسين، و"قصر الشوق" لنجيب محفوظ و"أغاني الحياة" لأبي القاسم الشابي، فتقول أنهيت قراءة الأيام أي قراءة كتاب الأيام. واستمتعت بأغاني الحياة، واشتريت قصر الشوق.

4.3 – التباس المفهومين

إذا بسّطنا التّعريف قلنا إنّ الاسم العلم الثابت هو الاسم غير المحوّل الذي يشير إلى فرد خاصّ. والاسم المحوّل هو الذي تلحق به أداة التّعيين على غير العادة فتفقده خاصّية التّفرد. فالمقابلة بين صنفي الاسم تقوم على اختلاف في المعنى : دلالة الاسم الثّابت تعيينيّة مرجعيّة ودلالة الاسم المحوّل دلالة معجميّة إحاليّة. وتطلّب هذا الاختلاف حول طبيعة الاسمين مراجعة للمفهومين وتدقيقا لدورهما في النّص.

ترى جوناسون (Jonasson) أنّ مصاحبة أداة التّعيين للاسم العلم لا تفقده بالضّرورة الثّبات والتّفرد (232 : 1994)، ولا تنقله إلى صنف العلم المحوّل. فحضور الأداة لا يفصل في كلّ الحالات بين صنفي الاسم، وهو يجعل منه في الاستعمال المثاليّ اسما متحوّلا وغير متحوّل. فيعيّن الاسم في هذا النّوع من التأويل مرجعه الأصلي إذ هو غير محوّل، بينما تضيف إليه الأداة دلالة النموذجيّة والمثاليّة وبذلك يصبح دالاّ. وتحوّل الدّلالة الاسم العلم الى اسم عامّ أو ما يقوم مقامه مجازيّا وسياقيّا، ومثاله :

ما كان دي غول(يّ) ليقبل هذا.	Un De Gaulle n'aurait pas accepté cela.

إنّ الاسم العلم يشير مباشرة إلى مرجعه الثّابت، لأنّ دي غول هو دي غول نفسه كما خطر على بال المتكلم والمخاطب. فهو محوّل دلاليّا لإفادته الانتماء، وتركيبيّا لتركّبه من أداة واسم علم(SN) وغير محوّل مرجعيّا. وتذهب غاري بريور (Gary-Prieur) إلى حدّ اعتبار مصطلح محوّل "modifié" مزعجا، لأنّ تمييزه دلاليّا وتركيبيّا عن الاسم الثابت لا يشمل كل الحالات التي يرد فيها الاسم العلم المحوّل، لذلك فهي تعتبر أنّ المصطلحين لا يشكّلان مقولتي استعمال مختلفتين اختلافا واضحا جليّا داخل مقولة الاسم العلم (58 : 2005). ومحاولة منها لرفع اللّبس عن المفهومين وإبراز الحدود الفاصلة بينهما، قدّمت الباحثة أربعة استعمالات ممكنة للاسم العلم يكون فيها ثابتا أو متحوّلا وهي : (غاري بريور، (Gary-Prieur,1994 : 58 :

أ – اسم علم محوّل تركيبيّا، غير محوّل دلاليا (التأويل المثاليّ).

ب – اسم علم محول تركيبيّا ودلاليّا (تأويل التّسمية).

ج – اسم علم غير محوّل تركيبيّا ودلاليّا (الاستعمال الطّرازي).

د – اسم علم غير محوّل تركيبيّا ومحوّل دلاليّا (المجاز المرسل).

ولا تخالف سارّة لي روي (S. Leroy) غاري بريور (Gary-Prieur) الرأي، فالتّمييز بين الاسم العلم الطّرازي والاسم المتحوّل يبقى ضبابيّا غير واضح الحدود، وليس ضبط الحدود بين الصنفين بالأمر الهيّن (لي روي 4 : 2005). وتذكر لي روي لتدعيم موقفها البنية النحوية (اسم علم + صفة) (NP+ADJ) التي تُحمل شكلا على الاسم المعياريّ العاديّ نظرا لخلوّ العلَم من الأداة، وتُحمل تأويلا أو دلالة على الاسم العلم

المحوّل إذ يمكن أنْ تلحق به أداة تعيين دالّة على التّفصيل والتّجزئة عن طريق الاستبدال كما ورد في المثال التالي :

سيسرون فيلسوفا لا يضاهي سيسرون خطيبا = (ال) سيسرون فيلسوفا لا يضاهي سيسرون خطيبا.

Cicéron philosophe ne vaut pas Cicéron orateur

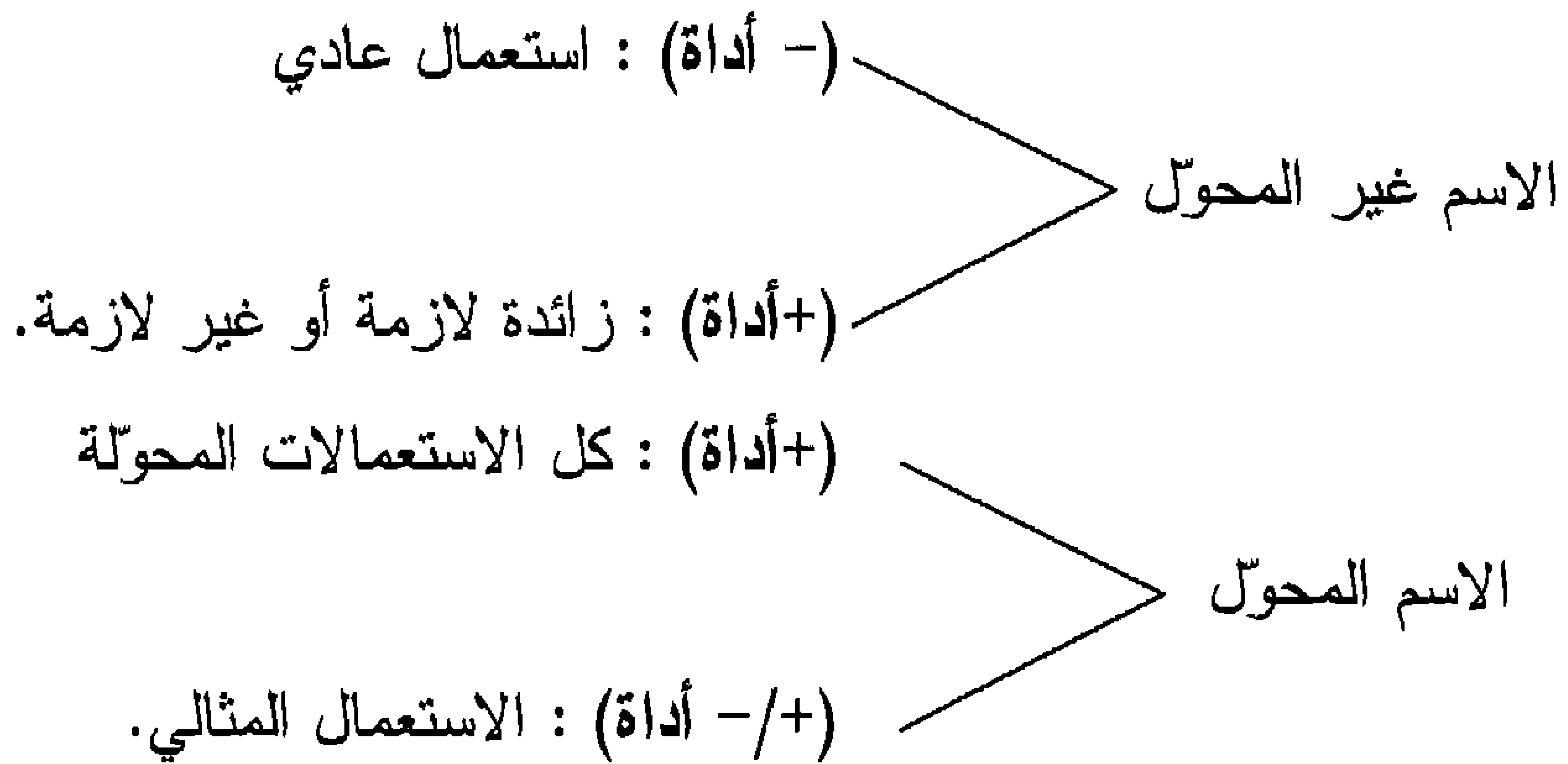
≈

Le Cicéron philosophe ne vaut pas **le** Cicéron orateur

وتعيب لي روي (Leroy) على التّحليل الأسمائي تقسيم الاسم العلم إلى محوّل وثابت وتقديم الفرع على الأصل. فقد أولت البحوث اللسانية الأسمائيّة اهتماما أكبر بالعلم المحوّل على حساب العلم الثابت. وأثارت الباحثة مسألة المصطلحيّة وما تطرحه من قضايا التّرادف أو التّقابل. فمصطلح معياريّ standard الموافق للعلم غير المحوّل يفترض وجود ضوابط حتى تتحقق المعياريّة، ومصطلح مرجعيّ هو اتفاق بين ذوي المسمّى على أنْ يحيل ذاك الاسم على ذاك المرجع ولا وجود لعلاقة منطقيّة قارّة ثابتة بين مرجع بعينه يستوجب اسما بعينه. فعلاقة الاسم بحامل الاسم اصطلاحية تواضعية قائمة أساسا على التّواطؤ والاختيار والعرف الاجتماعي. أمّا المصطلحان "غير محوّل" و"معرًّى" (nu)، فليسا مترادفين لأنّ المعرًّى من الأداة قد يكون محوّلا. إنّ التّمييز بين اسم علم محّول واسم علم غير محوّل يقوم على معيار تركيبيّ. فما لم تصاحبه أداة التّعريف العهدية عدّ ثابتا، وما اتصلت به أداة التّعريف العهديّة إلى جانب محوّرات وتوسعات من نوع الصّفات والمفاعيل عدّ محوّلا.

ولا تبدو كريستين جوناسون(K. Jonasson) أقلّ تحرّجا من سابقتيها من مصطلح محوّل (Modifié)، لذلك فضّلت بدلا عنه المصطلح الذي اقترحه "مركز نحو الأكاديمية السويدية" وهو "العلم الاسمي" le nom

propre substantivé (68 : 2005)، لأنّ هذه التّسمية التى تصرّح بتحوّله من العلَميّة إلى اسم عامّ تجعله قابلا للمعيْنمات والمحدّدات تماما كاسم الجنس، دون أنْ تفقده التّسمية خاصيّة العلَمية فيرسم بحرف التّاج. وعدا الاختلاف في المصطلح، فإنّ مركز بحث النّحو السويدي لم يغيّر من منهج البحث ومن دراسة الاسم العلم المحوّل ومن أقسامه. فالأعلام تحقّق في السياق أعمالا قوليّة متعدّدة يستوجبها المقام. نمثل لهذا التّقاطع بين صنفي الاسم بالشّكل التالي :



5.3 – تحويل الاسم العلم تركيبيا

بيّنت عديد الدراسات الأسمائيّة ثراء دلالات الاسم العلم في القول، فهو يقبل في الفرنسية كل المحوّرات والمحدّدات، وتلحق به توسعات تكسبه معاني جديدة كالتّشبيه والمجاز والطّراز prototype والإحالة إلى الجزء أو الكلّ. وأسهمت دراسة الاسم العلم المحوّل تركيبيّا وما ينتج عنه من تحويل دلاليّ ومرجعيّ، في إعادة النّظر في موقف اللسانيين من الاسم العلم (جورج كليبير، G.Kleiber .1994 , n92 : 83).

والتّحويل، كما رأينا، ليس بالضرورة بناء تركيب بالاسم العلم المسبوق بالأداة، فالعلَم المجرّد من التّعريف أو التّنكير يتحوّل عندما لا

يشير في الكلام إلى مرجعه الأصلي un référent initial، بل يشير إلى مرجع مثاليّ له الشّكل النّحويّ : ("Ø+N") (Ø + ا.ع)، فينتقل من الدّلالة المرجعيّة إلى الدّلالة المعنويّة.

ويتّسم الاسم العلم بمرونة تركيبيّة تؤهّله لاحتلال كل المحلاّت الإعرابية في الجملة وقبول المعيّنات والتّوسعات التي تغيّر معانيه وتدعو إلى مراجعة الرأي القائل بأنّ العَلَم مجرّد علامة تلحق بحاملها فتسميّه كفرد خاص ويُنادَى بها. إنّ الجمع بين الأداة والعَلَم يمكّن الاسم من أنْ يفيد شيئا آخر غير عمل الإحالة. ويدعم هذا الرأي المثال الذي ذكره جورج كليبير (نفسه : G. Kleiber 92) :

(1) tu penses à Mureille ? أتفكر في موراي ؟

(2) tu penses encore à **cette** Mureille ? أما زلت تفكر في موراي هذه ؟

إنّ إضافة المحّدد الإشاريّ المقامي **cette** في (2) أعطى الاسم دلالة التّنصيص على نفس الشّخص الوارد في (1) دون غيره من حامليّ اسم Mureille. ودلّ تخصيصه بالإشارة على الحضور التخاطبيّ وعلى معان أخرى تفهم من السّياق منها الاحتقار. فتأويل معنى العلم المحوّل تركيبيّا بالأداة أو المحوّرات يكون من السّياق وليس خارجه كما يبيّنه المثال في العربية :

العالم مليء *بالعبد الله*.

يقبل العَلَم الذي اتصلت به الألف واللاّم اتّصالا عارضا تأويلين يحدّدهما السّياق والتّركيب الكامل ولا تحدّدهما الأداة وحدها :

(1) وجود **أل متّصلة** بـــ"العبد الله" وجودا ماديا : بمعنى كثرة الأشخاص الحاملين لاسم عبد الله في العالم. فهو استعمال عن الحقيقة.

(2) وجود **أل** متّصلة بـــ"العبد الله" وجودا معنويا : بمعنى أنّ الحيويّة تحلّ في المكان الذي يحلّ فيه، وهو يفرض وجوده في محيطه لما يتّسم به من سمات مميّزة. فالألف واللام االمتّصلة بعبد اللّه من نوع الاستعمال المثاليّ النّموذجيّ. وقد يفهم منها إطلاق الجزء على الكلّ، فتفيد العبد الله صيغة الجمع "عباد الله". والقراءتان لِـــ" العبد الله" في (2) مجازيتان.

وأكسبت الأداة في كلا التأويلين الاسم خصيصة التّحديد، وأعطاه السّياق معنى الكثرة في (1)، ومعنى الحيوية في (2). ويلاحظ شيوع هذا الاستعمال الآن في الخليج العربي حيث تلحق بالعلم أداة التعريف "أل" التي تتمثل وظيفتها الأساسية في نقل الاسم العامّ من الشّيوع إلى شيوع أكبر كما تنص على ذلك قواعد اللغة. فالتعريف بالعَلَمية أو بالألف واللاّم ظاهرتان لا تجتمعان عادة بل تستبدل الواحدة بالأخرى "وهو أمر متى توفّر بالفعل، استوجب الاستغناء عن أحدهما بالآخر" (محمد الشاوش 2001 : 1035). ولا تكسب هذه الظاهرة العَلَم معاني عامة كالوصفية، بل إنّ الغرض منها هو الزيادة في التّخصيص وترسيخ دلالة التّفرد وتثبيت المرجعيّة الذّاتية وتأكيد وظيفة التّسمية la dénomination، فيصبح الاسم في هذا الاستعمال الخارق كأنّه أكثر التصاقا بحامله، ويتشبّه بالاسم العلم العامّ لأنّ فيه معنى الوجاهة والرّفع من الشأن، فمحلّه من التركيب محلّ ضمير الشّأن. والبنية (ال+ اسم علم) ظاهرة كلامية في العربية وليست معيارية قياسية، بينما يعمل التّحويل التّركيبيّ بأدوات التّعيين وبالمشيرات المقامية وبالتّوسعات كالصّفّات والمفاعيل :

1 – رأيت أحمد الحكيم .

2 – جاء الهادي الحكيم.

3 – هذا الهادي الكريم يختلف عن ذلك الهادي اللئيم.

ولأنّ أداة التّعيين لا تكون إلاّ معرفة في العربيّة، فالتّعيين يعني التّعريف، والأداة النّكرة في الفرنسيّة l'indéfini لا مقابل لها لفظا في نظام التّعيين العربي، ولذلك يبقى محلّها شاغرا ويدلّ عليه التّنوين في آخر الاسم العامّ والاسم الخاصّ ومثاله :

فوجئتُ بزيد حكيم.

حيث يفهم من السّياق تبعيض الهيئة le partitif qualitatif. فهل يقبل الاسم العلم ما يقبله الاسم العامّ من علامات ومعان ؟ قد توضّح لنا الأمثلة الموالية بعض المعطيات :

(1) التقيت مرّة برجل.

(2) التقيت مرّة بالرجل.

(3) التقيت مرّة بزيد.

(4) التقيت مرّة برجل يُدعى زيدا.

جاء لفظ : "رجل" في (1) خاليا من الألف واللام، فهو نكرة محضة تعني شيئا غير معيّن، بينما يعني "الرجل" في (2) المعرّف بالألف واللاّم شيئا بعينه "دون سائر أمّته" كما يقول سيبويه (*الكتاب*، 2 : 6)، فميّز غياب الأداة بين مقولتي التّعريف والتّنكير وبين معنى الشّيوع والتّخصيص. إلاّ أنّ هذا التّناول الشّكلي (Ø + اسم عامّ) (أداة + اسم عامّ) غير ممكن مع الاسم العلم المفرد الذي لا يكون خارج السّياق إلاّ معرفة كما هو حكم الإضافة إلى معرفة والإضمار والإشارة (الشاوش، 2001 : 1013). يؤوّل زيد في (3) بالانفراد إذا قصدت به واحدا معيّنا مخصّصا، كما يمكن أنْ يحمل على التّعميم والشّيوع إذا كنت لا تعيّن في الكلام فردا بعينه بل شخصا اتفق أنّه يحمل عن طريق الصدفة اسم زيد. وترجّح التّوسعة "مرّة " الدّالة على زمن ضيّق غير مكرّر هذا التأويل. وليس للتّنوين وغياب الأداة دور في التّعميم والتّخصيص في (4)، فالسّياق

وحده قد دلّ على الشّيوع. و"الاسم العلم قد يرجع إلى التّنكير وذلك متى انعدم منه شرط التّعريف، أي متى لم يوقّعه المتكلم على واحد معيّن معهود". (الشاوش، 2001 : 1039). فعلاقة الاسم النّكرة "رجل" والفعل المبنيّ للمجهول "يُدعى" بالاسم العلم زيد أفادت فردا شائعا بين أفراد يحملون هذا الاسم. لذلك تكون دلالة العَلمية وما تفيده من معاني التفرد والتّخصيص ضعيفة في (4).

إنّ الحديث عن الاسم العلم المحوّل لا يكون خارج الخطاب الذي تبرز فيه حالات التّغيير الطارئة على الاسم العلم. وهي بُنىً عديدة واستعمالات مختلفة يتجلّى من خلالها ثراء هذه الظاهرة في الفرنسية واهتمام اللسانيين الأسمائيين بدراستها. ورغم ما بين الاسم العلم المحوّل والاسم العامّ من أوجه شبه متمثّلة أساسا في اتّصال المحدّدات والمشيرات المقاميّة مثل اسم الإشارة والظرفيات les enclosures بالعَلَم في بعض التراكيب، فيصبح العَلَم حسب عبارة جوناسون (Jonasson) وسطا "بين اسم العلم والاسم العام" "entre nom propre et nom commun" (1994 : 171)، ولا يفارق نهائيا مقولة العَلَمية ليلحق بمقولة الجنس، ولا ينفصل عن طبيعة العلم الطّرازي prototypique. فالمرور من مقولة العَلَميّة إلى مقولة اسم الجنس ظرفيّ سياقيّ وليس انتقالا معجميّا وتوليدا دلاليّا مثل ثلاّجة frigidaire وعقّم pasteuriser.

اخترنا ضمن مناهج البحث التي درست الاسم العلم المحوّل تركيبيّا ودلاليّا منهج جورج كليبير (G. Kleiber1994 : 93) الذي بناه على المعيار المرجعيّ ويشمل ثلاثة أنواع كبرى من الأعلام المحوّلة، وهي :

1 - الأعلام المحوّلة التي تحيل إلى مرجعها الأصلي.

2 - الأعلام المحوّلة التي لا تحيل إلى المرجع الأصليّ كاملا بل تشير إلى جزء منه أو مظهر من مظاهره.

3 – الأعلام التي يختلف فيها المرجع عن حامل الاسم اختلافا كاملا.

1.5.3 – الإحالة إلى المرجع الأصلي

يدخل تحت هذا الاستعمال من الأعلام المحوّلة والمحيلة إلى مرجعها الأوّل الاستعمال الاسميّ والاستعمال المثاليّ.

1.1.5.3 – الاستعمال الاسمي l'emploi dénominatif

هي نظرية قوامها أنّ الشكل (x يسمّى اسم علم)"x est appelé np" يمثل المعنى الوحيد للاسم العلم (جورج كليبير G. Kleiber 1981). هذه المقاربة اللسانية الدّلالية الأولى للاسم العلم تميّز بين تسمية صنفي قسم الاسم : فتسمية اسم الجنس تسمية ما وراء لغوية métalangage، وهي إخبار عن اللغة باللغة . وتسمية العلم غرضه التّعيين والإشارة والإخبار عن حامل الاسم وليس وصفه. إنّ التأويل الاسميّ يمثل دلالة الاسم العلم وإنْ لم تكن هذه الدّلالة من قيمة دلالة الاسم العامّ (غاري بريور Gary-Prieur 1994 : 41). ودلالة الاسم العلم واحدة، وهي دلالة على تسميّة الفرد، وعلى المحتوى المعنوي الوحيد لذلك الاسم، بينما دلالة الجنس عامّة وشاملة (جورج كليبير : G. Kleiber1981). وتلحق بالعلم في هذا الاستعمال توسعات قبله أو بعده وظيفتها التّخصيص والإبراز وربّما التّجاهل كما يبدو من الأمثلة :

(1) **Une** charmante petite Julie est arrivée hier dans ma classe

(غاري بريور Gary-Prieur1991 : 47)

بنيّة صغيرة لطيفة تدعى جولي التحقت البارحة بقسمي.

(2) **un** certain nommé Pierre veut vous rencontrer.

شخص يُدعى بيار يودّ مقابلتكم.

(3) **Un** soit disant NP. من يدعى بـ ا.ع.

(4) **un** prétendu NP. من يُدعى ا.ع.

فاستعمال التّسمية هو بتعريف غاري بريور (Gary-Prieur) تركيب يقوم فيه الاسم العلم بتعريف فرد منتمٍ إلى مجموعة من الأفراد الذين يحملون نفس الاسم.

هذه النظريـــــة الأسمائيـــــة التي أتت على لسان جورج كليبير (G. Kleiber) في أطروحته (1981) تقول إنّ الاسم العلم ليس خاليا تماما من المعنى، ولكن ليس محتويا على معنى وضعي ووصفي. فدلالته خاصّة، لها علاقة بقدرات التّسمية الفرديّة وتختزل تسميته بـ (شيء يسمّى اسم علم). فالمعنى الذي يفيده أحمد بهذا التأويل يكون "شخص يدعى أحمد". تتمثل إذن ميزة هذه الخطوة المحتشمة في عالم دلالة الاسم العلم في أنّها جعلت منه دليلا بدالّه ومدلوله، تحيل إلى شكل الدّال وإلى خصيصة التّسمية. ويمثل الرّمز /N/ العنصر الأساسي وركيزة القاعدة. فالتركيب (يُسمّى ا.ع) أي "être appelé /N/" هو سلسلة صوتية وشكلية تمثّل دلالة العلَم.

وعادة ما يكون الاستعمال الاسميّ محوّلا، وقد لا نعرف عن حامل الاسم سوى اسمه، فيتكوّن التّركيب الاسميّ من توسعات مفسّرة لهذا الإبهام ودالة على تجاهل صاحب الاسم أو غياب علاقة سابقة تجمع بين الاسم العلم والمتكلّم. أو يفهم منها عدم رغبة المتكلّم في تقديم معلومات دقيقة عن الشّخص. فالظرف certain في المثال (2) يفقد الاسم العلم سمة التّعدد ليحلّ محلّه التّفرد ولا يمكّنه من التّحوّل المرجعيّ فيساوي التركيب : un certain Pierre التركيب un Pierre الذي هو نكرة في نظر المتكلم. وتختلف الأدوات المتّصلة بالعلَم في استعمال التّسمية كما في المثالين (5) و(6) :

(5) (**Ce** + NP) : **Ce** Pompidou est bizarre pour un Gaulliste.

(هذا + ا.ع) : بومبيدو هذا غريب بالنّسبة إلى دي غوليّ.

أفاد التّركيب "أداة الإشارة + اسم علم" حضورا تخاطبيّا. فالإشارة تبرز المرجع وتختلف دلالتها باختلاف السّياق، فتفيد بعدا معنويا بين المتكلم وحامل الاسم في (4). وقد يصل البعد المعنوي la distanciation الفاصل بين المتكلم وحامل الاسم حدّ الرفض، فتضاف إلى أداة الإشارة توسعة : (اسم إشارة+ توسعة + ا.ع) : "(Ce + expansion + NP)".

(6) **Ce** monsieur François Dupont est un être bien étrange.

هذا السيد المسمّى فرانسوا دي بون شخص غريب الأطوار.

وتفيد الإشارة في الاستعمال الاسمي غير المحوّل مرجعيّا ، المحوّل دلاليّا، معاني القرب والألفة ورفع الكلفة. ويصاحب التركيب بنقطة تعجب (!) ويكون على الشكل التالي :

(Ce + expansion + NP) (هذا + توسعة +ا.ع)

(7) **ce** brave Milou ! ! هذا الطيّب ميلو

(8) **Cette** pauvre Louise ! ! هذه المسكينة لويز

2.1.5.3 – الاستعمال المثالي l'emploi exemplaire

هو أنْ تماثل فردا بفرد آخر يكون له دور في المجتمع كأنْ يكون كاتبا مشهورا أو باحثا لامعا أو رجل دولة أو سياسيّا معروفا أو بطلا رياضيّا أو نجما سينمائيّا. ومن مرادفاته : منوال، أسوة، نموذج "paragon, modèle" (مارتان، R. Martin, 1987 : 147). فالاسم العلم المثاليّ يكون شخصيّة تاريخيّة، أو أسطوريّة، أو فنيّة ذائعة الصّيت، تحيل إلى مرجع معروف من المجموعة اللغوية الضّيّقة في محيطها المحلّي، أو المجموعة الواسعة في محيطها الكوني، وتشير إلى مرجعها الأصلي،

ويكون شكلها التركيبي(أداة تنكير+ا.ع) (un +NP)، وهو الشكل السائد، أو (أداة إشارة+ا.ع) "ce +NP" أو (Ø + ا.ع) "Ø+NP". ويتميّز هذا الاستعمال عن غيره من حالات الاسم العلم المحوّل بأنّه محوّل وغير محوّل في آن واحد :

- اسم علم ثابت : لأنه يحيل إلى حامل الاسم وهو المرجع المباشر.
- اسم علم محوّل : يأتيه التحوّل من بنيته التركيبية المتكوّنة من أداة + اسم علـــم (أداة نكرة +ا.ع) (un + NP).

وقد اصطلح عليه بالاسم العلم المثاليّ لأنّه يرقى إلى مستوى النموذج أو المنوال، ويحيل إلى شخص تعتبر أعماله وأفعاله قدوة ومثالا يحتذى بها (كريستين جوناسون K. Jonasson 1994 : 229)، (غاري بريور Gary-Prieur 1994 : 29). وتتمّ عمليّة المماثلة بالأداة أو بدونها :

(1) l'erreur d'**un** G. Mounin, partagée par de nombreux linguistes, a été de renvoyer la connotation. ، 1994 : 229 (جوناسون K.Jonasson)

تأخير النظر في الدلالة الإيحائية خطأ وقع فيه جورج مونان وشاركه فيه كثير من اللسانيين.

(2) De Gaulle aurait réagi immédiatement — دي غول كان سيردّ الفعل على الفور. .

(3) **un** De Gaulle aurait réagi immédiatement — دي غول كان سيرد الفعل على الفور.

أحالـــت الأعلام في الأمثلة الثلاثة إلى المرجع الأصلي لحامل الاسم. فمرجعيّـــا لا فرق بين التركيبين "NP"(ا.ع) و"un NP"(أداة+ا.ع)

(29 : 1994 غاري بريور Gary-Prieur)، لذلك يمكن الاستغناء عن الأداة لأنّ لها في التّأويل المثاليّ وظيفة معنوية غير تركيبيّة. فهي تجعل من مصاحبها نموذجا تنضوي تحته مجموعة من الذّوات المتّصفة ببعض خصائصه، ويصبح الأنموذج مكوّنا للقسم الخاصّ به، فبينما ورد العَلَم في (2) اسما علما ثابتا، كان في المثال (1) و(3) نموذجا، وعمل المركب الاسمي (أداة نكرة + ا.ع) (un +NP) على إبراز التّباين بين المرجع الأصليّ للاسم العلم ومرجع اسم آخر هو موضوع الخطاب. فإذا كان الاسم الثّابت يعيّن فردا، فإنّ الاسم العلم الموسوم بأداة نكرة يقدّم ذاك الفرد باعتباره نموذجا يملك مجموعة من الخصائص المشهورة التي يقاس عليها ويشبّه بها، فيتّخذ مثالا.

ويحمل الاسم المثاليّ معاني سلبيّة أو إيجابيّة كالتّعظيم والتّهجين والإيجاب والسّلب مثل :

(4) **ce** Bush ! c'est un diable ! il tue des milliers d'enfants !

(جوناسون، Jonasson : 1994 230)

بوش هذا، يا له من شيطان ! إنّه يقتل آلاف الأطفال !

الاسم العلم (بوش) في هذا المثال في موضع التّنديد والإدانة وليس في موضع القدوة والمنوال، لأنّه يمثّل أحقر درجات الوحشيّة والإجرام بإشعاله حروبا كان ضحيّتها الأولى أطفال أبرياء. فالاستعمال النّموذجيّ للاسم العلم يكون لخصيصة إيجابية في حامل الاسم أو لصفة سلبيّة.

إنّ وظيفة الأداة لا تتمثّل في تعدّد المراجع واختلافها بل في بناء علاقة عضويّة بينها وبين الاسم الذي تحدّده، فتجعل منه مرجعا متميّزا نموذجيّا. وتبرز خصائصه التّمييزية التي من شأنها أنْ تُحاكَى وتُماثَل إذا كانت من المحاسن، أو أنْ يعتبر بها فتُتجنّب إذا كانت من العيوب. لذلك فإنّ الرمز (NP) (اسم علم) يحدّد في الفرنسيّة الفرد، بينما يشير

الرمز(أداة نكرة + ا.ع) (un NP) إلى أنّه أنموذج مختلف دلاليّا عن الاسم العلم الطّرازيّ. ويتحكّم المتكلم في عملية النّمذجة فهو من يطلق على حامل الاسم المثالي حكما إيجابيا بدافع الإعجاب والتّقدير، أو حكما سلبيّا يدلّ على الازدراء والاحتقار والتأنيب.

ويختلف الاسم العلم المؤوّل تأويلا مثاليّا عن الأصناف الأخرى من الأسماء المحوّلة شكلا ومضمونا. فهو محوّل بسبب ما يحمله من دلالة معنوية، ولاتّصال أداة التّعيين به التي لها وظيفة إبراز سمة من سمات الاسم. ولكنّه في الآن نفسه غير محوّل بسبب محافظته على خاصيّة الإشارة إلى الفرد والتّعيين المباشر لنفس المرجع الذي أصبح بالشّهرة مرجعا نموذجيا (كريستين جوناسون K .Jonasson 1994 : 232). فبنية العلَم التركيبية تحوّله، وبنيته المرجعية لا تحوّله. هذه الوضعية غير المعهودة في الاسم العلم تصرفه عن وجهة التّفرّد المحضة وتجعل منه اسما تصنيفيا لظاهرة أو صفة أو قدرة أو مهارة.

3.1.5.3 – الإحالة إلى المرجع الجزئي le fractionnement

لا تحيل الأعلام المحوّلة في استعمال التجزئة إلى مراجعها كاملة، وإنّما تحيل إلى جزء منها أومظهر من مظاهرها. وتصاحب وجوبا بتوسعة دالة على الجزء لا الكلّ. كما في مثال جورج كليبير (G.Kleiber ; 1991, n92 : 83).

(1) **le** Hugo de la jeunesse ne vaut pas **le** Hugo de la vieillesse.

هيغو في شبابه لا يضاهي هيغو في شيخوخته.

ليس المقصود من المثال (1) الحديث عن حياة المرجع "هيغو" كلّها، بل المقصود التّركيز على مرحلتين من مراحل حياته (الشّباب/ الشّيخوخة). دلت التّوسعتان (de la jeunesse / de la vieillesse) على الجـــزء الذي جاء "مفعولا للاســـم" (un complément du nom) قائما

على علاقـــة الجزء بالكل relation partie-tout كما يقول جورج كليبير (G. Kleiber. نفسه : 98).

(Le NP1 + expansion1 …. Le NP1 + expansion2).

(أداة)+ ا.ع + توسعة 1 ...(أداة)+ ا.ع + توسعة 2.

ويمكن أنْ تكون الأداة في الجزء الثاني أداة إشارة دالة على البعد المادي (الزّمان أو المكان) لحالة من أحوال المرجع حسب الشّكل التّالي :

(أل+ا.ع+توسعة1...ذلك+ا.ع+توسعة2) .. Le NP1+ expansion1

(ce NP1 + expansion2

(2) Ah ! **le** Paris de mon enfance que j'aimerai le retrouver ! mais **ce** Paris n'existe plus.

(كليبير، نفسه : G .Kleiber)

آه ! باريس طفولتي كم أودّ أن ألقاها ! لكن باريس تلك لن توجد أبدا.

يتطلّب استعمال التركيب بالإشارة (إشارة+ا.ع /ce+NP) في تأويل التجزئة، أن يذكر نفس الاسم العلم في بداية الكلام مصدّرا بأداة معرفة وتوسعة دالّة على جزء المرجع تكون على الشّكل الموالي :

(أداة+ا.ع+توسعة1...ا.ع+توسعة2) (Le NP1+ expansion1 .. ce NP1 + expansion2)

ويشترط في الأداة الأولى أنْ تكون معرفة لأنّك لا تعيّن مجهولا، إضافة إلى أنّك تخصّصه أكثر فأكثر بالتّركيز على ما به يتميّز في نظرك. هذه التّوسعة مسؤولة عن تجزئة المرجع وتقسيمه إلى حالات ووضعيات مختلفة. وعدم ذكرها في استعمال التّجزئة يستوجب الإشارة إلى المرجع في سياق سابق لإحالة عائدة ما قبلية anaphorique. ويكون المرجع حينئذ معيّنا بنكرة (جورج كليبير G. Kleiber , 1991 : 98).

(3) Elle trouve à son retour un Pierre bouleversé (un+NP) (أداة نكرة +ا.ع)

(ce+NP)Ce Pierre allait bouleverser sa vie : (ce +NP) (اسم إشارة + ا.ع)

وجدت عند عودتها Ø بيار... بيار **هذا** كاد أن يقلب حياتها.

فالتّوسعة التي تقوم عليها التّجزئة هامّة في أداء المعنى الذي يختزنه الاسم العلم، لذلك سمّتها غاري بريور

(Gary-Prieur, 1994 : 105) " التّوسعة التي تنتقي المرجع" :

.« L'expansion sélectionne le référent »

ومن التّوسعات ما كان أعلاما : (أداة معرفة + ا.ع1+ ا.ع2)

(le NP1 de NP2)

(4) **le** Paris de Zola. (Gary-Prieur1994 : 110غاري بريور).

باريس زولا (أي كما وصفها زولا).

(5) **la** Venise de Proust (غاري بريور : نفسه)

بندقية بروست : (أي البندقية كما وصفها بروست).

(6) **le** Salammbô de Flaubert.

صلامبو فلوبير (أي مدينة صلامبو كما وردت في كتاب فلوبير).

ليس للأداة في العربيّة دور وظيفيّ في تعريف العَلَم أو تحويره دلاليّا وإكسابه معنى لم يكن له كما لاحظنا ذلك في الأسماء الفرنسيّة المحوّلة. فالأداة الملحقة باسم العلم مثل البندقيةعادة ما تكون عابرة غير قارّة، فتنفصل عنه في تركيب الإضافة الحاملة لمعنى النّسبة "بندقية بروست" كما في المثال (5). ومتى لازمته في تركيب النعت "البندقية كما وصفها بروست" فهي لا تفيد نفس معنى اللاّم في الجملة الفرنسية المنقول عنها، وإنّما تفيده بالتّوسعة.

إنّ مرجع الاسم العلم المكوّن من جزئيات تمييزيّة واحد لا يتجزّأ، ومايتجزّأ هي مظاهره الخاصة المكوّنة لذات المرجع، وحالاته القارّة أو الطارئة؛ على خلاف العَلَم المحوّل في تأويل المجاز المرسل والاستعارة. فكلّ منهما يتكوّن من ذاتين منفصلتين أو مرجعين مستقلّين تجمع بينهما علاقة مّا. وتخالف في هذا السّياق غاري بريور(Gary-Prieur) رأى جورج كليبير (G. Kleiber)، فتعتبر الاستعمال بالأداة المعرفة لا يجزّئ الفرد بل يقدّمه في عالم من المعتقدات والتّصوّرات " Dans un univers de croyances". فالفرد واحد لا يتجزأ حسب غاري بريور (: 1991 n°92, 50)، وما اعتبر تجزئة هو من باب تعدّد صور الشخص الواحد.فالحديث عن "هيغو البؤساء، وهيغو التأمّلات، وهيغو الهجرة، وهيغو بروست، وهيغو الكتب المدرسية"، لا يقطّع هيغو إربا إربا، لذلك رجّحت الباحثة مصطلح تقسيم وانتقاء عن مصطلح تجزئة.

2.5.3 – اختلاف المراجع

نجد هذا النوع من التّحول في الاستعمال المجازيّ الذي ينقسم إلى استعارة ومجاز مرسل. وهو وجه من أوجه توظيف الاسم العلم سياقيّا وإكسابه دلالات مجازيّة في اللغة الفرنسية وبدرجة أقلّ في العربيّة، فيختلف مرجع العلم المحوّل اختلافا كاملا عن مرجع حامل الاسم.

1.2.5.3 – العلم المحوّل في تأويل الاستعارة l'emploi métaphorique

يستوجب استعمال المجاز وجود مرجعين(م1) و(م2) يمكّنان من إجراء عمليّة المماثلة. وتجمع بين المرجعين علاقة مشابهة، فيشترط لتحقيق التّماثل أنْ يكون طرفا المجاز معروفين والمرجعان مختلفين : فاسم علم الشخص الأول (م1) وهو المستعار له يختلف مرجعه عن المرجع الأصلي للشّخص الثاني (م2) وهو المستعار منه. فلا يلتقيان إلاّ

في خصيصة مميّزة تتحقّق بها الاستعارة وتمثّل وجه الشبه، فتشبّه (م1) ب (م2) للتعبير عن حالة أو خصلة أو إبداع ولكن دون أن يتماثلا تماما، فتبقى المساواة بينهما جزئيّة وعابرة :

م1 ≠ م2.

(م1) يماثل(م2) ولا يساويه.

ومثال ذلك : (كليبير83 : 1991 , G, Keiber)

سارتر، هيغو هذا القرن م1 ≠ م2

(1) Sartre, **le** Hugo de notre siècle
$x1 \neq x2$

يكون الاسم العلم المشبّه به، ورمزه (م2) أو(x2) عادة شخصية مشهورة تاريخية أو أسطورية أو أدبية أو من الأسماء المُعَجْمة والمعرّفة في القواميس العامّة والتي لم تفارق نهائيّا قسم الأسماء الأعلام مثل دون جوان وأربغون ودون كيشوت وحاتم الطائي وأشعب وجحا... وتركّب الاستعارة في الفرنسية بالفعل المساعد la copule être، وبدونه في العربية، وقد تضاف إليها توسعات من نوع : (ا.ع1هو ا.ع2) أو(ا.ع1 هو ا.ع2 + توسعة)

(2) NP1 être un NP2 : Paul est un Don Juan" بول"Ø دون جوان

Paul est un Don Juan moderne. : NP1 être le NP2+ expansion

"بول"دون جيون معاصر

NP1 être un + expansion+ NP2(ا.ع1هو+توسعة+ا.ع2)

(3) Paul est un vrai Napoléon بول Ø نابوليون حقيقي

أحمد حقا أشعب !

يقوم هذا التّمثيل على معرفة الاسم العلم غير المحوّل (أشعب) وبيان علاقة المماثلة بين المرجع موضوع الاستعارة وحامل الاسم

المقصود بالاستعارة وتقريبه من المستعار منه. وتساهم أداة الإشارة في المثال (هذا الهيغو)(ce Hugo) في تأكيد عمليّة الإحالة. ويقبل تركيب الاستعارة في الفرنسية والعربية إقحام عديد التّوسعات من باب الظّروف والأحوال المحوّرة قبل أو بعد الاسم العلم المستعار منه، هدفها تقريب (م1) من(م2) ولكن دون تطابقهما تطابقا كلّيا نذكر منها :

NP1	un vrai NP2	ا.ع2 حقيقي	اع1
	est un véritable NP2	ا.ع2 بحق	
	un nouveau NP2	ا.ع2 جديد	
	une sorte de NP2	نوع، ضرب، من ا.ع2	

وبإمكان هذه المحوّرات من مقولتي الصّفات والظّروف أن تتبادل أماكنها دون أنْ يطرأ تغيير على وظيفتها الدّلالية والبلاغيّة. تذكر جوناسون(66 : 1994, Jonasson) المثال التّالي :

C'est un véritable roi Lear.."إنه بحقّ الملك " لير

ويمكن استبدال أماكن الظروف التي تفيد نفس المعنى دون أنْ يلحق تغيير بالتّركيب وبالدّلالة :

C'est un véritable roi Lear	إنّه حقا الملك لير
Un vrai	حقيقي
Un nouveau	جديد
Une sorte	نوع من

فبين الاسم المقصود بالاستعارة وموضوع الاستعارة شبه قويّ يكاد يكون حقيقيّا. ولكنْ لا يصل درجة الامتزاج. وتحمل الاستعارة تشبيها مستترا تقديره أداة التّشبيه "مثل" وما رادفها من الأدوات. مثّلتْ له غاري بريور بالشكل التالي :

Un NP= un x comme le xi qui s'appelle /NP/. .

(ع.ا = x مثل xi الذي يُدعى /ع.ا/)

وتميّز الباحثة بين صنفين من الاستعارة القائمة على التّشبيه بأداة مستترة (جوناسون 133-134 : Jonasson .K 1994) :

أ – استعارة حيّة la métaphore vivante : وهي ضرب من الاستعارة تدور بين طرفين معروفين، وترمي إلى جعل(م2) نموذجا أو نمطا يحتذى به.

ب – استعارة مُمعجمة la métaphore lexicalisée : معنى الاستعارة مُمعجم وكأنّه اسم عامّ لأنّ (م2) أصبح دالاّ على قسم قارّ كدلالة "دون جوان" وكل من يشبهه الفسوق.

ويتّضح الفرق بين الصنفين من خلال مثالين للباحثة غاري بريور (Gary-Prieur) لا فرق بينهما إلاّ في حرف التاج :

(5) Pierre est **un** don quichotte بيار هو دون كيشوت

(6) Pierre est **un** Don Quichotte

الاستعارة في (5) استعارة مُمَعجمة دلّ عليها رسم الاسم بحرف عادي la minuscule. فهو حسب قوانين النّحو التّقعيدي الفرنسيّ اسم عامّ. ودلّت الاستعارة على أنّ الاسم العلم بيار (م1) ينتمي إلى قسم الكرماء والخياليين الحالمين الذين يعرّضون أنفسهم للأخطار قصد تقويم الأخطاء الإنسانية. بينما دلّت الاستعارة في (6) على صورة أثرى من صورة الاستعارة في (5). فهي استعارة حيّة ومباشرة بواسطة اسم علم "دون كيشوت"، يثير ذكرها في ذهن المخاطب الصّور التي يعرفها عن هذه الشّخصية الخرافيّة ذات القدّ الفارع النّحيف، والفارس الشّجاع الّذي يمثّله الجواد والسيف واليدان المرتفعتان. إنّ التّركيب (un NP) استعمال محوّل اشتمل على جزءين : اسم علم (NP) يحيل إلى المرجع الأصلي المحمّل

بكل خصائصه الذاتية، والأداة (un) المحوّرة للعلَم، فتعطيه معاني عديدة منها الاستعارة كما في المثالين السابقين (5 و6). والأداة المحوّرة لوظيفة صاحب المرجع ضروريّة في الاستعارة حسب جوناسون، بينما تثبت غاري بريور(Gary-Prieur ,1994 : 164) أنّه بالإمكان تركيب استعارة بدون الأداة ، وتقدّم على ذلك المثال التّالي :

7) Paris, c'est Beyrouth ". .باريس، إنها بيروت"

2.2.5.3 – العلم المحوّل بالمجاز المرسل l'emploi métonymique

يختلف حامل الاسم، ككلّ أنواع العلَم المحوّل مجازيّا، عن المرجع الأصلي، وتربط بينهما علاقة منتج بإنتاج ومبدع بإبداع. وهذا الاستعمال المحوّل بالمجاز المرسل وظيفي في الفرنسية في عالم الفنّ والأدب والسّياسة. ويختلف تحويل الاسم العلم بالمجاز المرسل عن تحويله بالاستعارة في علاقة طرفي المجاز. فالاستعارة تقوم على (م1) و(م2)، وهما مرجعان مختلفان، بينما يرتبط المرجع Y بحامل الاسم ورمزه x عبر علاقة المجاز المرسل لقرينة جامعة بين Y وx قد تكون الجزئيّة أو الكلّية أو علاقة المؤلِّف بالمؤلَّف... ونمثّل لاستعمال المجاز المرسل بهذه الأمثلة المستنبطة من البحوث اللّسانية في ميدان الأسمائية.

(1) Mozart est le compositeur de plusieurs morceaux — موزار مؤلف عديد القطع الموسيقية..

(2) J'écoute en ce moment **du** Mozart (Kleiber 1994 : 95 كليبر) — أستمع الآن إلى موزار.(كليبير
"أستمع الآن إلى محمد عبد الوهاب".

(3) Paul a acheté **un** Molière — اشترى" بول" موليير.
"اشترى أحمد الجاحظ".
"اشترى أحمد أغاني الحياة".

جاء موزار في (1) علَما غير محوّل ولم يسبق بالأداة المحوّرة فأحال إلى مرجعه الأصلي وهو الاستعمال العاديّ للاسم العلم. أما المثالان (2) و(3) فقد حلّ فيهما العلَم المجازيّ، وهو المبدع، محلّ الإبداع (الموسيقى، المؤلّفات). فالمتكلم لا يستمع إلى موزار بل إلى موسيقاه، والقارئ لم يشتر موليير وإنما اشترى مسرحيّة من مسرحياته. ودلّ على الجزء استعمال أداة التّبعيض(un/du) التي تظهر في الاستعمال الفرنسي ولا تظهر في الاستعمال العربي من المثال(2)، ولكن نفهم علاقة الجزء بالكلّ من خلال السّياق، وهو وجه هامّ من أوجه توظيف الاسم العلم المحوّل في العربيّة بالمجاز المرسل والاستعارة ، مع اختلاف في البنية بين التركيب العربي والتركيب الفرنسي. إنّ العلاقة بين موزار وموسيقاه، وبين موليير ومسرحياته، وبين الجاحظ وإنتاجه الفكريّ والأدبيّ علاقة سببيّة. فأنت تستمع إلى أغاني محمد عبد الوهاب ولا تستمع إلى محمد عبد الوهاب نفسه، وتشتري ديوان أبي القاسم الشابي "أغاني الحياة" ولا تشتري الشّابي. فأطلق المسبِّب وأريد المسبَّب، لأنّ عبد الوهاب كان سببا في تلحين الأغاني وأدائها، كما كان موزار سببا في تأليف القطع الموسيقية والسنفونيات.

ويحيل الاستعمال المجازيّ بالمجاز المرسل إحالة مباشرة إلى ذوات دنيا مكوّنة لذات حامل الاسم (كتاب، سنفونية، أغنية، لوحة فنية...)، وتُركّب بالأداة مع الاسم العلم (un NP) أو بدون الأداة (ØNP) تجسّمها أمثلة وردت في كتاب جورج كليبير (G. Kleiber, 1994) وكريستين جوناسون .(Jonasson ,2005 : 74)K :

(4) George Sand est sur l'étagère de gauche (Jonasson 2005 :

(جوناسون 74

"جورج صند" فوق الرّف الأيسر.

(5) Renoir se trouve à l'étage au-dessous. رونوار يوجد في الطابق الأسفل.

نلاحظ يسر نقل هذه الأمثلة المجازيّة الخالية من الأداة إلى العربيّة. ويقدّم فكسلير (Vaxelaire) حلّين لنقل المجاز من لغة إلى أخرى مع المحافظة على نفس المعنى ونفس الصّورة المجازيّة : نقل التركيب وتفسيره في الإحالة أي الهامش، حتى تتّضح الصّورة البلاغيّة لمستعمل اللغة المورد، أو استبدال العَلَم الفرنسي بعَلَم محليّ أو قوميّ من ثقافة المجموعة الثانية، وهو ما يمثّل الحلّ الثاني لترجمة الأمثلة المجازيّة التي مثّل العَلَم فيها موضوع المجاز (فكسلير J. L. Vaxelaire : 2005).ومن أوجه تراكيب العَلَم المؤوّل بالمجاز المرسل الشّكلان التّاليان والتّمثيل لهما :

(أداة +ا.ع...أداة إشارة+ا.ع)CeNP ... Ce NP (هذا +ا.ع)Ce NP

(6) **Ce** Van Gogh est hors de de prix (G. Kleiber) 1994 : 90 جورج (كليبير)

هذا "الفون غوغ "باهظ الثمن.

(7) Dans la deuxième salle, il y avait un Van Gogh de la dernière période. Je ne l'avais encore jamais vu, ce Van Gogh.

"يوجد في القاعة الثانية فون غوغ آخر حقبة. لم أكن قد رأيت قط هذا الفون غوغ".

لا يعني فون غوغ في (6) الرّسام بل اللوحة، فذُكر المسبِّب بدلا عن المسبَّب. وأفاد التّكرار والإشارة في (7) إلى وجود لوحة نادرة للرّسام في المقام، ولفت الانتباه إليها، والإحالة على نفس الشيء. ففون غوغ الأوّل(الفون غوغ) "un Van Gogh" لا يختلف عن فون غوغ الثاني (هذا الفون غوغ)"CeVan Gogh" إلاّ باختلاف الأداة والوظيفة الرّابطة حيث للإشارة دور الأداة العائدة anaphorique.

3.2.5.3 – استعمال التّبعيض l'emploi partitif

أثارت الدّراسات الأسمائيّة قضيّة هامّة لها علاقة بنوع الأداة وعملها واتّصالها بالمجاز المرسل وتخصّصها بالجنس المذكر. وتختلف باختلاف الصوت الذي يأتي في أوّل الاسم العلم. فإذا كان الاسم مبدوء بحركة أو بحرف مهتوت « h » (une lettre aspirée) كانت الأداة : (de l') أو (d')، وإذا كان أول الاسم حرفا (c) كانت أداة التبعيض (un) أو (du).

وتصاحب أداة التّبعيض أسماء الأشخاص فتكسبها قيمة مادية ومعنوية مصدرها إنتاج أو ابتكار أو سمة بارزة. وأداة التّبعيض ثابتة لا تتغيّر، فتلازم حالة التّذكير والإفراد مثل :

(1) J'ai écouté du Mozart (G. Kleiber1991 جورج كليبير , n°92 : 84)

"استمعت إلى شيء (أوقسط) من موزار".

(2) Je lis du Françoise Sagan"أقرأ بعضا من فرانسواز صاغان".

لحقت بالترجمة العربية توسعات دالّة على التّبعيض مثل جزء أو "جانب" أو "شيء" أو "بعض". ويقبل التركيب أيضا في الفرنسية توسعات دالّة على مقولتي الكم quantitatif، أو الكيف qualitatif (فلوكس N. Flaux 2000 : 93).

أ – تأويل الكمّ

يشترط في الاسم العلم المؤوّل تأويلا مجازيّا بالكمّ أن يكون معروفا، فيعيّن شخصيات مرموقة على الصّعيد القوميّ أو الكونيّ، كتّابا كانوا أو فنّانين، ويشير إلى جانب من أعمالهم لا إلى الأعمال كلّها، لذلك سمّيت الأداة أداة تبعيض. كما تخصّ أداة التّبعيض المبدعين أنفسهم ومبتكريّ الأعمال الفنّية. فالأداة دالّة على الكمّ والقيْس والميزان :

(3) j'ai lu **du** Proust toute la nuit. "طالعت جزءا من بروست طوال الليلة."

(4) j'ai lu **du** Misérables."طالعت جانبا من البؤساء."

وبالإمكان إثراء التّركيب بعديد المفردات والمركّبات الدالّة على الكمّ

(5) J'ai écouté du Bach toute la nuit… استمعت إلى جزء من باخ…

(6) J'ai écouté une heure de Bach. استمعت إلى باخ مدّة ساعة

(7) J'ai écouté un peu de Bach.استمعت إلى قليل من باخ

خاصيّة أداة التّبعيض التّنكير والتّذكير. ولزومها التّذكير لا علاقة له بجنس الاسم العلم. فهي علامة محايدة غير واسمة، وصَفَتْها فلوكس(Flaux N.) بعلامة غير حي [inanimé] أو الجامد (فلوكس : N. Flaux 2000 : 100). فالمذكّر هو حينئذ غير موسوم " le masculin est dit alors non-marqué" كما أنّ ملازمة الاسم العلم الدالّ على التّبعيض لحالة الإفـــــراد لا تَسِمـــــه كاسم علم ولا تخصّصه، لأنّ علامة الجمع تلحق به أحيانـــا متى كان الحديث يخصّ العائلات لا الأفراد مثل لي ديبون (les Dupont) فنقول في تأويل التّبعيض :

(7) J'ai acheté un Hugo اشتريت هيغو

J'ai acheté **du** Hugo.

J'ai acheté **des** Hugo.

فالاسم العلم في وضع اسم جمع وهو اسم عدد un nom de masse تعاد مقْوَلته recatégorisation، فيصبح في السّياق اسم جمع أو اسم معنى، ولا يتحقّق هذا التّحويل ما لم يغيّر الدارسون حكمهم على الاسم العلم ويقتنعوا بأنه لا يحدّد فقط حامله بل يبيّنه كمّا وكيفا (غاري بريور Gary-Prieur) 1990 : 174).

يحيّر عدم تطابق الجنس بين أداة التّبعيض والاسم العلم في المجاز اللّسانيين. وقد علّله البعض بوجود اسم محذوف يعود على الأداة ضمنيّا وهو الذي به تتّحدد مقولة الجنس. ولا ترى غاري بريور (Gary-Prieur) التّعليل مقنعا لأنّ أداة التّبعيض un/de لا تبيّن المحذوف.

(8) j'ai lu **un** Racine ; قرأت Ø راسين؛

فإذا أوّلنا المثال باسم محذوف تعود عليه الأداة "un "في صيغة التذكير : « un texte » تستقيم القراءة. وإذا كان التّعيين بأداة التّأنيث une : "une tragédie" لا يستقيم التّأويل، لذلك تبقى أداة التّبعيض دائما في صيغة المذكّر، بينما تطابق مصاحبها مع الاسم الذي اعتبر مستترا في وضع التّعيين العاديّ (غاري بريور Gary- Prieur 1990 : 174..177). فجنس أداة التّبعيض ثابت مهما كان جنس الاسم العلم أو جنس الاسم العامّ، ومقولة التذكير du/un إجبارية في المركب الاسمي (du NP/ un (NP) إذا أفادت الأداة التّبعيض. فالأداة عاملة من منطلق دلاليّ وغير عاملة جنسا، والاسم العلم لا يمكن تأويل معناه إلاّ إذا كان معروفا في عالم من المعتقدات كما يقول مارتان (1987).

R. Martin : « un univers de croyances ». فتأويل جملة مثل :

(9) J'ai écouté **du** Bach toute la nuit."استمعت إلى" باخ"كامل الليلة"

تستدعي ثقافة موسيقية من الباثّ والمتقبّل ومعرفة "بباخ" وبإنتاجه السنفوني، حتى يفهم كل منهما أنّ المرجع ليس هو المقصود في هذا الكلام بل المقصود هي الموسيقى، فذُكر المسبَّب وأريد به بعض من مسبِّباته. وبالمقابل لا يتطلبّ اسم الخمرة شمبانيا (du Champagne)، وهو اسم مُمَعجم ودالّ على قدر من هذا النوع من الخمر، معرفة بمكان إنتاجه

وبمصدر تسميته، على عكس ما تتطلبه الأسماء du Proust ،du Hugo، un Mozart من تمييز بين أصحابها.

ب – تأويل الكيف

لا فرق في التركيب والدّلالة على التّبعيض بين الجملتين :

(10) J'ai écouté **du** Bach toute la nuit."استمعت إلى باخ كامل الليلة".

(11) Cette plaisanterie c'est bien **du** Louis "هذه الدّعابة هي حقّا من لويس."

وسبب التّوافق المبدئي أنّ التّبعيض لا يعوّض بأداة أو لفظ دالّ على الكمّ. فالمركـــــب الاسمي SN والذي مثّله du Louis في (11) يحيل سياقيّا إلى وضعية عليها "لويس" أو خصلة من خصاله. فأعيدت مقْولة الاسم la catégorisation حسب غاري بريور(Gary-Prieur 1990 : 185) ليصبح دالاّ على بعض خصائص الاسم، وهي تعني بالخصائص مجموع السّمات التي تميّز فردا عن آخر. فما يفصل بين نوعي المجاز المرسل كمّا أو كيْفا، أنّ الكم يربط حامل الاسم بنتائج أنشطته وإبداعه، بينما يربط الكيف حامل الاسم بطبائعه وتصرّفه.

ويحيل الاسم العلم في "du Louis" إلى شيء مختلف عن المشار إليه بـــNP. ولا يفهم التركيب du NP إلاّ من خلال العلاقة التي تربطه بمرجع الاسم العلم. أي أنّ NP يعيّن مرجع الفرد du NP من خلال أنشطته الأدبيّة والموسيقيّة والفنّيّة المجسّدة بالنّصوص وعناوين الكتب واللوحات والسنفونيات والمنحوتات، إذا دلّ التّبعيض على الكمّ؛ ومن خلال الخصال المجرّدة لحامل الاسم كالمزاح والفكاهة والشّجاعة والبلاغة والأسلوب. فالتّأويل يبرز قيمة التّبعيض لا كَمَّه. وعلى خلاف الاستعمال المجازيّ الدّالّ على الكمّ، فإنّ استعمال الكيْف لا يعيّن

بالضرورة أفرادا مشهورين. وتدخل عليه ظروف مثل peu " قليل" وbeaucoup "كثير" وbien "جيّد"، وظيفتها تقوية اتّصاف المرجع بالكمّيّة وبالوصف.

ج – التبعيض والاسم المُمَعجم

تحوّلت أسماء الأشخاص والأماكن إلى أسماء عامة مثل silhouette وmausolée وchampagne تحويلا معجميّا استبداليّا، ونُسي أصلها، وأصبح مرجعها الأوّل مجهولا. فلا أحد يربط الصلة بين وعاء القمامة poubelle والاسم العلم Poubelle. ويستعمل هذا النوع من الأعلام المحوّلة نهائيا إلى اسم عامّ، أو المحوّلة تحويلا ظرفيّا عرضيّا، في معنى التّبعيض، فيدلّ على معنى يدلّ الكمّ أو الكيْف. وأهمّ ما يميز هذا العلم المحولّ والمستعمل مجازيّا والدّال على التّبعيض كمّا وكيْفا أنّ الأداة تطابق مصحوبها ولا تلازم صورة واحدة، ومن ذلك :

(12) il y a **de la** Jeanne d'Arc en elle (Flaux 2000 : 109فلوكس).

"فيها شيء من جان دارك"، (وجان دارك رمز المقاومة والشّجاعة والتّضحية في سبيل الوطن).

(13) il y a **du** Néron dans cet homme-là (Flaux 2000 : 109فلوكس).

"يوجد شيء من نيرون في هذا الرجل" (ونيرون رمز الطغيان والقسوة والمجون).

ويصاحــب تركيب التبعيض بالاسم المُمَعجم في دلالته على الكمّ أو الكيْــف بالظروف الدالّة على الهيئــة والعدد. وتكون الأداة على شكل (de la, du, de). وقد عرّفت فلوكس (N. Flaux) الاسم المُمَعجم الذي اصطلحنا عليه بالأسمائية المجازيّة ورمزه (NPa)، (الحرف a اختزال لمصطلح antonomase)، بأنه اسم "[...] يستعمل لتعيين مرجع مغاير

لمرجع حامل الاسم الأصليّ، على أساس التّماثل بين خصائص المرجع المستهدف وخصائص المرجع الأول" (فلوكس 2000 : 123).

تتّفق الأسمائية المجازيّة في استعمال التّبعيض مع المجاز المرسل الدال على مقولة الكمّ فيكون العلم المحوّل معها مشهورا وتختلف عن هذا الصّنف من المجاز العَلَمي في مطابقة الأداة لمصحوبها جنسا كما بيّنه المثالان (12) و(13).

إذا قارنا بين الاستعمالات المختلفة للاسم العلم المحوّل بأسلوب التّسمية والأسلوب المثالي وأسلوب التجزئة، تبين لنا أنّ هدفها واحد وهو إكساب العَلَم معنى من السّياق. أمّا التراكيب فمختلفة بسبب اختلاف نوع أداة التّعيين ومحلّ التّوسعة كما يلخّصه الجدول التالي :

نوع التأويل	نوع الأداة	محل التوسعة	شكل التركيب
– التسمية la dénomination	1 – نكرة (un) 2 – نكرة 3 – إشارة (ce)	Ø على يسار الاسم جوازا	أداة نكرة + Ø + ا س.ع Un + Ø+NP أداة نكـــرة + توسعة + ا س.ع Un + exp+NP إشارة + توسعة + ا س.ع Ce+exp+NP
– المثالي exemplaire	1 – نكرة (un) 2 – إشارة (ce) Ø– 3	Ø	أداة نكرة + Ø + ا س.ع un+NP ce+ Ø+NP Ø+ Ø+NP

نوع التأويل	نوع الأداة	محل التوسعة	شكل التركيب
La +exp+NP – التجزئة fractionnement المرجع واحد يتكرر – المجازي	1 – أداة معرفة 2 – أداة معرفة إشارة (ce) 1 – نكرة (un) 2 – إشارة (ce)	على اليمين وجوبا على اليسار أو اليمين جوازا	– أداة معرفة + توسعة + اس.ع La +exp+NP – أداة معرفة + توسعة + اس.ع La +exp+NP – أداة معرفة + توسعة + اس.ع إشارة + توسعة+ اسم.ع ce +exp+NP أداة نكرة + توسعة + ا س.ع Un+exp+NP أداة + اسم علم + توسعة Un+NP+exp

بعد هذا العرض لمختلف الاستعمالات السياقية للاسم العلم المحوّل تحويلا نصيّا بالمجاز المرسل والاستعارة، وبوسائط تركيبية كالتّبعيض، وبأساليب الاستعمال الاسمي والاستعمال المثالي وأسلوب التجزئة، وما لكل هذه التحويلات من علاقة بالمرجع، نلاحظ أنّ الاتفاق لم يحصل بين كل الأسمائيين حول درجة التّحوّل.

يرى بعض الدارسين، ومنهم غاري بريور (Gary-Prieur 1991 (n°92 : 22-23) ومورتيرو (M.F. Mortureux 1997 : 119) أنّ تحوّل الاسم العلم يبقى جزئيا، فهو يحافظ على وضع العلَمية لأنّه يمثّل ذاتا واحدة مطلقة. فلكي نميّز بين الاسم العلم والاسم العام في السياق وجب

النظر في ما يوحي به العَلَم المحوّل من معنى قبل النظر في معنى المحدّدات (غاري بريور. نفسه 19 : Gary-Prieur 1991)، لأنّ العَلَم الدّال على معنـــــى التّبعــيض الذي شكله (أداة نكرة + ا.ع) (Du+ NP) ومثاله "Du Mozart" بمعنى" قليل من موزار" وتأويله" قليل من موسيقى موزار"، هو استعمال من التركيب وليس من المعجم، تكسبه الأداة دلالة الكمّ، فلا يعوّض العلم "موزار" الوحدة المعجميّة "موسيقى"، ولا يُمعجم بل يبقى استبدالا استدلاليا ظرفيا، ويسترجع العَلَم كل خصائص الاسم العلم خارج السّياق. فللتحوّل حدود رغم سهولة توظيفه في التركيب الفرنسي.

ومن حجج المعترضين على انتقال العَلَم في السّياق من مقولة العَلَميّة إلى مقولة الجنس، أنّه يحافظ على ما يميّزه عن الاسم العام. فهو يرسم بحرف التاج في بعض اللّغات وجوبا، بينما يبقى الاختيار ممكنا مع الأعلام المُمَعجمة والمنقولة إلى اسم عام عن اسم علم مثل بورغونيو bourgogne الخمرة المنسوبة إلى مدينة Bourgogne موضع إنتاجها. ثم إنّ أسماء الأشخاص وخاصة المبدعين كالكتّاب والرسّامين والموسيقيين تحافظ في السياق على عَلَميتها على عكس أسماء الأماكن أو أسماء الأشخاص الأقلّ شهرة. فهي تمعجم وتتحوّل نهائيّا إلى أسماء عامة.

الفصل الرابع

الاسم العلم بين التحجّر والدّلالة

خاضت الفلسفات القديمة على امتداد أحقاب التاريخ في موضوع دلالة الاسم العلم. فهي مسألة متجذّرة في الدراسات المنطقيّة والفلسفيّة وفي مختلف الحضارات البشريّة. رأى فيها أفلاطون اصطلاحا، فأرجع معاني الأعلام إلى أصولها. واعتبرت الميثولوجيا أنّ للاسم العلم دورا في وضع أسس الإنسانية وبنائها (فكسلير، Vaxelaire 2005 : 401) بدءا من المصريين القدامى ومرورا بالهنود والإغريق ووصولا إلى الدين الإسلامي الذي يعبّر فيه عن عظمة الله ورفعة شأنه وتميّزه عن مخلوقاته بتعدد أسمائه الحسنى، في حين أنّ الانسان لا يملك في المقابل إلاّ بضعة أسماء وكنى. فإذا نحن تصفّحنا تاريخ الدّيانات المختلفة وجدناها قد خصّت آلهتها بعدد كبير من الأسماء الدّالة المبرّرة كإله الحبّ إيروس Eros وإله الحرب تزوس Zeus وآلهة الخصب فينوس Venus... فتأصيل أسماء الآلهة يكون عادة شفّافا ودالاّ وذا مغزى لغويّا.

وللاسم العلم دور عجيب في المعتقدات الشّعبية العربية، تجعل الأمهات اللاّئي فُجعن في فقدان مواليدهن، يخترن أسماء قبيحة لأطفالهن مثل "العيفة" من عاف الشيء أي تركه، و"الهامل" بمعنى المتروك السائب الضّال. فتعافهم الموت حسب اعتقادهن ولا تأخذهم منهن. وفي حالات أخرى يصبح الاسم طالع خير، فينتقي السيد لعبيده أسماء مريحة وموحية بمعنى اليمن والسعد والبركة، ويقدم على تغيير أسماء ما ملكت يداه من

غلمان وجوار حفاظا على أملاكه ودحضا لعين الحسود. ولنفس السبب يختار الآباء لمواليدهم أجمل الأسماء وأخفّها.

1.4 – الاسم العلم المتحجّر

عادة ما يعرّف المنطق وفلسفة اللغة الاسم العلم تعريفا مرجعيّا شأنه شأن عناصر الإحالة المقاميّة من إشارة وضمائر. ومن أهمّ الأطروحات المنطقيّــــة حول الاسم العلم الرّافضة لدلالة الاسم العلم، أطروحة ميل S. Mill (1806–1873)، وأطروحة كريبك S. Kripke (1980)

1.1.4 – أطروحة ميل S. MILL.

حظيت مسألة اللفظ المتفرّد ومسألة الاسم ومرجعه بمكانة هامّة في الدّراسات الفلسفية التّحليلية التي كانت منطلقا لتأسيس دلالة علَمية فيما بعد عند الأسمائيين إثر اهتمامهم بالاسم العلم داخل الخطاب.

تقول نظريّة الفيلسوف الانغليزي ميل S. Mill بخلو الاسم العلم من الدّلالة. فهو يعيّن فقط ذوات محدودة ولا يدلّ ولا يوحي بخصائصه على معان بعينها، أي أنّ العلَم لا دلالي asémantique، وخاصة خارج الاستعمال والنّص حيث يصبح دالاّ مدلوله فارغ à signifié vide (كريبك Kripke, 1980 : 338). ولا يشحن العلَم بالدّلالة إلاّ في سياق مقاميّ أو مقاليّ، فيستمد معناه من اللغة ومن الأوصاف ومن النداء. ويكمن الفرق بين دلالة الاسم العامّ ودلالة الاسم العلم في أنّ الأوّل يجمع بين دالّ ومدلول في وحدة معجميّة، وأنّ محتواه موجود قبل تعيينه، بينما يجمع الثاني بين دالّ ومرجع دون مدلول، ويتولّد محتواه الدّلالي بعد التّسمية. فيأتيه من مظهره الشكلي وهو معنى الجذر الذي لا يطابق بالضرورة مسمّاه، أو من خصائصه التّمييزية كاشتهاره بالحيلة أوالحب العذري أوالزّندقة أو الكرم. ولكنّ الأعلام حسب ميل Mill تعيينيّة لا غير، تضاف إليها وظيفة المناداة والتّخصيص. ولا يمكن بأي حال من الأحوال اعتبار

التّسمية حجّة على حمل الاسم للمعنى. ولأنّه لا يدلّ ولا يوحي، فهو لا يصف حامله ولا يقدّم عنه معلومات مميّزة .

ونتج عن ثنائية (تعيين / إيحاء) التي أقام عليها ميل Mill نظريته الرّافضة لدلالة الاسم العلم، الاستنتاجات التّالية (مارك ويلمت Marc Wilmet 1986 : 115) :

1 – تماثل الأسماء العامّة المفردة مثل الشمس والقمر والأرض الاسم العلم لاتفاقهما في التّخصيص وعدم الاشتراك والإطلاق. وهي ملاحظة كان قد أبداها ابن يعيش في سياق حديثه عن صفة الشّمول في الشمس والقمر. يقول : "إنهما وإنْ لم يكن لهما في الوجود مشارك فهما شاملان بالقوّة. فإنّا لو قدّرنا خلق نيران تماثل الشمس والقمر لأطلق عليهما اسم الشمس والقمر باعتبار النور" (*شرح المفصل* 1 : 26).

2 – التّبادل بين اسمين معيّنين لفرد واحد

3 – يحصل خلط بين شيئين مشتركين في نفس الاسم

ولأنّ الاسم العلم يثير في المتقبّل ما يعرفه عن مرجعه من معلومات، تقترح غاري بريور (Gary-Prieur) تعويض قولة ميل (Mill) الشهيرة "الأسماء الأعلام ليس لها معنى"، والتّخفيف منها بقولة ذات منحى لسانيّ، وهو أنّ "الأسماء الأعلام لها وظيفة دلاليّة تختلف عن وظيفة الأسماء العامّة الدلاليّة" (18. 1994)

1.1.1.4 – نقد النّظريّة

لا يوافق أوتو جسبرسن (Otto Jespersen,1971 : 75_83) أطروحة ميل(Mill) حول خلوّ الاسم العلم من الدّلالة. فقد ألحّ ميل على القيمة المعجميّة للاسم العلم، ولم يول قيمته السّياقيّة ما تستحقّ من العناية. بينما رأى جسبرسن أنّ الاسم العلم يستمدّ دلالته من النّص، وهي دلالة

ضروريّة للاسم العامّ والاسم العلم على حدّ السّواء (جسبرسن1971 : 77). ودعّم ما ذهب إليه بمجموعة من الحجج والأمثلة منها :

1 – لا يمكن تحديد دلالة الاسم العلم خارج السّياق، فالاسم "جون" (John) مثلا يستعمل مع مجموعة من الحاضرين لتعيين شخص بعينه، ثمّ يستعمل في سياق آخر مع مخاطبين جدد للإشارة إلى شخص ثان. فيختلف حاملا نفس الاسم في الخصائص والصّفات والذّوات الّتي تكوّن مجتمعة حزمة من السّمات الدّالة الذّاتيّة بسبب اختلاف مرجعي "جون1" و"جون2" اختلافا يجسّده السّياق. ويتّصف اسم العلم بصفات تمييزيّة ، مثل الاسم العامّ، تمكّنه من الدّلالة الإيحائيّة . فهو – على عكس ما ذهب إليه ميل – دالّ دلالة سياقيّة من خلال صفات تحدّد معناه كلّما تردّد ذكره واطّرد استعماله وأصبح معهودا معروفا من المتقبّلين، خاصّة إذا تعلّق الأمر بالأسماء المشهورة الّتي تستمدّ دلالتها الإيحائيّة من شهرتها.

2 – تتعدّد معاني الوحدة المعجميّة ولا تتّضح إلاّ من خلال السّياق، ذكر جسبرسن أمثلة كثيرة للتّعدّد الدّلالي منها كلمة (pipe) الّتي تفيد معاني مختلفة لا تتحدّد إلاّ بالاستعمال وهي : أ-غليون ؛ ب-أنبوب ، قناة؛ ج-مضخّم الصّوت ؛ د-أنبوب، أرغن بالكنيسة (جسبرسن Jespersen,1971 .(77

3 – يتحوّل كلّ من الاسم العامّ والاسم العلم، فيتبادلان الوظائف بتعميم العَلَم وتخصيص الاسم العامّ. لذلك فإنّه يعسر حسب جسبرسن ضبط حدود صارمة تفصل بين صنفي الاسم دلاليّا (نفسه : 82)، بينما يسهل التّحوّل في الاتّجاهين والاشتراك في نفس الملفوظ ، ومثال ذلك اشتراك اسم المكان "الغابة السّوداء" (Fôret Noire) مع الوحدة المعجميّة "الغابة السّوداء" (la fôret noire)، بمعنى غابة كثيفة الأشجار، اشتراكا لفظيّا. كما أنّ الاسم العلم في أغلب الحالات اسم عامّ مخصّص، أصوله عامّة وأنماطه الصّيغيّة دالّة شكلا، مثل "البؤساء " لفيكتور هيغو

و"البخلاء" للجاحظ و"البحر الأحمر" لنوع من البحار، لكنّ دلالته الفعليّة تبقى إيحائيّة نصيّة، تأتيه من صفاته الكثيرة الّتي يبرزها السّياق أو يسجّلها التّاريخ .

ويستعمل العَلَم استعمالات مجازيّة دالّة، تحدّث عنها جسبرسن ومثّل لها واستدلّ بها كحجج لدحض نظريّة ميل. وهي استعمالات اصطلح عليها الأسمائيون بعده بالاستعمال المثالي والاستعمال المجازي عن طريق المجاز المرسل والاستعارة، واستعمال التّجزئة والتّبعيض (الفصل الثّالث : الاسم العلم ثابتا ومتحوّلا).

2.1.4- أطروحة كريبك KRIPKE

لا شك أنّ أهمّ نظرية حول الاسم العلم بمقاربة منطقية كانت للفيلسوف الأمريكي صول كريبك (Saul Kripke) الذي يُحمل على الميليين الجدد Les néomilliens. قد جـدّد قبله بعض المناطقة درس الاسم العلم، فأكّد فريج (G. Frege) على دلالة الاسم العلم حتى لا يكون مجرّد متتاليات من الأصوات الخاوية، ووافقه الرأي ويليام كنيل (William Kneale)، فعاب على ميل تجريد الاسم العلم من المعنى. (فكسلير، 515-543 : J.I. Vaxelaire 2005)، وقسّم فريج (Frege) الأسماء إلى قسمين : الاسم التامّ ويمثّله الاسم العلم، والاسم غير التّامّ ويشمل أسماء الوظائف les noms de fonctions. ويخلص فريج (Frege) إلى النّظريّـــة الوصفيّة المحـــدّدة لذات الاسم العلم la théorie descriptive définie والتي سيلتقي فيها مع الفيلسوف برتران روسل (Bertrand Russel). فسقراط مثلا هو اسم علم معروف تحدّده مجموعة من الأوصاف الدالّة عليه وهي : "فيلسوف يوناني، ابن قابلة، أستاذ أفلاطون، حكم عليه بالإعدام سنة 399 ق.م "(مارك ولمت 115 : Marc. Wilmet).

1.2.1.4 – نظرية المعيّن المتحجّر

أقام كريبك (Kripke) في كتابه "منطق الأسماء الأعلام" (La logique des noms propres, 1980) نظريّته على المحدِّد أو المعيّن المتحجِّر"le désignateur rigide"الذي يعرّفه بقوله "هو ما يعيّن شيئا دون غيره في كل العوالم الممكنـــــة. أما غير المحدِّد وغير الذاتي فهو عـــارض "(كريبك S. Kripke1980 : 36). وهي نظرية لا يقبلها فريج وروسل (Frege وRussel)، كما رأينا، ويقولان بمبدأ استبدال الأسماء الأعلام بالصفات، على عكس نظرية المعيِّن المتحجِّر المبنيّة على علاقة تعيين الفرد باسمه في كل العوالم الممكنة، والجمع بين الاسم والمرجع برابط وثيق ودائم لا ينفصم (لوروي Leroy 2004 : 31). وبهذا المفهوم يكون الاسم العلم مجرّد علامة محيلة على مرجع يعود إلى أصل التّسمية التي تمّ فيها الرّبط بين الاسم العلم والمرجع بطريقة ثابتة لا تنقطع أو تكاد. فتكون الخاصيّة الأساسيّة للاسم العلم في نظر كريبك هي التّعيين ولا شيء غير التعّيين. فهو المعيّن الثّابت نظرا إلى ارتباطه ارتباطا كلياّ وراسخا بمرجعه، دون اعتبار ما يمكن أنْ يطرأ من تغييرات جسدية أو عقلية على حامل الاسم. فالاسم "سارج" Serge يتّسم بأوصاف مميّزة منها أنّه شابّ وسيم. يجعل هذا التّحديد الصّفة والموصوف شيئا واحدا ومتماثلين مرجعيّا. ولكنّ الزمن يغيّر بعض محدّدات سارج وملامحه، فلا يبقى دائما شابا وبمرور الزّمن لا يظل وسيما. وينتهي كريبك إلى أنّ الاسم وحده يحافظ على خاصّية تعيين نفس المرجع في ماضيه وحاضره ومستقبله (نفسه لي روي : Leroy).

2.2.1.4 – علاقة الاسم بالمرجع

تحدّث كريبك عن قضيّة الإحالة المرجعية وعن علاقة الاسم بالصّفات حديث الفيلسوف لا اللّساني، . فمرجع الاسم هو الشيء المسمَّى بذلك الاسم حسب كريبك. ويرمز إلى هذه الأطروحة ببيان أو شكل مجرّد

مفاده أنّ "x" تعوّض بالاسم أو بالوصف، وأنّ مرجع " x" هو "x". كما أنّه يعالج مقولتي التّعيين والإيحاء ويبيّن أنّ الاسم العلم غير حامل للمعنى وبالتالي فهو غير مقترن بدلالة سواء كانت تصريحيّة أو إيحائيّة ضمنيّة، على عكس فريج (Frege) الذي يرى في صفات الاسم دلالة عليه، فالله "الواحد الأحد، الحيّ القيوم، مالك السّماوات والأرض..." دالّ على الإله الذي لا إله إلاّ هو (نفسه كريبك : 15-16 : Kripke). إنّ مرجع الاسم ليس بالضرورة الشيء الذي يشار به إليه ويحيل عليه، بل هو صفاته، كأنْ نقول "الرّجل الذي حضر حادثة السّقيفة هو موسى بن نصير"، أو "أكبر فلاسفة العصر القديم هو أرسطو". أمّا إذا عُيّن المرجع بعديد الأسماء مثل أسماء الله الحسنى التّسعة والتّسعين، ومثل كنى الرسول محمد التي منها الأمين وأحمد ومحمود... فلا تُحمل هذه الظاهرة على التّعدد في الإحالة أو التّرادف.

وينقل كريبك (Kripke) عن سيرل (J.S. Searle) أنّ تحديد مرجع الاسم لا يكون بوصف واحد بل بحزمة من الأوصاف (نفسه : 20) « un faisceau ou une famille de descriptions » تستبدل بالاسم وتكسبه معنى، فتبقى العلاقة بين الصّفة والموصوف علاقة دائريّة، وتصبح نظريّة حزمة الأوصاف خاصّة بالشّخصيات التّاريخيّة التي تكون صفاتها معروفة من أوسع شريحة من النّاس، وهي تصبح أقلّ فاعلية إذا كان صاحب الحزمة شخصا عاديّا لا تتجاوز علاقته المتقبّلين المحيطين به.

ثمّ يخوض كريبك في قضايا الوجودية التي تطغى على قضية المرجعيّة. ويورد مثال النّبيّ موسى، فإذا لم يوجد موسى هل يعني ذلك أنْ لا أحد يمكن أن يقوم بما قام به من أعمال (كريبك22 : Kripke,1980). وإذا اعتبرنا أن ما يميّز "نكسن" (Nixon) الفائز في الانتخابات الرئاسية الأمريكية لسنة 1968 عن شخص آخر من نفس العالم يدعى نكسن (Nixon)، هو اختلاف في الأوصاف والخصائص والذوات. فلنكسن

الرئيس شروط ضرورية وكافية " des conditions suffisantes et nécessaires" يكون بها رئيسا، فتحدّد ذاته وترفع الغموض عن شخصين حاملين لنفس الاسم، وإنْ كان كريبك يرى أنّ هذه النظريّة لا تطبّق إلاّ على الرياضيات لكونها علوما صحيحة، وبالتالي فهي لا توظّف لتحديد ذوات الأفراد وأسمائهم (كريبك 1980 : 31).

ولا تخلو عديد المواضيع التي ناقشها كريبك من الرّأي ونقيضه ممّا يجعل القارئ يتساءل عن جدوى هذه المحاجّات الفلسفيّة في تعريف الاسم العلم وتحديده لغويا. ففي الإجابة عن السؤال : لأيّ شيء يصلح الاسم العلم ؟ يقول إنّه يحيل إلى الأفراد. ثم يستدرك معتبرا صفات الفرد قادرة على القيام بهذه المهمّة الإحاليّة المرجعية. أمّا مثال النّبيّ موسى فلا يبحث من وراء ذكره عن علاقة الاسم بالمرجع، أو عن قيمة الاسم ودلالته، بل ذكَره ليكون موضوع نقاش فلسفي خاصّ بقضية الوجود وعدم الوجود، وما يستخلص منهما من استنتاجات صالحة لأنْ تُعمّم وتُطبّق على كل الأشياء (نفسه ص53) وليس لذات الاسم. فلا تبدو لنا العلاقة بين الاسم والمسمّى واضحة من خلال هذا الطرح. ويعقّب كريبك على نظريّة ويليام كنيل (William Kneale) حول علاقة الاسم بالمرجع والتي تقول "سقراط يعني الرّجل الذي يدعى سقراط"، فلا يرى فيما جاء في المثال علاقة بين الاسم والمرجع. فهل يعني هذا وجود فرد واحد اسمه سقراط ؟ وكيف يمكن التّمييز بين مرجعه ومراجع غيره ممن يدعون سقراط ؟

3.2.1.4 – علاقة الاسم بحامله

يقوم مفهوم المعيّن المتحجّر على التّعيين الفردي والدائم دون الدلالة. فهتلر اسم رجل سواء كان قائدا حربيّا ألمانيا أو كان مجرّد مواطن ألماني عاديّ. فمجرّد سماع الاسم "هتلر" يثير في نفوس السامعين الأروبيين شعورا بالبغض والكراهيّة لحامل الاسم لما ألحقه بأسلافهم من مآس ودمار. فقد اقترن اسمه بحقائق تاريخية مروّعة وبهلاك ملايين

الأبرياء. إنّ المرجعية التي تحدّد اسم "هتلر" هي التّعصب الأعمى للجنس الآري والتّسبب في حرب دامية أبادت ملايين البشر. أمّا في حال افتراض عدم تسلّم هتلر السلطة، فانّ كل هذه الصفات المحدّدة للمرجع تبطل. فالرجل يعيّن في كل الحالات وفي كل العوالم باسمه، ولكنّه يميّز حسب كريبك بخاصيّة عارضة وهي وظائف مميّزة ومحدّدة لهتلر كان بالإمكان ألاّ تكون. إنها خصائص لا يفرضها المنطق ولا التسمية في حدّ ذاتها. فهل كان عدم تسلّم السلطة سيغير مصير هتلر وصفاته وتصرفاته وتاريخه ؟ ربّما ! وهل كان وضعه كمواطن عادي سيغير اسمه ؟ طبعا لا ! لأنّ أسماء الأفراد توضع قبل أفعالهم. وهل أنّ حزمة الصّفات المحدّدة للذوات كانت بسبب الاسم أم أنّها نتيجة عوامل اجتماعية وسياسية لا علاقة للاسم بها ؟ فيكون الاسم مجرد معيّن لحامل الاسم ودالا على مرجع بعينه، لأنّ الصفات ليست من الاسم بل من صاحب الاسم.

تحيل المحدّدات الذاتيّة الخاصّة والثّابتة (كرجل وألماني وطويل...) على نفس المرجع سواء اتّصف بها هتلر العادي أو هتلر المستشار. وهذا هو مفهوم المعيّن المتحجّر ذي المرجع الواحد (كريبك 1980 : 65).

وقد لخّص كريبك في محاضراته نظريته حول تسمية الأشياء وعلاقة الاسم بالمرجع في ست نقاط، نقدّمها مبسّطة كالآتي (نفسه : 60) :

1 – يوافق كل اسم "x" حزمة من الخصائص رمزها ϕ.

2 – تختص واحدة من هذه الخصائص أوكلّها بشخص واحد.

3 – يكفي أنْ تتوفّر خاصيّة هامّة رمزها "y" من مجموع الخصائص المتّصلة بالاسم "x" حتّى تصبح مرجعا لـ "x". ومثال ذلك اعتبار نظريّة النّسبيّة مرجعا لواضعها أينشتاين.

4 – القول بعدم تخصيص "x" بأيّ خاصيّة، يعني أنّ "x" لا مرجع لها وبالتّالي لا وجود لها.

5 – "إذا وجدت "x"، فلها جلّ الخصائص" هو قول صحيح مبدئيا بالنّسبة إلى المتّكلم.

6 – "إذا وجدت "x" فلها جلّ الخصائص" هو قول يعبّر عن حقيقة ضرورية.

4.2.1.4 – الاسم العلم واسم الجنس من منظار منطقي

يمكن أنْ نقول تعقيبا على ما جاء في محاضرات كريبك وفي كتابه الشهير حول منطق الأسماء الأعلام (1980). إنّ علاقة المنطق بالاسم العلم تتمثّل فيما يربط اسم العلم بواقعه من خلال حزمة صفاته وفي كيفيّة تطابق هذا الاسم مع أوصافه ومواقفه. فخاصّية التّعيين بمفهوم الإشارة والإحالة مشتركة بين الاسم العلم والاسم العامّ الذي يعيّن صنفا طبيعيّا(قطّ، أسد) باعتباره اسم جنس، فيعلّق "على شيء وعلى كل ما أشبهه" كما يقول الزّمخشري في شرح المفصّل (ج1 : 25)، على عكس اسم العلم الذي يعيّن شخصا مخصوصا أو مكانا محدودا فهو "ما علّق على شيء بعينه غير متناول ما أشبهه" (نفسه 1 : 27).

ولا فرق بين صنفي الاسم على خلاف ما يذهب إليه القائلون بخلوّ الاسم العلم من الدّلالة. فهما يشيران إلى الشيء الذي هو عام وإيحائي مع اسم الجنس، وإلى الشيء الذي هو خاص وتعييني مع اسم العلم.فالصّنف الأوّل يحمل، حسب كريبك، خصائص دالّة على المرجع ما قبليا a priori، بينما تتّسم خصائص الصنف الثاني من الأسماء بأنها عارضة ومكتسبة وما بعدية a postériori.

وتتمثّل وظيفة الاسم العلم في تثبيت المرجع عند الولادة ومنحه مكانة في الكون وتخصيص هويّته. فيثبّت الاسم العلم مرّة ثانية عند المسيحيين أثناء حفل العماد le baptème. فالتّعيين الأوّل اجتماعي مدني والثّاني دينيّ. وقد يثبّت الاسم مرّة ثالثة خاصّة في المجتمعات الغربية

بانتقال اسم الزّوج إلى الزّوجة وهو ما جعل كريبك (Kripke) يقول إنّ اسم العلم ينتقل عبر حلقات أو سلاسل من المتكلمين وعبر مراحل من حياة حامله "de maillon en maillon" تماما كالاسم العامّ، مع اختلاف في حجم الحلقات التي تكون أوسع مع اسم الجنس لأنّه عامّ وطبيعي، ولأنّ مستعمليه كثيرون، بينما تضيق دائرة الاسم العلم مهما اتّسعت (كريبك Kripke 1982 : 124).

لقد أثار كريبك عديد المسائل المتصلة بالاسم العلم ومنها إشكالية الذات والاسم في علاقتهما بالمادة أو الجسد الذي يمثل مرجعا لهما ويحيل إليهما. فإذا كان ديكارت اسما أيْ محددا ذاتيّا ثابتا ومتحجّرا بتعبير كريبك ومعيّنا لشخص الفيلسوف الفرنسي مؤلف كتاب "رسالة في المنهج"، وصاحب القولة الفلسفية المعروفة "أنا أفكّر إذن أنا موجود" ورمزه (أ)، بينما ترمز (ب) إلى الجسد، (أ) فتطابق (ب) ويتماثلان ولا يمكن لأحدهما أن يوجد بدون الآخر (نفسه 134 : 1982).

5.2.1.4 – نقد النظرية

انقسم اللسانيون حول نظريّة المعيّن المتحجّر بين مؤيد وناقد. فقيل إنّ كريبــك يهتم بالاسم العلم المنطقي لا الاسم العلم اللسانيّ، وإنّ نظريّــة المعيّن المتحجّر تطبّق على اللغة الشكّلية كالرياضيات. وقال المدافعون عنه إنه لا يهتم بالاسم بل بالفرد المعيّن بذاك الاسم. وكثر القياس على مقولة "الاسم المتحجّر" فتولّدت عنها مصطلحات منها (فكسلير Vaxelaire ; 2005 : 762-770) :

- المعيّن المتحجّر وهو الاسم العلم.
- الدال المتحجّر أو الدّلالة المتحجّرة وهو الاسم العام.
- المشيرات المتحجّرة وأهمّها "أنا" وهي المسوّرات.

واعترض البعض على تعميم سمة التّحجّر على الاسم العلم بدليل أنّ الأسماء تتغيّر. فقد أُبدلت ساحة النّجمة (La Place de l'Etoile) بباريس بساحة شارل ديغول (Place Charles de Gaulle)، وأصبحت مدينة Ferriville التونسية تسمّى منزل بورقيبة. وغيّر الرّوس مرتين اسم مدينة من أكبر مدنهم نذكرها حسب التدرج الزّمني : تسارتسين (1589-1925) نسبة إلى إمبراطور روسيا، ثم ستالين غراد (1925-1961) نسبة إلى ستالين وأخيرا فلغوغراد Volgograd بداية من سنة 1961 نسبة إلى نهر الفولغا. وتحلّ أسماء الشّهرة والنّجوميّة محلّ الاسم الأصلي، كما يغيِّر الاسم لسبب ديني، فقد أبدل الملاكم الأمريكي اسمه الأصلي كاسيوس مارسيلوس كلاي جونيور بمحمد علي كلاي. أو يغيب الاسم فتقوم الكنية مقام الاسم واللقب كالصديق وأمّ المؤمنين.

إنّ الاسم العلم لا يعيّن حسب بلي (P. H. Billy) نفس الشيء. فنفس الاسم يسمّى به أكثر من شخص وأكثر من مكان وأكثر من شيء، وبالتالي أكثر من مرجع. ومما يؤكد نسبية مبدإ المعيّن المتحجّر أنّ المراجع كما رأينا تثبت والأسماء تتغير (1995 : 139). فتونس مرجعها الأصلي مكان عندما تحيل على البلاد التونسية، ومرجعها الفرعي اسم امرأة لمّا تطلق على مولود أنثى. وهو توظيف للاسم من باب الاشتراك اللّفظي الذي يضعف مبدأ التحجّر.

تشبه نظريّة المعيّن المتحجّر ما ذهب إليه النحاة العرب القدامى في تعريفهم للاسم بأنه "ما عُلّق على واحد من سائر أمته"(شرح المفصّل 1 : 27). وتذهب نظرية كريبك كذلك إلى أنّ الأعلام معلّقة على مسمياتها تعليقا متصلّبا متحجّرا، وملازمة لها في مختلف العوالم ولا تتبدّل بمجرد تبدّل السياق. ويتّصف بالتّحجّر الاسم العلم كسيبويه والأصبهاني لا الأسماء الدّالّة على الصّفات كصاحب الكتاب، ومؤلف الأغاني. فالاسم العلم "بنية تامّة" (المنصف عاشور 1999 : 693) موضوعة للدّلالة على

العلَمية وتشير إلى مراجعها إشارة مباشرة. وماهو دالّ على الصّفات ليس متحجّرا، لأنّه يعتبر "صفات ناقصة" (المنصف عاشور 1999 : 693 : نفسه).

تبيّن لنا من خلال أطروحات ميل وفريج وروسل وكنيل وسيرل Mill وFrege وRussel وKneale وSearle (فكسلير 2005 : 515-543) أنّ الاسم العلم لا يدرس لذاته كمقولة لسانيّة لها مظاهر لغويّة خاصّة بها ككلّ مقولات اللغة، وإنّما يوظّف لمناقشة عديد القضايا الفلسفية والمنطقية كالوجودية وكعلاقة الاسم بالشيء أو المرجع، وثنائية التّعيين والإيحاء. وهي مقاربات لا تخدم ظاهرة الاسم ولا تعالج القضايا الجوهريّة اللسانيّة وخاصة التّركيب والدّلالة.

2.4 – علاقة العلم بالمعنى

1.2.4 – الاسم العلم خال من المعنى

اتّفق المناطقة وبعدهم اللسانيون قديما وحديثا، مرورا بميل وكريبك (S. Mill وKripke)، ووصولا إلى جورج كليبير (G. Kleiber) على خلوّ الاسم العلم من المعنى. فقالوا إنّ العلَم يشير ولا يدلّ، ويعيّن ولا يحيل. فبتجريد الاسم العلم من المعنى يصبح الحديث عن دلالته طرحا مناقضا للمعهود، ويصبح الكلام عن حمل العَلَم لدلالة مجازيّة عسير القبول، لأنّ المجاز وليد الحقيقة. وما لم يتحقّق هذا التّسلسل المنطقيّ بين الحقيقة والمجاز، تصبح عمليّة التأويل صعبة، ولا يسهل ربط الصّلة بين الاسم والمعنى.

ويقيم مساندو أطروحة خلوّ العَلَم من الدّلالة علاقة مباشرة بين الاسم العلم والإشارة. وهي تكاد تكون العلاقة الوحيدة بالنّسبة إليهم، فللاسم العلم مرجع وليس له مدلول. وما زالت الدراسات اللسانية تحذو حذو الفيلسوف الإنغليزي ميل S. Mill (1724)، وتعتبر الاسم العلم خاليا

من الدّلالة، يكتفي بتعيين حامله وتخصيص مرجعه. فهو وجه من وجهي وحدة متكوّنة من اسم ومسمّى، أو هو مجرّد سمات تلحق بالأعلام فتدل عليها وتعيّنها وتنادى بها. ويرى مارك ولمت (Marc Willmet1986) أنّ الاسم العامّ يجمع بين دالّ ومرجع فيمثّل بذلك دليلا بوجه واحد. إلاّ أنّ هذا الاستنتاج يتعارض مع المفهوم السوسيري للدّليل الذي لا تدل في غياب المدلول. وتعلّل مورتيروMortureux (1997) خلوّ الاسم العلم من المعنى بسبب افتقاره إلى مكوّنات الاسم الدّال وهي المعيْنمات. فالأسماء المُمَعجمة والأسماء المستبدلة مثل boycott وnarcisse تصبح دالة وتدخل القاموس فتفيد مقاطعة الشيء وحبّ الذّات. أما بقيّة الأعلام فدالّها خال من المعنى.

وتعترض غاري بريور (Gary-Prieur) على مصطلح "معنى" sens في علاقته بالاسم العلم، وتستبدله بلفظ "محتوى" contenu، وهو مجموع الخصائص المنسوبة إلى المرجع الأصلي في عوالم ممكنة. والمحتوى ليس مرادفا للمعلومات الموسوعية حول الفرد (تاريخ الولادة، مكانها، صفة الأبوين...) بل تكفي بعض الخصائص لتحديد ذات المرجع. وإضافة إلى إفراغ الاسم من المعنى، فإنّ اللسانيين قد وصفوه بالاعتباط. فالاسم محمد لا يقدّم معلومات عن الشّخص ذاته ولا عن كل من يُدعى محمد.

4. 2. 2 – العلم دال بوجه من الوجوه

تجمع الدراسات المنطقية على أنّ الأسماء الأعلام لا معنى لها. ولكنّ انعدام الدّلالة ليس إلاّ ظاهريّا. فلئن لم تكن دلالتها معجميّة عامّة، فلها معان ووظائف متعدّدة، لعلّ أهمّها وظيفة التّصنيف والتّرتيب وهي طريقة من طرق الدّلالة.

يدلّ العَلَم على جنس حامله مثل كامل وكاملة وفاطمة ومحمد. فللذكور أسماؤهم الدالّة عليهم، وللإناث أسماؤهن الخاصّة بهنّ. ويقتبس

العَلَم من أسماء تاريخيّة فيذكّر بشخصيات وأحقاب وأحداث هامّة يبعث ذكرها في مستعملها لذة وتقديرا أو خشوعا مثل عليسة اسم مؤسسة قرطاج، وتماضر الشاعرة المخضرمة، وأسماء زوجات الرسول وبناته وأسماء حبيبات الشّعراء.

وتكمن دلالة الاسم العلم في مسايرته للتّطور، فكما يكون قديما زمانيّا كيوسف ومحمد وإبراهيم، يكون معاصرا آنيّا مثل رنا وريّان وبارق. لذلك قيل إنّ من علامات الأسماء الإيحاء بأعمار حامليها ومعتقداتهم ومجتمعاتهم.

ولا تخفى الدّلالة السّلالية اللسانية éthnolinguistique لأعلام الأشخاص. فمحمد يحمل دلالة الدين ومقولة الجنس، وPaul ذو إيحاء غربيّ، وألخندرو محيل إلى الأصل الإيبيري الإسباني. وتحمل الأسماء دلالة اجتماعية وانتماء طبقيّا. فللطبقة البورجوازية تسمياتها، وللطبقات الوسطى والفقيرة تسمياتها، وللإطار المكاني دور في التّمييز بين أسماء أهل البادية والريف عن أسماء أبناء المدن الكبرى والعواصم. فكلّما ارتفع المستوى الثقافي للناس كانت تسميات الأشخاص مترجمة عن ذلك التقدم الحضاري والثقافي، فتُنتقى الأسماء انتقاء في هذه الأوساط ولا تكون من محض الصدفة أو بموجب الاعتباط مثلما هو الشأن مع بعض الأوساط الأخرى حيث يسمّى الوليد بما يخطر على البال لحظة الولادة، وتكون الأسماء تقليدية قديمة لا تجديد فيها، بينما تستعد فئات أخرى للمناسبة، فتنظر في دواوين الشعر وتراجع القواميس بحثا عن الاسم الأجمل والأخف والأبلغ والأطرف. وتصبح عملية التّسمية مناسبة للابتكار وشعورا بالمسؤولية تجاه مسمّى قد يكون اسمه مصدر اعتزاز وراحة لصاحبه، أو يكون مجلبة للقلق والإحراج له لما يحمله من دلالات إيحائيّة.

ولئن وجدت في اللغة الفرنسية نعوت ومركّبات وسوابق دالة على الانتماء الطبقي وعلى الأصول الأرستقراطية، تضاف إلى أسماء الشرفاء

مثل الكونت والدوق والمركيز، أو مثل الأدوات السوابق أو مثل أداتي التّعيين de وdu في دي لافونتان، دي بوا، دي غول (De la Fontaine، De، Du Bois، De Gaulle)، أو كالألقاب المزجية ومنها روب غرييي (Robbe-Grillet)؛ فإنّ العربية تعيّن الطّبقات الراّقية بطرق مختلفة، منها ما هو صفة دينية مثل "الشّيخ" وما تحمله في كل من الجزائر والمغرب من معاني التّبجيل والتّقدير. ويتركّب من مركّب بدلي رأسه اللفظ "سيدي"، وهو لقب يدلّ في هذا المقام على التّعظيم، بينما يشير اصطلاحا إلى علاقة سيّد بمسود وضعيف بقويّ. ومن الألقاب الموحية بالانتماء الطبقي ما هو مقترض من التّركية مثل "الباشا" و"الأفندي" التي تتضمّن في مصر معاني الثّراء الاجتماعي والسّلطة السّياسيّة. ومنها ما يعبّر به في الأوساط المسلمة الشيّعية عن الدّرجة الدّينية التي يحظى بها رجل الدّين كآية الله وسماحة الإمام.

يكون للعلم بهذا المفهوم دور التّعيين والتّحديد ومنح حامل الاسم مكانا مخصوصا في الكون، (ابن مراد 1997 : 49)، فيخلّصه من التّنكير ويسمه بهويّة خاصّة ويصنّفه اجتماعيّا وقوميّا ودينياّ. ولسائل أن يسأل من أين اكتسب العلم دلالته ؟

يذهب كثير من الأسمائيين عند تناولهم لأهم قضايا الاسم العلم في الخطاب، وهي قضايا التحوّل وعدم التحوّل، إلى اعتبار المعنى المجازي للاسم العلم المُمَعجم نوعا من الدلالة الإحالية المتكوّنة من خصائص محدودة ومميّزة لحامل الاسم، كأنْ ترمز فينوس Venus إلى الحبّ، وكليوبترا إلى الجمال، وشهرزاد إلى الشجاعة والذكاء، ومريم الصناع إلى الحذق. وإنّ الغرض من الإيحاء ليس مجرّد الإشارة إلى الرّمز، بل المغالاة والمبالغة فيه، لأنّ أبلغ المعاني ما كان مجازيّا، وأقوى المجاز ما أصبح رمزا، والرّمز لا يكون إلاّ بأعلام المشاهير والمبدعين. وتورد نلي فلوكس في هذا السّياق أثناء حديثها عن ظاهرة الاسم المحوّل المثال :

"تزوجت ماري من دون جوان" (123 : n°9 1991)، فترى أنّ الاسم العلم المُمَعجم معجمة استبداليّة يغني عن صفات عديدة يتّصف بها المخبر عنه. فكان إبدال الاسم الحقيقي للزّوج بـــ "دون جوان" أبلغ من وصفه بصفات من اللغة العامّة مثل "زوج غاو أو زنديق أوفاتن".

إنّ المعنى الذي يوحي به اسم "دون جوان" يتّسم بثبات نسبيّ، ليس كثبات معنى الاسم العامّ المصطلح عليه اجتماعيا، ولكنّه اتّفاق كلاميّ يعود إلى فئة اجتماعية، لذلك فإنّ تطوّر معاني الأعلام المُمَعجمة أو النّصيّة يرتبط بتطوّر المجتمعات وتحضّرها. ويكثر استعمال العَلَم المجازيّ في معنى التّحقير والذّم والشّتم. واختياره عوضا عن الألفاظ العامة في هذا الحقل المعجمي يعود إلى أسلوب بلاغي دلالي، فانتقاله إلى المجاز يفقد الاسم العلم خاصيته المرجعية ويعيّن صنفا أو مقولة محدّدة أو مفهوما أقوى دلالة من اللفظ العامّ المستبدل به.

ويرى بلي (P. H. Billy) في نفس السّياق (138 : 1994) أنّ المناداة لها في الأصل دلالة لم تفقدها إلاّ بتقدّم الاسم في الزّمن وتحوّله إلى عَلَم ثابت. فمناقشة دلالة الاسم العلم على المعنى لها جذور ضاربة في أعماق التاريخ شرقا وغربا وليست وليدة الأسمائيّة الحديثة. والألقاب مثل معلِّم ونجّار ومهندس وجزّار وسرّاج وورّاق كانت أسماء عامّة أطلقت في الأوّل على أصحاب المهن، ثمّ حوّلت إلى كُنى. ولمّا عمّمت وسحبت على حاملي الكنية وسمّي بها غير ممتهني النجارة والهندسة والجزارة والوراقة، أصبح الإيحاء يأتيها من أصولها اللغوية لا من أصولها الاجتماعية، وحلّ الاعتباط محل التبرير لأنّ حامل الاسم يلقّب بالمهندس وهو يمتهن مهنة ممثّل مسرحي، ويُسمّى معلِّما وهو جاهل، فيفقد الاسم قيمته الوصفية ويصبح تعيينا صرفا (نفسه : بلي : P. H. Billy 138).

ويربط الدارسون الاسم العلم بالإشارة أكثر مما يرون له دلالة، فله خارج أو مرجع. لكن إسناد الاسم إلى المسمَّى يوحي بالمعنى الذي يبدو

من اللفظ في حالة الوضع لا في حالة الاستعمال. وهي مسألة قد وقف عندها ابن جني في *الخصائص* (1 : 367) فقال "قد يكون في الجمل إذا سمّي بها معاني الأفعال فيها. ألا ترى أنّ "شاب قرناها تصر وتحلب" هو اسم علم وفيه مع ذلك معنى الذّم". وعاد محمد الشاوش إلى هذه المسألة في الحديث عن العلم بين الدّلالة والإحالة (2001، 2 : 1040) فاعتبر "أنّ الاسم العلم ضرب من التواضع باعتبار أنّ إطلاق العبارة على المسمَّى من قبيل الوضع الثاني المتواطئ عليه، وهذه العمليّة قائمة على تعطيل الدّلالة الأولى للفظ الاسم العلم إذ الأعلام لا تقع على مسمياتها وقوع الثوب على صاحبه، إنّما تسلّط عليها تسليطا فتفارق معناها الوضعي وتلقى على المسمّى بها دون مناسبة، فإذا صادف أنْ توفّرت المناسبة قالوا : "الأسماء على أصحابها تقع" من قبيل الحديث عن النّادر الشّاذ". وهو حكم سبقه إليه صاحب الكتاب حين فصل بين الاسم والمسمّى فقال "الاسم العلم لم يُسمّ بمعنى في المسمّى استحق له أنْ يسمّى بذلك الاسم دون غيره كزيد وعمرو" (*الكتاب* 2 : 12).

وتختلف المواقف حول دلالة الاسم العلم : فالباحثة كربرات أوركيوني C. Kerbrat Orecchioni ترى أنّ العلم غير دال ولكنه مخبر عن هويّة مرجعه وحامل لمعلومات ذاتيّة ودلالات إيحائيّة (178 : 1977). ويتّفق غرانجي (G. Granger) مع كربرات (C. Kerbrat)، "فالاسم العلم قادر على أنْ يحاط بهالة من الدلالات الحافة، لأنه لا يحمل دلالة أصلية" (*Langages* 1982, 66 : 34). وينشأ عن احتوائه على الدّلالة التي هي من مشمولات الاسم العامّ، تحطيم لمرجعه الذاتي. ويكتسب الاسم العلم في نظر فلوكس دلالته من المجاز البلاغي في إطار الأسمائية المجازية، وإنْ كانت تعتبر أنّ المعنى المجازي لا يكون بدون المعنى الحقيقيّ. وبهذه الأطروحة تجرّد فلوكس الأسماء الأعلام من مقولة الدّلالة على المعنى (نلي فلوكس Nelly Flaux, 1992 : 42).

يحتاج هذا الرأي إلى إعادة نظر لأنّ كل معنى جديد سواء تولّد عن اللغة بالمَعْجمة أو عن طريق الأسمائية المجازية أو عن طريق الأسمائيّة النّصية بتحويل الاسم العلم داخل الخطاب، هو في نهاية الأمر معنى أول جديد لم يكن له في وضع التفرد، وهو معنى لا تقرّه الباحثة.

إنّ الشاهد على تضمّن الاسم لدلالة ذاتيّة وإيحائيّة هو دلالة أسماء الله على محاسن الإله. فهي لا تعيّنه فحسب بل تصفه وتدلّ عليه. ومن بين دلالتها حُسنها. فقد سُمّي الله بأجمل الأسماء وأبلغها. فهو "الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى" (الحشر59/ الآية 24). ولأنّ أسماء الله لا يمكن أنْ تكون خالية من المعنى، فهي أقرب إلى أسماء الجنس من أسماء العلم، لأنها تعيّن وتصف في نفس الوقت. وهي صفات متولّدة عن جذور لغويّة دالّة ومتحقّقة في أوزان لها دلالات خاصة بها.

3.2.4 – المقاربة اللسانية

اهتمت اللسانيات المعاصرة بعلاقة الاسم العلم بالمعنى، فبحثت في مسائل من علم الدلالة المعجميّة التي هي عادة من خصائص الوحدات المعجميّة العامّة لما يؤلف بينها من ظواهر مشتركة ودالة كالترادف (كليبير G. Kleiber 1981 : 411) والاشتراك اللّفظي (فكسلير Vaxelaire2005 : 153).

ولا يمكن الحديث عن الترادف ما لم تجمع بين اللفظين المترادفين سمة معجميّة مشتركة أو أكثر. فالاشتراك الدلالي، وإنْ كان نسبيا، مشروط لتحقيق الدلالة. وإنّ الهدف من ترادف الأعلام هو تحديد هويّة المرجع كاملا بذكر الاسم واللقب إذا ما تعلّق الأمر بالأشخاص مثل عبد الله بن مسعود وأبي فراس الحمداني. فكلّ من جزئي الاسم بدلٌ من الآخر، بدل مطابقة وبدل كلّ من كلّ. كما يهدف الترادف إلى تجنب التكرار فتعوّض الكنية الاسم الكامل. وكلّ منهما يعيّن نفس الشيء ولا

يوحي بنفس المعنى مثل جربة أو جزيرة الأحلام، والمنتخب التونسي أو نسور قرطاج ومريم أو العذراء، وياسر عرفات أو أبو عمّار. وتترادف أسماء الآلهة القديمة الإغريقية مثل تزوس أو جوبتور (Zeus/Jupiter) وأبّلون أو فيبوس (Appolon/Phébus). هذا النوّع من الترادف تامّ لأنّه سياقي آنيّ تتبادل الأعلام، من أسماء وألقاب وكنى، أماكنها فيما بينها.

ويُحمل الاسم العلم الذي ينجز بطرق مختلفة لاختلاف اللغات على الترادف (فكسلير Vaxelaire 2005 : 96). من ذلك يوسف وجوزيف (Joseph)، وسميث وشميت (Smith / Schmidt)، والنمسا والأتريش (l'Autriche)، وابن سينا وأفيسان (Avicenne). وهذا الصنف من الترادف من نوع خاص، ليس ترادفا آنيا ولا تاريخيا بل هي بدائل حرّة نتيجة اختلاف اللغات.

ويعتبر تغيير ألقاب النساء عند الزواج وتغيير أسماء الأماكن ترادفا اجتماعيّا وتاريخيا، كتحوّل ساحة إفريقيا بتونس العاصمة إلى ساحة 14 جانفي 2011 بعد الثّورة، وترادف الاسم الروماني "سيكا فينيريا" مع الاسم الحالي لمدينة الكاف بالشمال الغربي لتونس، وتعويض ساحة النجمة بباريس Place de l'Etoile، بساحة شارل ديغول Place Charles de Gaulle، وقيام اسم إيران مقام التسمية القديمة فارس. وكل هذه الأسماء المترادفة تعاقبيّا تاريخيا وليس آنيّا، لا تتبادل أماكنها في السياق.

ويثير موضوع ترادف الأسماء الأعلام أسئلة عديدة منها : إذا كانت القاعدة الأساسية لتحقق الترادف بين الوحدات المعجمية العامة هي الاشتراك الدلالي، فهل أنّ التعريف يصحّ مع الأسماء الأعلام ؟ أم أنّ ترادفها يتمثل في مجرد الإحالة على نفس المرجع بطريقتين مختلفتين كأنْ يعيّن كل من أبي عثمان والجاحظ أديبا واحدا من كبار أئمة الأدب العباسي والعربي ؟ فالسمة الرئيسية لترادف الأعلام هي تعدد التسميات لنفس الشيء المعيّن. وهي معادلة مرجعية لا علاقة لها بالدلالة. فلكي

يتحقق الترادف وجب أوّلا توفّر الدلالة واشتراكها بين المترادفين، وثانيا إمكانية التبادل بينهما سياقيّا. وهذا الشرط الأخير ممكن مع الأعلام المترادفة آنيا، وغير ممكن متى كان الترادف تاريخيا تزامنيا، فلا يستعمل فارس وإيران بنفس الإيحاء رغم أحاديّة المرجع ولا يستبدلان في نفس السياق.

وكما اختلفت أطروحات اللّسانيين حول ترادف الأسماء الأعلام، فإنّنا نجدهم ينقسمون أيضا إلى مؤيد ورافض لفكرة الاشتراك اللّفظيّ للأسماء الأعلام (فكسلير Vaxelaire 2005 : 153). فالاسمان (زيد1، زيد2) متماثلان شكلا متباينان معنى. فهما علامة واحدة لرمزين مختلفين، بل إنهما خاليان من المعنى لعدم مطابقتهما لواقع العلامة القائمة على ثنائية الدّال والمدلول. لذلك يحسن الحديث عن الاشتراك الصوتي homophonie بدل الاشتراك اللفظي homonymie.

4.2.4 – المقاربة العرفانية

ترى جوناسون (Jonasson ;1994) أنّ طبيعة الاسم العلم لا تظهر من المستوى الشكلي للنّظام اللساني، ولا من المستوى الوظيفي للخطاب، بل تبدو من مستوى أعمق هو المستوى العرفاني.

يقوم الكلام عموما على ظاهرتي تصوّر الأشياء وتصنيفها. وتنتمي مقولة أسماء الأعلام من أشخاص وأماكن وعلامات المنتوجات الصناعية كالسّيارات والطّائرات والغسّالات وغيرها التي تسمّى باسم واضعها، إلى مقولة "الخواصّ" les particuliers ضمن مقولات مفهومية. فعبد الله ينتمي إلى مقولة "الرجال" بينما تتضمن مقولة "النّساء" فاطمة وأمينة، وتشمل مقولة المدن "قرطبة والقيروان"، ويدخل النجم تحت مقولة "الأجرام السماوية"، وأمّا "مارسادس" فهو اسم خاص لصانع صنف من أصناف السيارات الألمانية أصبح اسمه مرجعا للإنتاج لا للمنتج عن طريق

التّحوّل بالمجاز المرسل (جوناسون Jonasson124). فوظيفة الاسم العلم تتمثل حسب هذه المقاربة العرفانية في تعيين الخواص وتثبيت فرديتهم.

وفي هذه المقاربة تختلف وضعية الاسم العلم عن وضعية الاسم العامّ. فالعلَم مخزّن في ذاكرة بعض الأفراد ومقرون بصورة فرد معيّن تجمعه بتلك الصورة علامة ذاتية مباشرة، ولا يمثّل مفهوما عاما. كما أنه لا يتّصف بأوصاف مشتركة مع كلّ أصناف جنسه، فيختلف زيد عن غيره من الرجال. إنّ اقتران الاسم العلم في الذاكرة الثابتة بفرد بعينه يعبّر عن خاصّية "تفرّده المرجعي لا المفهومي التّعريفي"، وهو ما عبرت عنه جونسون "بالبنية الطرازية prototypique" التي تعيّن مرجعا واحدا وبطريقة خاصة وغير موصوفة يتفطّن إليها بعض المتقبلين الذين لهم علاقة بذلك الفرد. أمّا الأسماء الأعلام المعروفة كنابليون وابن خلدون أو كموسكو والأندلس، فهي أسماء أشخاص وأماكن ليست في حاجة إلى التّعريف والوصف لأنها مشهورة ومعلومة، بينما لا يتحقّق التّحديد والإحالة بنفس الوضوح مع أسماء أعلام تحيل إلى أشياء مجهولة أو تعرفها فئة ضيّقة من المجتمع كأسماء البنوك والشركات الصغرى والقرى. فهي تحتاج في الإحالة إلى ذوات مختلفة، إلى ما يدعّم مراجعها ويخصصها، وبالتّالي تبقى معها نظرية الطّراز محدودة وتبقى عملية التحوّل مستحيلة (نفسه : 124).

أمّا الاسم العامّ فهو مخزّن في ذهن كل المجموعة اللغوية لزمن طويل بنفس الصورة وبنفس الصفات، ويرتبط بمعارف وضعية ومفهومية تمكّن من تمييزه عن أفراد جنسه وتخصيصه بسمات تمييزية : فالأسد حيوان ولكنه لاحم ومفترس، والخروف حيوان ولكنه عاشب وآهل، بينما يحيل زيد على ذات خاصة لا يمكن أنْ تكوّن قسم الزيدِين المتميّز عن قسم المحمدِين.

الفصل الخامس

الاسم العلم بين المعجم والقاموس

يحدّد أبو حامد الغزالي الاسم بأبعاده الثلاثة : العينيّ والذّهني واللّفظي، فيقول" إنّ للأشياء وجودا في الأعيان ووجودا في اللّسان ووجودا في الأذهان. أما الوجود في الأعيان فهو الوجود الأصليّ الحقيقيّ والوجود في الأذهان هو الوجود العلميّ الصّوري، والوجود في اللسان هو الوجود اللفظي الدّليلي"(المقصد الأسنى في أسماء اللّه الحسنى 1971 : 17). ولأنّ الوجود اللّفظي موجود في اللّسان ومركّب من أصوات اللّغة ومقولاتها الصّرفية ومعانيها المعجميّة ويجوز له أن يختلف باختلاف العصور مثل (جذب/جبذ) في الصّوتيات، وأن ينفصل عن مدلوله الوضعيّ في المعجم ليدلّ على مداليل ومفاهيم نقليّة مثل (السّيارة : القافلة / السيارة : العربة)، فإنّه يعرّف قاموسيّا بألفاظ اللغة أي تعريفا لغويا واصفا Métalangage.

إنّ الأسماء بصنفيها الخاصّ والعامّ من اللّغة، وهي موضوعة باختيار الإنسان لتعيين الأشياء أو للدّلالة عليها وضعا أوّليّا سمته الاصطلاح والاعتباط، أو هي موضوعة وضعا ثانيا سمته النقل والعقل. وعلى هذا الأساس فمن المفروض أن يكون لكل مسمّى اسم واحد يعيّنه ويحدّده أو يدلّ عليه. وقد تتعدّد الأسماء للمسمّى الواحد كأسماء الجلالة، أو تبدل أسماء أعلام بأخرى على سبيل التفاؤل أو التطيّر، أو تحلّ محلّها كنى للتّهجين أو التّعظيم دون أن يتبدّل المسمّى، فهو محيل على ذات

واحدة متعدّدة التّسميات. كما تتكاثر صفات الاسم العام للدّلالة على مادّته ومكان صنعه وطوله ونوعه. فالصرفم le morphème "سيف" على سبيل المثال، لفظ دالّ بالاصطلاح على الآلة. وليست مرادفاته إلاّ صفات حلّت محلّ الموصوف وتمحّضت إلى الاسميّة، تجمع بينها مكوّنات معجمية مشتركة، وتفرّقها على الأقلّ سمة مميّزة خاصّة بكل مرادف.

1.5 أصناف قواميس الأعلام

تظهر أسماء الأعلام، متى اشتهرت وذاع صيتها، في قواميس التّراجم والوفيّات وقواميس الأسمائية les dictionnaires onomastiques وفي الموسوعات ودوائر المعارف. كما تظهر بدرجة أقلّ في البنية الصغرى لقاموس اللغة العامة، أي في التّعريف، كمثال أو كصاحب الشاهد، وتظهر في البنيةالكبرى، أي في المدخل والتّعريف، متى تحوّل العلم تحوّلا معجميّا وكوّن مدخلا رئيسا أو ثانويّا.

وتتعامل مختلف أصناف القواميس مع أعلام محيلة على مراجع معيّنة ومعروفة وذات خصائص متفرّدة وتاريخ ثابت وواقع اجتماعي أو سياسيّ أو عِلمي تميّزها عن عامة النّاس. وتكون هذه الأعلام أعلامية أو مواقعية، وحقيقيّة أو خياليّة أسطوريّة. ولئن اتّفقت كلّ القواميس في الاهتمام بالاسم العلم، إلاّ أنها تتفاوت في درجة الاهتمام به وفي طريقة معالجته قاموسيّا. فقاموس أسماء الأعلام يترجم ترجمة ذاتيّة مختصرة لشيء معيّن مشهور ولكنّه متحجّر. والموسوعات ودوائر المعارف تتوسّع في الترجمة وتلمّ بجوانب جزئية للعلم. والقواميس التأصيليّة من نوع الكتب المصنّفة ككتاب الاشتقاق لابن دريد والمقصد الأسني للغزالي، تبحث عن المعاني اللّغويّة للأسماء المرتجلة المشتقّة في العربية من جذور صامتة ومكوّنة لحقول اشتقاقيّة ذات أنماط صيغيّة متعددة، أغلبها وصفيّ أو اسميّ وقليلها فعليّ. أمّا القاموس الأسمائي فهو قاموس الأسماء الأعلام المتحوّلة إلى وحدات معجميّة بخصائصها الثلاثة الواجبة الوجود الصوتيّة

والصرفيّة والدلاليّة، والمنتقلة من العَلَميّة إلى التعّميم فيفسّرها القاموس الأسمائي، ويعرّفها تعريفا لغويّا، ويؤرّخ لها، ويدعّمها بالشاهد والمثال، ويترجم ترجمة مختصرة للاسم العلم الذي يصبح بالتّحويل أصلا للتّوليد، فيتبيّن القارئ بفضل هذا النّوع من القواميس علاقة الاسم العلم المتحوّل معجميّا بالمعنى المتحوّل إليه، شرطه الشّهرة والاستعمال والاستقرار في الرصيد العامّ. وبذلك يصبح اللفظ المُمَعجم مدخلا من مداخل القاموس اللغوي العامّ باعتباره وحدة معجميّة ذات دالّ ومدلول، ويخضع لقانونيْ الجمع والوضع، فيخصّص لغويا بذكر مستواه اللّغوي، ويرتّب ألفبائيّا حسب الجذر، ويعرّف تعريفا لغويّا قاموسيّا (ز.السائح دحماني، 2012).

تحمل أيضا على الرسائل الدلاليّة والقواميس الاسمية مصنّفات متضمّنةلأسماء أشخاص وأماكن ذات مقاربات تأصيلية ولغويّة وتوجّه لسانيّ معجميّ، منها كتاب الاشتقاق لابن دريد والمقصد الأسنى للغزالي اللّذين سبق ذكرهما، وكتاب جيماري " الأسماء الإلهيّة في الإسلام" (D.Gimaret : *les noms divins en Islam*, 1988)، وكتابان يحملان نفس العنوان رغم تباعد زمن صدورهما هما : "*أسماء الأشخاص في فرنسا*" (*Les noms de personnes en France*) لكل من بول لوبال Lebel 1962 (Paul وبول فابر(Paul Fabre 1998). وكتاب دوزا ألبار"*أسماءالأماكن، الأصل والتّطوّر*"(Dauzat Albert *: les noms de lieux, origine et évolutions*, 1926).

ويضاف إلى هذه المجموعة من الكتب كتاب طريف باللغة الفرنسية عن الأسماء الأعلام العربيّة شبيه بالقاموس الأعلاميّ الأسمائيّ لصاحبيه يونس ونفيسة جيوفروي بعنوان " كتاب الأسماء العربية" (Younous et Nefissa Geoffroy : *le livre des prénoms arabes* 1991).

اشتمل هذا القاموس التّأصيلي لأسماء الأعلام على مائة وألف اسم مرتّبة حسب مواضيع وموزّعة على فصول، خصّص الفصل الأوّل

للأنبياء، وقسّم إلى باب أوّل تضمّن أسماء الأنبياء من آدم إلى المسيح، تتبع المؤلفان في ذكرهاالترتيب الزماني، وعرّفاها تعريفا منطقيّا ولغويّا مختصرا، وكتبا المداخل بالفرنسية والعربيّة. وتناول الباب الثاني أسماء متعدّدة للنبيّ محمّد : وهي اسم الولادة، والكنى، وأسماء أطلقتها عليه السّنة النبويّة، وألقاب دعاه بها الصّحابة يصل عددها إلى مائتي اسم (Geoffroy 1991 : 37). وخصّص الباب الثالث لأسماء عائلة الرسول محمّد والخلفاء الأربعة. أمّا بقية الفصول فقد اهتمّت بمواضيع ومحاور مختلفة توحي بها أسماء حامليها، منها الإيمان والحياة الروحيّة والمادية والحكمة والقوة والانتصار والنّور والجمال... دلّت عليها ما تحمله جذور هذه الأعلام من معان في اللّغة العامّة. فقسّمت إلى مواضيع دلاليّة. وقد رتّبت مداخل كل فصل ترتيبا ألفبائيا حسب الجذور. فذكر الاسم العلم بمقولة الجنس مذكرا ومؤنثا متى سمح الاستعمال بذلك. وتضمّن النصّ المعجميّ تعريفا لغويّا وأحيانا تعريفا موسوعيّا مقتضبا، وذكر المقابل الفرنسي للاسم العربي على غرار منهج القاموس الثنائي اللغة.

لقد حرص المؤلفان على تخليص المدوّنة من الأسماء الحاملة لدلالة حافّة هجينة ومحظورة توحي بالكفر والاستخفاف بالدّين كأسماء الأوثان والآلهة المعبودة من دون الله والشياطين. وسعيا إلى تجنّب ذكر أسماء ذات دلالات تحقيريّة ومحظورة connotations péjoratives/mots tabous أو دالّة على معاني الاستبداد والطّغيان. وأسقطا من المدوّنة الأسماء التي يتسبّب نطقها الفرنسي في حصول اشتراك صوتي homophonie يؤدي إلى التباس مزعج بين المفاهيم، من ذلك اسم "نزيه"، ويقابله في الفرنسيّة intègre، ولكنّه ينطق "nazi"، وهو نطق يوحي للمستمع الفرنسي بمعنى "نازيّ" سبّبها سقوط حرف الهاء في الإنجاز، لأنه حرف مهتوت أقصى حلقي غير منطوق في الفرنسية. ويخضع الاسم "صادق" بمعنىsincère لنفس المعاملة الصوتيّة، فيصبح في النطق الفرنسي sadik أي ساديّ متلذذ

بإيلام الآخرين، ممّا يسبّب لحامل الاسم إحراجا. فقد اختلف النطق في الاسم "صادق" فاختلف معه المعنى لعدم وجود الفتحة الطّويلة في نظام الحركات الفرنسية، بينما هي صوتم تمييزيّ وظيفي في العربيّة تغيّر نوع المشتقّ ونمطه الصّيغي ودلالته المعجميّة. وكان أيضا تحريف نطق الصامت اللهوي "القاف" الذي يصبح حرفا غشائيا (ك) في الفرنسية سببا في التباس المعنى وإبعاد الاسم "صادق" من مدونة القاموس الثّنائيّ لصاحبيه Geoffroy.

وقد صرّح واضعا القاموس بأنّ الأسماء التي تتكوّن منها المدونة ذات مستوى لغويّ فصيح، ولها دلالات واضحة مقبولة في الذّوق، وذات بنى صرفيّة عربيّة. ويعدّ هذا الإنجاز القاموسي فريدا من نوعه في العربيّة المعاصرة، انتظرته الجالية المسلمة الفرنكفونيّة لتسهّل عليها اختيار أسماء عربيّة أصيلة لمواليدها، ورحّبت به الدوائر البلديّة بفرنسا لأنّه يجنّبها أخطاء الرّسم والنّطق والتّأويل.

2.5 اختلاف مناهج التأليف القاموسي

1.2.5 قاموس الأسماء الأعلام

تشتمل البنية الكبرى لقواميس الأعلام على ذوات مشهورة وموسوعيّة، ولا تتضمّن أسماء أشخاص عاديين أو أماكن مغمورة هي من مشمولات القواميس التأصيليّة اللّغوية التي تنظر في الأعلام المرتجلة المتحوّلة، عن صفات وأسماء وأفعال، إلى أسماء ثابتة تعيّن أشخاصا أو مواقع كنجوى ويزيد والقيروان. فالهدف من وضع قواميس أعلاميّة، تاريخيّ جغرافيّ وليس هدفا لسانيّا معجميّا. فهي تعرّف بالمدخل تعريفا موسوعيّا يكشف عن جوانب كثيرة من حياة المسمّى، وتبرز مواطن الإبداع أو التّخصّص التي تميّزت بها ذات علم عن ذوات أخرى، وتدعّم التّرجمة بتواريخ وأحداث وأسماء وصور ساهمت كروافد ثانويّة ومساعدة

في إبراز أنشطة المعرَّف به وتوضيح أسباب شهرته. وتبقى خصيصة الشهرة المقياس الهامّ الذي يقوم عليه ركن الجمع في قواميس الأعلام، فتضبط على أساسه المدوّنة وتحدّ من تضخّم عدد المداخل.

إلاّ أن النّاظر في قاموس روبار الصّغير للأسماء الأعلام (PR2) يتبيّن أنّ مقياس الشّهرةلا يؤسّس دائما للتّأليف القاموسي، بل يصبح في حالات عديدة انتقائيّا موجّها ومتعصّبا جنسا وعرقا رغم تصريح واضعه بأنّه كونيّ شموليّ (المقدّمة 2002 : 14-16). فقد غابت عن مدوّنة القاموس أعلام عربيّة وإسلامية لها مساهمات في الحضارة الإنسانية نذكر منها على سبيل المثال علّيسة مؤسّسة قرطاج، وصدربعل القائد البوني، وعقبة بن نافع مؤسّس القيروان، والخوارزمي الرياضي الذي تنسب إليه الخوارزميات وتذكرها كل القواميس العربيّة والغربيّة. كما اكتفى بالحديث عن علي بن أبي طالب وسكت عن الخلفاء الراشدين الآخرين، بينما لم يغفل عمّن هم أقلّ منهم شهرة كنجوم السّينما والمسرح والطرب الغربيين. أمّا ما ذكر من مواقع عربيّة تاريخيّة وحضاريّة فقد كان حظّها الاختزال وشحّ المعلومة، منها المهديّة وقرطاج والبصرة، بينما أدرج (PR2) ضمن مداخله مدنا صغيرة وقرى أوروبيّة لا تُعرف إلاّ من طرف عدد قليل من الجمهور المستعمل للقاموس، مثل مدينة أرلون Arlon البلجيكيّة وقد عرّفت بسطرين فقط، ومدينة بلز Belz بفرنسا. وفي المقابل بقي مدخل الكوفة، المدينة العراقية التاريخية العريقة، شاغرا منسيّا.

ولا نعتقد أنّ غياب الأسماء الأعلام العربيّة والإسلامية يعدّ سهوا أو جهلا، خاصّة وأنّ القاموس قد نُقِّح في الطّبعة الجديدة سنة 2002 وأراده صاحبه شموليّا كونيّا. فضمّ عديد المداخل الجديدة، وانفتح على حضارات شرقية وإفريقيّة وقرّب بين القارات المتباعدة، ولكن هذا المجهود الذي صرّح به ألان راي (Alain Rey) في مقدمة القاموس

لايُخفي الغلبة المطلقة للحضور الفرنكفوني والغربي على حساب الحضارات الأخرى.

من عيوب هذا القاموس بالنسبة إلى المستعمل العربي ما يتعرّض إليه قارؤه من إشكالات منهجيّة، أهمها إشكالان إثنان :

1- الإشكال الأوّل له علاقة بركن الجمع : فالمدونة ذات اتّجاه فرنسي أوروبي غربي، ولا تتّسع لكلّ الشخصيات الفاعلة في الحضارات العربيّة ولا لكلّ المواقع التاريخية في العالم العربي. وهو نقد يوجّه أيضا لقواميس الأعلام عندنا، فرغم التّقاليد العريقة التي يتّسم بها التأليف القاموسي العربي في هذا الصنف من كتب التراجم أساسا، ورغم كثرة هذا الصّنف من القواميس وشموليتها، إلاّ أنّها لم تنفتح على الحضارة الإنسانية وظلّت تترجم للعرب والمسلمين دون غيرهم من الأجناس الأخرى.

2- الإشكال الثاني : له علاقة بركن الوضع ولا يسهّل عمليّة البحث في القاموس ويعوق الفهم. فقد رتّب (PR2) الأعلام العربية ترتيبا ألفبائيا حسب نطق اللغة الفرنسية، وأتبعها بما يشبه الكتابة الصوتيّة بحروف لاتينيّة لتقريب النطق العربي. وهو منهج في التّرتيب مشروع لأنّ القاموس فرنسي وموجّه إلى أبناء اللغة الأمّ بالدّرجة الأولى. بيد أنّ تغيير الأصوات العربيّة ليس في كل الحالات ضروريا، فإذا استثنينا حروف الحلق السّتة (خ، غ، ع، ح، هـ، ء) وثلاثة حروف أسنانيّة (ث، ذ، ظ) فإنّنا لا نجد فيما عدا ذلك اختلافا يذكر بين نظاميْ الصوامت في اللغتين. ورغم ذلك أبدلت الحروف بحروف أخرى ليست من النظام الصوتي العربي، لا نرى ضرورة لإبدالها.فأدخل تغيير الحروف ضيما كبيرا على الأسماء العربية المذكورة بالقاموس، وطمس معالمها وغيّب عن عامّة الناس مراجعها، نذكر عيّنة لذلك من مداخل(PR2) مثل : الرسول محمد (Mahomet) الخوارزمي (Algorithme)، ابن سينا

(Avicenne)، صلاح الدّين (Saladin)، ابن رشد، (Averroès)، دجلة (le Tigre)، مصر (l'Egypte).

لقد تنوّعت المواضيع بتنوّع مراجعها، وغطّى القاموس الفترة الزمانية الممتدّة من العصور القديمة إلى العصر الحاضر، لكن رغم ثراء المدوّنة فقد لاحظنا انعدام التوازن بين نوعيّة المداخل، فالرجل أكثر حضورا من المرأة، ونسبة الإنسان الأبيض أعلى من نسبة الإنسان الأسود، ونصيب الإنسان الشرقي أقل حظّا من نضيره الغربي. كما اختيرت المداخل المواقعية على أساس مقاييس المحليّة والجوار الأوروبي والانتماء الفرنكفوني والحوض المتوسّطي، تليها الأقاليم الكبرى كالولايات المتحدة وروسيا والصين والهند والمستعمرات القديمة. وتمثّل أسماء مؤلّفات الأدب والموسيقى والرسم والنّحت والسينما مداخل لمحور الإبداع تكتب عناوينها، على عكس الأسماء الأعلام، بحروف عاديّة، بينما تكتب أسماء التّجمعات والمؤسّسات بمتتاليات حرفيّة تختزل وحدة معقّدة اصطلح عليها بالمختصرات les acronymes مثل جمعية الأمم المتّحدة ONU ومنظّمة الأمم المتّحدة للتربية والثقافة والعلوم UNESCO.

تمثّل الشّهرة الشّرط الأساسيّ لدخول الاسم العلم إلى القاموس الأعلامي، وتتمثّل مقاييس الشهرة في النّجومية والإبداع والقيادة والسّياسة. وهي شهرة قارّة دائمة موضوعية، تخلّد صاحبها وتدوّن له سجلاّ تاريخيا ذاتيّا مثل الشعراء، ومنهم أبو القاسم الشابي ومحمود درويش وبيبلو نيرودا (Pablo Neruda 1904-1973)، ومثل الأطبّاء كابن سينا وباستور، ومثل الزّعماء السّياسيين كالحبيب بورقيبة وفرحات حشّاد والماهتما غاندي. وباختلاف قيمة المترجَم له يختلف نسق نصّ التّعريف، فيطول أو يقصر وتتنوّع آليات التّدعيم أو يخلو منها (قارن بين مقالي"نيويورك" و"شنغزهو" بالصين في قاموس PR2). أمّا إذا كانت الشّهرة العَلَميّة عابرة تتداولها وسائل الإعلام بسبب حدث عرضيّ، فسرعان ما ينطفئ بريقها ولا تدخل القاموس.

وليست الموسوعات وحدها تجمع ضمن مداخلها بين الأعلام والمفاهيم. فقد حذا قاموس (PR2) حذوها رغم ما يمكن أن ينجرّ عن هذا الجمع من تداخل بين مناهج التأليف القاموسي : .فصنف قواميس اللّغة العامّة يكتفي بوصف اللّغة باللّغة، وصنف قواميس الأعلام يترجم ترجمة ذاتية، وصنف قواميس الأسمائيّة يعرّف المدخل المحوّل عن الاسم تعريفا لغويّا ومنطقيّا ويمثّل لسياقاته بالشّاهد. وقد تميّز (PR2) بذكر عدد من المفاهيم التي هي عادة من مداخل القاموس العامّ والموسوعات مثل "الانتفاضة" (intifada) و"الصّوفية" (soufisme) و"الشّيعة" (chiisme). كما أورد أسماء أجناس متحوّلة عن أعلام مثل "الأفلاطونيّة" platonisme. وقد عدنا إلى قواميس عامّة مختلفة، عربية وفرنسية وأسمائية وموسوعيّة وأعلاميّة لنقارن بينها ونتبيّن مدى حضور هذه المفاهيم في مدوّناتها، فأعطت المقارنة الشبكة التالية :

المــــدخل / القـــامـــــوس	الصّوفية Soufisme	الشّيعة Chiisme	الانتفاضة Intifada	الأفلاطونية Platonisme
المنجد في اللغة والأدب (1965)	x	X	Ø	Ø
الموسوعة العالمية (1980) *Encyclopédieuniversalis*	x	Ø	Ø	Ø
المعجم الوسيط (1985)	x	X	Ø	Ø
لسان العرب (1988)	Ø	Ø	Ø	Ø
Petit Larousse illustré PLI (1996)	Ø	X	Ø	X
Lesay (JDL) (2000)	Ø	Ø	Ø	X
PR2 (2002)	x	X	x	X
Maillet (M.J) 2005)	Ø	Ø	Ø	Ø

* يفيد الرمز x الإيجاب، ويفيد الرمز Ø السّلب أو الشغور.

ما يلاحظ أنّ الخانة الخاصّة بمدخل "الانتفاضة" ظلّت شاغرة في كلّ القواميس، بما في ذلك القواميس العامّة، ما عدا (PR2)، ولهذا الشّغور في الشّبكة ما يبرّره تاريخيّا بالنّسبة إلى القواميس المطبوعة قبل اندلاع انتفاضة الحجارة الفلسطينية في ديسمبر 1987.بينما طبع القاموس (PLI) سنة 1996، أي بعد اندلاع الانتفاضة، وكذلك القاموسان الأسمائيان (JDL) (2000) و(2005) (M.J). كما غابت جلّ مفاهيم الشّبكة عن مدوّنة القاموسين الأسمائيين المذكورين (J.D.L) و(M.L)، عدا مصطلح الأفلاطونية في (JDL). وهو غياب تفسّره طبيعة التّأليف القاموسي الذي نهجت عليه القواميس الأسمائية، فهي تُعنى بالأسماء الأعلام المُعَجْمة في محيطها الأوروبي وتربط الصلة بين الاسم وما تولّد عنه من وحدات معجميّة ذات مقولات تصريفية اسمية وفعلية.

وممّا يبعث على الاستغراب إقصاء لسان العرب لكل المفاهيم خاصّة القديمة منها، فقد أهمل مدخليْن عربييْن مُحيليْن على مذهبيْن دينييْن هامّيْن هما الشّيعة (ق7م) والصّوفية (ق8م). كما أنّه لم تثبت في مدوّنة القاموس عديد المصطلحات الدّالة على الملل والنّحل والمذاهب كالخوارج والأسماعيلية والمتكلّمين والمالكيّة والحنفيّة وغيرها، بينما ذكرها قاموس المنظمة العربيّة للتربية والثقافة والعلوم "المعجم العربي الأساسي" (1989). واقتصر قاموس مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة "المعجم الوسيط" (1985) على التّعريف بالخوارج والشّيعة والسّنة، وهي من بين المفاهيم المفاتيح في الحضارة العربية الإسلاميّة التي يعود إليها مستعمل القاموس باستمرار لمعرفة القوانين المؤسسة لهذه الفرق، والحدود الدقيقة الفاصلة بينها، فأنقص ذلك من شموليّة "اللّسان" كقاموس مرجعي عربي استيعابي بإهماله تعريف هذه المداخل. وفي المقابل ارتفعت القيمة العلمية لقاموس (PR2) الذي اهتم بهذه المفاهيم العقائديّة والحضاريّة الهامّة رغم مرجعيّته الغربيّة.

وجاءت المداخل الدالة على مفاهيم عامّة في قاموس (PR2) في مقالات خاصّة داخل إطار ملوّن (les articles encadrés) للفت الانتباه إليها. فهي وحدات من صنف خاص تنتمي إلى القاموس العامّ وتعامل معاملة الأسماء الأعلام، فتدلّ على أحداث تاريخية هامّة مثل عصر النهضة (la Renaissance)، والمقاومة الفرنسية إبّان الحرب العالميّة الثانية (la Résistance) والعمالة (la Collaboration). ومن المداخل ما ينتمي للمعجم الدّيني والفلسفيّ مثل الفوضى السياسية (l'anarchie) والشيعة (le chiisme). ومنه ما يدلّ على تيارات فنية وأدبيّة مثل الباروكية (le Baroque) والطبيعية (le Naturalisme). فدلّت كل هذه الأسماء العامة على مفاهيم ومصطلحات، وعوملت معاملة الأسماء الأعلام، لذلك ذكرت في البنية الكبرى للقاموس PR2 وعرّفت تعريفا موسوعيا. كما اشتمل القاموس على بعض الأسماء المحوّلة عن أعلام إلى مفاهيم ومصطلحات، فأدرجها في البنية الكبرى وميّزها عن غيرها من المداخل ووضعها داخل إطار ملوّن، ثم عرّفها تعريفا لغويّا وتأصيليّا وتاريخيّا على منهج الأسمائية في تعريف الأعلام المُمَعجمة، من ذلك المدخل "مازدييزم" (mazdéisme) الذي عرّف تعريفا لغويّا ومنطقيّا تأصيليّا، فهو اسم مذكر مشتق من اسم الإله "زوروأستريزم" (zoroastrisme)، ومولّد عن اسم مؤسس المذهب "مازديزم" (mazdesm)، ويعني المصطلح الممعجم عبادة أهورا مزدا (Ahura Mazda)، وهي ديانة نشأت في إيران في القرن الخامس للميلاد، من أهم تقوسها التصدّي لقوى الشرّ. وتوجد عديد المداخل الأسمائية الأخرى العقائديّة منها مونتانيست (montaniste)، وهي حركة دينيّة مسيحيّة نسبة إلى (Maximilla Montanus) (ق2 م)، ودومينيكـــــان (dominicains) نسبة إلى القدّيـــــس دومينيك (Saint Dominique). وعلى عكس أسماء الأعلام الثابتة، فقد كتبت هذه الأعلام المحوّلة إلى وحدات عامّة ومفاهيم دالّة على التيّارات الفكرية والمذاهب الدّينية والحركات السّياسيّة، بحروف عاديّة.

لعلّ الغرض من تغيير الرسم هو بيان الحدود الفاصلة بين الأعلام الثابتة والأعلام المتحوّلة.

إنّ الشّهرة والتّعيين والذاتيّة مواصفات تخوّل للاسم العلم أن يصبح مدخلا قاموسيّا عامّا، لذلك لم تحتو مدوّنة القاموس على أعلام فقدت خاصيّة التفرّد ودلّت على معان تحقيريّة واتّصفت بالإبهام والتّعميم .هذا الصنف من التّسمية يعيّن الاسم النّكرة ولا يشار به إلى مخصّص، وهو ذو مستوى لغوي شعبي (Fam) ذكرت منه جوزيت راي دي بوف (Josette Rey-Debove ;1998 : 107) تسميات عديدة ذات إيحاءات دلالية مختلفة منها ما يطلق على أشخاص غير معروفين أو محقورين مثل (machinchouette) و(tartempion) التي يقابلها في العربيّة "فلان وفلانة وعلاّن"، ويدلّ استعمالها على شخص نكرة مجهول أو يتجاهله المتكلم أو يتستّر على ذكر اسمه لغرض مّا. ومنها ما يطلق على المواقع من ذلك (pétaouchnoc) ويقصد بها مكان في أقاصي الأرض، و(Eldorado) وهو اسم لبلد خياليّ ساحر. ولم تُذكر هذه الأسماء في البنية الكبرى للقاموس لأنّه قاموس المعارف والمشاهير لا النّكرات والمبتذلين والخياليين.

2.2.5 القاموس العامّ

1.2.2.5 لمحة عن تاريخ القاموسيّة العربيّة

يمثل القاموس مرجعا حضاريا وتاريخيا وإرثا إنسانيا لأنّه لسان المجموعة اللّغويّة، يحفظ لغتها ويذود عن رصيدها الحيّ ويحميها من الاندثار. وقد ساهمت الشّعوب القديمة من هنود ويونانيين ومصريين وصينيين وعرب في التّأليف القاموسي منذ فجر التّاريخ.

بدأ البحث القاموسي عند العرب أوّلا بجمع المادّة اللّغويّة، أو ما كان يعرف بمتن اللّغة، عن طريق المشافهة والاتّصال المباشر بمستعملي اللّغة في البوادي والحواضر. ولم يرتّبوا في البداية المادّة المجمّعة من

مصادرها الحيّة. ولمّا ازدهرت علوم اللّغة بالبصرة والكوفة اتّجه جمّاعو اللّغة إلى تبويب المواد اللّغويّة وتصنيفها بحسب مواضيع دلاليّة، فجاءت أعمالهم في شكل رسائل مصنّفة وكتب مختصرة في سائر العلوم والمواضيع. فألّف في غريب القرآن وغريب الحديث وفي عديد المسائل المتّصلة بحياة النّاس بالجزيرة العربيّة في القرنين الأوّلين للهجرة كالإبل والمطر والصّحراء والغنم ...

تولّد عن حركة الجمع والتّدوين وضع مجموعة من الكتب والرّسائل في حقول دلاليّة عدّت رسائل موضوعات. وكان الحرص على فهم ألفاظ القرآن الكريم والحديث النّبويّ الشّريف ومفردات الشّعر الجاهليّ التّي يعسر فهم بعضها قد دفع اللّغويين إلى وضع القواميس الفرديّة الصّغرى بتتبّع المعاني السّياقية للمفردات وشرحها. فاهتمّ اللّغويّون بتفسير ما استعصى فهمه من ألفاظ القرآن الذّي هو منتهى الفصاحة والبيان عند العرب، وهو أهمّ مصادر مدوّناتهم اللّغويّة في وضع القواميس. فشرحوا غريبه في رسائل عُدّت الباكورة الأولى للحركة القاموسيّة العربيّة، منهم عبد اللّه بن عبّاس (ت 68 هـ) صاحب "تفسير القرآن" و"*اللّغات في القرآن*". وتتالت الشّروح ذات القيمة القاموسيّة الهامّة كـ"*معاني ألفاظ القرآن*" لعلي بن عبد اللّه بن عبّاس (ت 117 هـ) و"*غريب القرآن*" لأبي سعيد آبان بن ثعلب (ت 141 هـ)، و"*الغريب المصنّف*" لأبي عبيد بن سلاّم الهروي (ت 223 هـ/ 839 م) و"*الفائق في غريب الحديث*" للزّمخشري (ت 467 هـ) ... وغيرها من الشّروح والتّفاسير التّي كانت منطلقا للصّناعة القاموسيّة.

وصلَنا عن العرب أوّل قاموس عربيّ لغويّ للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ/ 791 م) بعنوان " *كتاب العين*". وتواصل بعده النّشاط اللّغويّ. فأنشأت القواميس العامّة بأعداد كبيرة، وتفطّن العرب إلى أهميّة القواميس اللّغويّة وكذلك العلميّة، فصنّفوا في اختصاصات متعدّدة كالطّبّ والصّيدلة والزّراعة والفلك وغيرها.

كان *"كتاب العين"* للخليل أوّل ثمرة لحركة تدوين الألفاظ في قواميس معيارها الفصاحة. واللّفظ الفصيح هو ما سمع عن لهجات قبائل يعتدّ بفصاحتها لبعدها عن قبائل غير عربيّة وعدم احتكاكها بأجناس أجنبيّة. وتخضع الفصاحة لمقياسيْ المكان والزّمان. فقد حُدّد القرن الثّاني للهجرة في المدن والقرن الرّابع للهجرة في البوادي تاريخا لتدوين اللّغة والاحتجاج بصحّتها ونقائها. وهو موقف مخالف لواقع التّطوّر اللّغويّ عبر العصور الذّي يستوجب تطوّر كلّ مرافق الحياة البشريّة وتوليد ألفاظ جديدة للتّعبير عن حاجيات مستعملي اللّغة. كانت القبائل الموجودة وسط الجزيرة، وخاصّة منها قريش، مصادر موثوقا بفصاحتها وصفائها اللّغويّ. فانحصر العمل القاموسيّ بعد الخليل في البحث عمّا هو فصيح وليس في الاهتمام بالمستعمل وخاصّة المولّد من الألفاظ. ولم تسجّل القواميس جزءا هامّا من الرّصيد اللّغويّ المحدث وليد حضارة عربيّة مزدهرة بالعراق ودمشق والقيروان والمهديّة والقاهرة وتلمسان وفاس والأندلس وغيرها من المدائن العربيّة.

لم يكن كتاب العين مجرّد قاموس لغويّ عامّ، بل إنّه مشتمل على نظريّة معجميّة هي الأولى من نوعها جاءت واضحة في مقدّمة الكتاب. فقد ميّز الخليل بين المهمل والمستعمل. والمستعمل هو المنجز بالفعل الذّي يشترط في جذوره، متى تجاوزت صوامتها الثّلاثة، أن تحتوي على حرف من حروف الذّلاقة والشّفة (ل، ن، ف، ب، م). أمّا المهمل فهو المتصوّر بالذّهن وما تنافرت حروفه في الحيّز الواحد أو تقاربت، فالعين والحاء لا تلتقيان ولا تأتلفان مع سائر الحروف الحلقيّة في الكلمة الواحدة إلاّ في النّحت. وقد توصّل الخليل إلى ضبط مفردات اللّغة بابتكار طريقة "الاحتمالات" أو التّقليبات لبناء عديد الكلمات من الجذر الواحد الذّي تتغيّر مواقع الصّوامت المكوّنة له، فتنشأ عنها جذور جديدة. سمّى الخليل هذه الطّريقة في رصد عدد كلمات المعجم العربيّ، المستعمل والمهمل، نظام

التّقليبات الذّي يولّد عن البناء الثّنائي مادّتين تشتركان أو تبتعدان في المعنى، وينشأ عن البناء الثّلاثي المتقلّب ستّة أوجه، وعن الرّباعي أربعة وعشرين وجها، وعن الخماسي مائة وخمسين وجها. فمكّنت نظريّة التّقليبات الخليل من تصوّر عدد تقريبيّ لأبنية كلام العرب بما فيه المهمل. وإلى جانب تمتّع الخليل بذهن رياضيّ ثاقب وظّفه في التّأليف القاموسيّ، فله خبرة كبيرة بعلم الأصوات التّي درسها دراسة دقيقة، فوقف عند موضع نطقها ونمط إنجازها ونزيز الوترين. ونظّم الأصوات العربيّة حسب مخارجها بدءا من أسفل جهاز النّطق وهي الحروف الحلقيّة، وصولا إلى الأعلى وهي الحروف الشّفويّة. فرتّب على أساس هذا النّظام الصّامتي مداخل القاموس، واعتبر حرف العين أنصع حروف الحلق نطقا، فسمّى بها كتابه. لذلك كانت مقاربته القاموسيّة مقاربة اشتقاقيّة صوتيّة قائمة على نظريّة معجميّة رائدة ومبنيّة على تصوّر لنظام اللّغة أساسه النّظام الصّوتي والنّظام الصّرفي والنّظام الدّلالي.

نشطت حركة التّأليف القاموسي بعد الخليل، ورتّبت المداخل بطرق مختلفة ترتيبا ألفبائيّا حسب الحرف الأوّل من الجذر أو حسب قافيته، ورتّب بعضها ترتيبا حسب المواضيع. ووضعت قواميس كثيرة ذات حجم صغير تعالج قضايا لغويّة كالأضداد والقلب والإبدال والقصر والمدّ. وألّفت قواميس صغرى أخرى في صفات الأشياء من أشهرها رسائل في خلق الإنسان والحيوان والنّبات والمطر واللّبن... وعن هذا الرّصيد المدوّن أخذ مؤلّفو قواميس اللّغة العامّة مادّتهم، وقصروا بحوثهم على اللّغة التي شهد علماء القرن الأوّل والثّاني للهجرة بفصاحتها، ولم يهتمّوا بالعمل الميدانيّ والتّغيّر اللّغويّ في الجزيرة العربيّة، ولم يعتبروا التّطوّر الطّبيعيّ في حياة اللّغات الحيّة ضرورة لبقاء متكلّميها.

اختلف نسبيّا الاهتمام بالتّأليف القاموسي مع بعض المؤلّفين. فقد جدّد الجوهري(ت398هـ) في "*الصّحاح*" تجديدا طفيفا، فلم يحرص على

الكمّ والنّوع كأسلافه وأقرّ المولَّد. وتميّز ابن فارس (ت395هـ) في *"مقاييس اللّغة"* بالالتزام بالصّحيح من كلام العرب وترك ماهو حوشيّ، وعمل بالقياس فاعتبره أهمّ معيار للفصاحة العربيّة، وأخذ بالمطّرد من الضّوابط الاشتقاقيّة، فبنى نظريّته القاموسيّة على ثنائيّة الأصول والفروع، والأصل عنده أصلان : أوّلهما لفظي وثانيهما معنوي يشترط فيه أن يكون ثابتا مرويّا عن العرب رواية صحيحة، سالما من ظواهر الإبدال والقلب المكانيّ. فالقياس هو اطّراد الدّلالة العامّة في جميع مشتقّات الجذر الواحد، إضافة إلى الدّلالات الخاصّة بكلّ مشتقّ. والأصول عنده أغلبها ثنائي وثلاثي، وما زاد عنهما عدّ في نظريّته القياسيّة منحوتا أو مزيدا موضوعا. أمّا الأسماء الأعلام من أعلاميّة ومواقعيّة فلا تمثّل عنده مداخل لأنّها لا تدلّ. وعلى عكس ابن جنّي، يرى ابن فارس أنّه لا يشتقّ من الأدوات والنّبات وحكاية الصّوت ولا يقاس عليها. فـ"مقاييس اللّغة" قاموس قائم على نظريّة معجميّة جديدة قدّمها ابن فارس في كتابه "الصّاحبي"، وأسهم بها في بناء أصول معجميّة تعالج القضايا المعجميّة المتّصلة بالوحدة المعجميّة من اشتقاق وتصريف وتركيب ودلالة، وهو عمل نظريّ سابق للتّأليف القاموسيّ، كان للخليل ولابن فارس بعده فضل الرّيادة في تقديمه على المعجميّة التّطبيقيّة خلافا لما هو سائد في أعمال كلّ القاموسيين العرب.

ثمّ ظهر بعد ذلك *"أساس البلاغة"* للزّمخشري (ت 467 هـ) الذّي اعتبر من القواميس المجدّدة .اهتمّ فيه صاحبه ببيان معاني الألفاظ المركّبة في السّياق إلى جانب المعنى الوضعيّ، وفصل الحقيقة عن المجاز فصلا لم يسبقه إليه قاموسي آخر، كما فصل التّصريح عن الكناية، فكان *"أساس البلاغة"* قاموس مفردات اللّغة ومعانيها ومشتقّاتها ومقولاتها التّصريفيّة، كما كان كتاب معان وبيان يولي عناية خاصّة بالتّراكيب والأساليب والسّياق.

ونشطت كذلك حركة تأليف القواميس الشّموليّة *كلسان العرب* لابن منظور (ت 711 هـ/1311 م) الذّي لم يبن على نظريّة جديدة ولكنّه جاء جمّاعا لألفاظ اللّغة قديمها وحديثها، دقيقا في إحالاته، شاملا في معانيه، متعدّدا في استعمالاته. فهو موسوعة لغويّة لم يؤلّف نظير لها من قبل، فلم تكن المداخل المعجميّة وشروحها هي الهدف الوحيد الذّي عني به المؤلّف، بل إنّه وقف عند قواعد الصّرف والنّحو، وأكثر من الاستشهاد بالقرآن والحديث والأدب والتّاريخ والسّير، وذكر بكلّ إسهاب الدّلالات السّياقيّة للمدخل الواحد ممّا جعل من قاموسه موسوعة لغويّة.

يصنّف التّأليف القاموسيّ القواميس حسب معياري التّعميم والتّخصيص إلى عامّة ومختصّة. وقد اهتمّ العرب بالقاموس المختصّ الذّي موضوعه مصطلحات العلوم كالطّبّ والصّيدلة والزّراعة، ومصطلحات الفنون كالفقه وغريب القرآن والحديث والتّصوّف والفلسفة وعلم الكلام والمنطق. ومن المؤلّفات في الفنون كتاب "*التّعريفات*" للشّريف الجرجاني (ت 815 هـ /1413 م) وكتاب "*الكلّيات*" لأبي البقاء (ت1033 هـ / 1624 م) و"*كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم*" للتّهانوي (ت 1157 هـ /1745م). وقد نشطت القواميس المختصّة بفضل التّرجمة في اختصاصات علميّة متعدّدة كالأدوية المفردة وعلوم الطّبّ والصّيدلة والنّبات. ولكن ظلّت عناية العرب بالقواميس المختصّة دون عنايتهم بقواميس اللّغة العامّة، وظلّت المصطلحات المترجمة من مستوى المولّد الذّي لا يرقى في نظر الصّفويين إلى المستوى اللّغويّ الفصيح.

بقيت القواميس العامّة تقلّد بعضها البعض، وطغى اللّفظ المنقول على المستعمل، والقديم على المستحدث، ممّا وسّع الهوّة بين القاموس العربيّ ومستعمله.

2.2.2.5 أسس التّأليف القاموسيّ

مسيرة القاموسيّة العربيّة مسيرة ثريّة بأعلامها، غنيّة بعناوينها، مثقّلة بعددها. وقد اختلفت في مصادر جمعها وفي مناهج وضعها اختلافا طفيفا. فقام التّأليف القاموسيّ على ركنين هامّين سمّاهما ابن منظور في مقدّمة لسان العرب : الجمع والوضع، قال عنهما "وإنّي لم أزل مشغوفا بمطالعات كتب اللّغات والاطّلاع على تصانيفها، وعلل تصاريفها. ورأيت علماءها بين رجلين : أمّا من أحسن جمعه فإنّه لم يحسن وضعه، وأمّا من أجاد وضعه فإنّه لم يجد جمعه، فلم يفد حسن الجمع مع إساءة الوضع، ولا نفعــت إجادة الوضع مع رداءة الجمع". (ابن منظور : ج 1،17). وقد أعيد إحيـــــاء هذين المصطلحين حديثا في القاموسيّة العربيّة، فهما يقابلان في الفرنسيّة مصطلحي constitution du corpus و traitement dictionnairique.

ينقسم ركن الجمع إلى ركنين فرعيين هما المصادر والمستويات اللّغويّة. تمثّل المصادر مدوّنة القاموس وبنيته الكبرى، فهي عمليّة واعية مع الوحدات المتخصّصة أوغير واعية مع وحدات اللّغة العامّة لاختيار عدد محدود من وحدات القاموس العامّ. وأمّا المستويات اللّغويّة les niveaux de langue ، فتعكس تجربة المجموعة اللّغويّة وتصنّف المداخل المعجميّة، على صعيد التّعميم والتّخصيص، إلى وحدات معجميّة عامّة أو مصطلحات معيّنة لمفاهيم خاصّة، وهي بمعيار الفصاحة وحدات فصيحة أو مولّدة نشأت بعد عصر الاحتجاج، أو عاميّة تنتمي إلى لهجات عربيّة، أو هي مقترضة بصنفيها المعرّب والدّخيل.

أمّا الرّكن الثّاني من ركني التّأليف القاموسيّ فهو الوضع الذّي يتفرّع إلى قسمي التّرتيب والتّعريف، تكون المداخل في بداية هذه المرحلة مجرّد قائمة من المفردات أو مسرد ألفاظ غير مرتّبة ولا معرّفة، ثمّ تتحوّل إلى مفردات دالّة "قابلة للانتظام ضمن شبكات من العلاقات

الاختلافيّة[...] أو ضمن جداول" (ابن مراد 1997 : 32). فالوضع يمثّل مرحلة الإنجاز الفعلي للقاموس. وقد تنوّعت طرق ترتيب القواميس العربيّة، باعتبار الجذر، ترتيبا ألفبائيّا أو أبجديّا. كما تعدّدت مناهج تعريف المداخل. والتّعريف أهمّ ركن في وضع القواميس وأصعبها، لأنّه يتطلّب من مؤلّف القاموس إحاطة بدقائق معاني المدخل وبمختلف استعمالاته السّياقيّة وتقريب دلالاته من القارئ. فيوظّف القاموسيّ أساليب التّوضيح المختلفة كالشّرح بالتّرادف وبالتّضاد وبالسّمات الدّلاليّة المميّزة وبالشّاهد وبالصّورة وبالرّسم. وهي كلّها من آليّات التّعريف اللّغويّ أو اللّفظي الموسوعيّ.فتعرّف المراجع بألفاظ اللّغة وتراعى فيها جملة من الضّوابط الشّكليّة والدّلاليّة (الصّوتيّة والصّرفيّة والدّلاليّة). ويكون التّعريف اللّغويّ تعريفا باللّغة الواصفة la définition métalinguistique أو يكون تعريفا بالشّرح la définition périphrastique حسب مصطلح جوزيت راي دي بوف (Josette Rey Debove, 1971 : 192). فيبيّن التّعريف اللّغويّ أهمّ خصائص المفردة اللّغويّة، ويبرز سماتها المميّزة مقارنة بغيرها من مفردات الرّصيد. وتغلب على هذا الصّنف من التّعريف خاصيّة الاختصار لأنّه يهدف إلى إبراز العلاقة الجامعة بين المعرَّف والمعرِّف به، وذكر السّمات الخاصّة بمرجع مّا تجعل منه فردا معجميّا مميّزا. فهي تحقّق ما بين الأدلّة من فروق في الدّلالة وفي الانتماء المقولي والتّأليف الصّوتي والبنية الصّرفيّة، وكلّها خصائص واجبة الوجود، تتفرّد الوحدة المعجميّة بخصيصة واحدة على الأقلّ تكون بها وحدة معجميّة لها وجود في الرّصيد اللّغويّ العامّ ولها استقلالها الدّلالي، وتصبح مدخلا وعنوانا للنصّ القاموسيّ المشتمل على المعرَّف le défini وعلى نصّ التّعريف أي المعرِّف le définissant. فالنّصّ القاموسيّ يقوم بدوره على ركنين قارّين : لغة واصفة موضوعها المعرِّف ولغة موصوفة موضوعها المعرَّف.

3.2.2.5 الوحدة المعجميّة

الوحدة المعجميّة موضوع مشترك بين علمي المعجميّة والقاموسيّة. فلا يختلف القاموس عن المعجم إلاّ في عدد وحداته المعجميّة الّتي تبقى جزء يسيرا من وحدات المعجم مهما تضخّم القاموس واتّسم بالشّموليّة والموسوعيّة. كما يختلف عنه في الوظيفة، فالمعجم موضوع علم المعجميّة الذي يعالج قضايا التّوليد وقواعده، ويبيّن الخصائص اللّغويّة للوحدات المعجميّة، ويتابع تطوّرها الدّلالي عبر الزّمان ويدرس العلاقات الائتلافيّة والاختلافيّة بينها. أمّا القاموس فموضوع علم القاموسيّة الذي يطبّق على المداخل النّتائج التي توصّلت إليها المعجميّة. فيذكر في بنية التّعريف الخارجيّة من ركن الوضع معلومات صوتيّة وصرفيّة عن الوحدة المعجميّة، تكمّلها بنية التّعريف الداخليّة بشروح دلاليّة للمدخل .كما تهتمّ القاموسيّة بقضايا الجمع وبمناهج صياغة القواميس. فالقاموس مدوّنة مقيّدة بعدد محدود من المداخل المرتّبة والمعرّفة، ومحكومة بنظام دقيق داخل النّصّ القاموسيّ، بينما المعجم غير محدود ومتطوّر باستمرارولا ندري كيف ينتظم في الدّماغ.

قسّم علم الصّرف الاشتقاقي الوحدات المعجميّة إلى بسيطة ومركّبة ومعقّــدة وعباريّة (expression lexicale) بصنفيها التّحليليّة والاصطلاحيّة (analytique /idiomatique). والوحدة البسيطة أكثر الأصناف تداولا في القاموس العامّ، تليها بنسبة أقلّ الوحدة المركّبة، بينما تندر الوحدات العباريّة الّتي ترد مداخل فرعيّة للمدخل الرّئيسي البسيط أو تأتي شواهد لتدعيم المعنى، فتؤكّد علاقة الوحدة المعجميّة بالتّجربة الّتي عاشتها المجموعة اللّغويّة عبر العصور وتعبّر عنها بحكم وأمثال وأقوال مأثورة، وقد تلازمت مكوّناتها وتكلّست، فاكتسبت معنى جديدا من تآلف كلّ عناصر التّركيب في ما بينها بمختلف مقولاتها المعجميّة الخمسة : الاسم والفعل والصّفة والظّرف والأداة. ويقصي القاموس العامّ مقولة اسم العلم

من مداخله الرّئيسيّة لأنّه يعيّن ولا يدلّ. لذلك وضعت له قواميس خاصّة به وموسوعات. وإذا وجدت أسماء أعلام في قواميس اللّغة العامّة فيتمّ الفصل بينهما في نفس المجلّد في قسمين مثلما فعل "المنجد في اللّغة والأدب"، أو يفصل بين المقولتين الاسميّتين، اسم العلم واسم الجنس، في مجلّدين مستقلّين مثل *الرّوبار الصّغير للّغة الفرنسيّة (PR1) والرّوبار الصّغير للأسماء الأعلام (PR2)*. ويختلف صنفا القاموسين في معالجة المداخل : فيعرّف الاسم العامّ تعريفا لغويّا لأنّه دالّ على الأفكار والمفاهيم، ولتميّزه بسمات معجميّة لا توجد في الأعلام. بينما لا تعرّف أسماء الأعلام تعريفا لغويّا، لأنّها ليست دالّة، وإنّما تعرّف تعريفا موسوعيّا، فتوصف باعتبارها مجرّد وسم محيل إلى ذوات ومراجع. فالاسم العلم أكثر القائمات انفتاحا في المعجم، بعضه غير مرتجل كأيّوب ويوسف وإسماعيل، وجزء كبير منه منقول مرتجل متحوّل عن أسماء عامّة مثل نور وهيفاء ومنير، حامل لدلالة وضعيّة، وغير دالّ دلالة ذاتيّة.

تغيب الأعلام من البنية الصّغرى للقاموس العامّ، لكن تسجّل حضورا بارزا في النّصّ القاموسيّ كعناصر مساعدة للتّعريف في الشّاهد وفي المثال المصنوع. وتأتي أحيانا مداخل فرعيّة مُمَعجمة محوّلة عن اسم علم. وإنّ ظاهرة معجمة الاسم العلم وإكسابه دلالة يتحوّل بها إلى اسم عامّ ويصبح دليلا كاملا بدالّها ومدلولها، هي ظاهرة ضعيفة في العربيّة وقاعدة توليديّة لا يقاس عليها ولا يعتدّ بها مقارنة بما يجري من تحوّل كبير للأعلام في لغات غربيّة كالفرنسيّة. أمّا ما وجد من الأعلام محوّلا في القاموس العربيّ فجلّه عربيّ وقليله معرّب. من أمثلة المداخل الرّئيسيّة المُمَعجمة عن اسم علم في *"المعجم العربي الأساسي"* نذكر :

(ء.م.ر.ك)

* أَمْرَكَ (معرّب) : "مدخل رئيس"، يُؤَمْرِكُ أمْرَكَة : جعله أَمَرِيكِيًا.

تَأَمْرَكَ يَتَأَمْرَكُ تَأَمْرُكًا الشّخصُ : اكتسب صفة أمريكيّة. صار أمريكيّا.

(ب.غ.د.د)

* بَغْدَدَ : "مدخل رئيس"، تَبَغْدَدَ يَتَبَغْدَدُ تَبَغْدُدًا : انتسب إلى بغداد أوتشبّه بأهلها.

تَبَغْدَدَ عليه : زها وتكبّر.

بغداديّ، بغداديّون، بغاددة : نسبة إلى بغداد. المدرسة البغداديّة.

(ف.ر.ع.ن)

* فَرْعن : " مدخل رئيس"، يُفَرْعِنُ فَرْعَنَةً (مشتقّة من فِرْعون) : تجبّر، تكبّر.

تَفَرْعَن يَتَفَرْعَنُ تَفَرْعُنًا : تجبّر، طغى.

فرعون جمع فراعنة : لقب ملك مصر القديمة منذ الألف الأوّل قبل الميلاد "اِذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى" (طه : 20، 24)، لقب يطلق على كلّ طاغ.

(ت.و.ن)

*(ت.و.ن) "مدخل فرعي" : تونَسَ يُتونِسُ تونَسَة الإدارةَ : جعلها تُونسيّة.

تُونِس : جمهوريّة عربيّة إسلاميّة في شمال إفريقيّة...

(ب.ل.ش.ف)

* بَلْشَفَ (معرّب) "مدخل رئيس"، يبلشف بلشفة البلد : جعله بلشفيّا.

بَلْشفة مص بَلْشَفَ.

بُلْشُفيّ جمع بَلاشفة. منسوب أو منتم إلى البلشفيّة.

البُلْشُفيّة : مذهب شيوعي.

(ك.و.ف)

* كَوَّفَ : مدخل رئيس، يكوّف تكويفا أتى الكوفة.

1- كَوَّفَ الشّخص : أتى الكوفة.

2- كَوَّف الشّيء : نحّاه.

تَكَوَّفَ يَتَكَوّفُ تكوّفا القوم : اجتمعوا واستداروا.

تَكَوُّفٌ : مص تَكَوَّفَ. تكْويفٌ : مص كَوَّفَ.

الكوفة : مدينة على نهر الفرات في العراق[...].

كوفيّ 1 : منسوب إلى الكوفة، "النّحاة الكوفيّون".

كوفيّ 2 : أحد نماذج الخطّ العربيّ.

كوفيّة ج كوفيّات : نسيج من حرير أو صوف أو نحوهما يلبس على الرّأس...

* آدم : "مدخل رئيس"، أبو البشر "وعَلَّمَ آدَمَ الأَسَمَاءَ كَلَّهاً" (البقرة : 2، 31).

ابن آدم : إنسان.

تفّاحة آدم : عقدة الحنجرة.

آدميّ، ج آدميّون وأوادم : منسوب إلى آدم. إنسان، إنسانيّ أو ما يليق بالإنسان "أهل هذا البلد أوادم" أي طيّبون أو ذوو أخلاق كريمة.

جاء اسم العلم "آدم" مدخلا رئيسيّا، فعرّف تعريفا موسوعيّا منطقيّا. وتحوّل في مداخله الفرعيّة إلى اسم عامّ مرادف لجملة من المعاني ذات الدّلالات المتقاربة وهي إنسان، بشر، طيّب، متخلّق. بينما جاء الاسم المحوّل في أمثلة أخرى مدخلا رئيسيّا مثل أَمْرَكَ وبَغْدَدَ وكَوَّفَ وفَرْعَنَ وبَلْشَفَ. أمّا المدخل تَوْنَسَ المتحوّل عن اسم العلم تُونس بمشتقّاته الفعليّة والاسميّة، فقد صنّف مدخلا ثانويّا تحت جذر (ت.و.ن)، ثمّ تلاه الاسم الثّابت تُونس. وكذلك جاءت الأعلام الأصليّة في الأمثلة الأخرى مداخل

فرعيّة. وقد عولجت المداخل المحوّلة معالجة المداخل العامّة في القاموس تصريفيّا بذكر مقولات العدد، واشتقاقيّا بتوليد حقل اشتقاقيّ واسع. فأصبح الاسم العلم في هذه الأمثلة وغيرها أصلا للاشتقاق اللّغويّ، تولّدت عنه في إطار الأسمائيّة التّوليديّة التّي قابلنا بها مصطلح la déonomastique، وحدات معجميّة عامّة بسيطة. وتوسّع الاشتقاق أحيانا عن الاسم المحوّل المنقول ليكوّن حقلا معجميّا كاملا. بعض هذه الوحدات منسوبة إلى أعلام قابلتها بمصطلح مسمّياتيّة l'éponymie، وهو أن تنسب مدن وجبال وبحيرات ومذاهب إلى أعلام مثل الإسماعيلية وهي مدينة مصريّة منسوبة إلى الخديوي إسماعيل، والأسماعيليّة وهي فرقة من الشّيعة تنسب إلى إسماعيل بن جعفر الصّادق، والبوهيميّة نسبة إلى بوهيميا وهي منطقة في تشيكوسلوفاكيا. كما تحوّلت هذه الأسماء معجميّا، فدلّت على معاني الجعليّة والتّحوّل والصّيرورة (أَمْرَكَ، تَوْنَسَ، بَلْشَفَ).

أمّا ما لم يتحوّل ولم يُمعجم من الأسماء الأعلام المشهورة كحاتم الطّائيّ وأشعب وشنّ وطبقة، فقد أصبح مثلا يضرب للدّلالة دلالة إيحائيّة على أبرز سمة يتّسم بها حامل الاسم الذي لازم المكوّنات اللّغويّة العامّة المكوّنة للتّركيب التّلازميّ، فكوّن معها مدخلا رئيسيّا، ومثّل العَلَم العنصر المركزيّ الذّي تدور حوله دلالة التّركيب، من ذلك :

* حُنَيْن : رجل يضرب به المثل في الخيبة والفشل فيقال : رجع بخفّي حُنَيْن.
* سِنّمار : بنّاء روميّ بنى قصرا للنّعمان فجازاه بأن ألقاه من فوقه لكيلا يبني مثله لغيره. فقيل في المثل : "جُوزي جزاء سنّمار" ، يضرب لمن يُجزى على الإحسان بالإساءة.
* سَحْبَان : سحبان وائل، رجل من وائل اشتهر بفصاحته وبلاغته حتّى ضرب به المثل فقيل "أفصح من سحبان وائل".

* حاتم الطّائيّ : شاعر جاهليّ اشتهر بكرمه حتّى ضرب به المثل فقيل "أجود من حاتم". له ديوان.

وقد يتعلّق عَلَم محدّد بوحدة معجميّة معيّنة يلازمها أو يكاد، فكلّما ذكر المدخل "تَبَّ" من الجذر (ت.ب.ب)، دُعّم بالآية القرآنيّة "تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ" (المسد : 1، 111). كما تقترن الوحدة المعجميّة "حكمة"في القاموس بما حبا اللّه به لقمان في قوله عزّو جلّ"وقد آتينا لقمان الحكمة" (لقمان : 31 ، 12). وتحيل الوحدة المعجميّة (برْقَش) على المثل "على أهلها جنت براقش"، وبراقش اسم كلبة ضرب بها المثل في الشّؤم على قومها.

ومن الأسماء ما تركّب بضمّ اسم عام إلى اسم علم مثل "أرطبون العرب"، وهو مدخل رئيسيّ في المعجم العربي الأساسي أطلقه عمر بن الخطّاب على عمرو بن العاص الذّي هزم "أرطبون الرّوم"في موقعة أجنادين، فأطلق مثلا للفروسيّة والبطولة. ومن هذه الوحدات المركّبة من اسم علم واسم عامّ نذكر "الأفلاطونيّة الجديدة". ولكن يبقى هذا الصّنف من المركّبات قليل العدد في القاموس العامّ.

تضمّن القاموس اللّغويّ وحدات عباريّة تلازمت ألفاظها واشتملت ضمن عناصرها المتكلّسة على اسم علم أو أكثر، فهي صنف من الوحدات المعجميّة التّي لا تقبل التّرجمة الحرفيّة لأنّها تعبّر عن تجارب مجموعة لغويّة دون أخرى، وتقوم على قصّة واقعيّة أو خياليّة لا يفهم مغزاها إلاّ أبناء اللّغة الأمّ، ويحتلّ العَلَم فيها محلاّ رئيسيّا يوحي بالدّلالة المقصودة من التّركيب، فلولا وجود العَلَمين " شنّ " و"طبقة" ما أفاد العنصر المعجميّ "وافق" المعنى البليغ الذّي أصبح له في التّعبير التلازميّ، وهو الاجتماع على رأي صائب. كما أنّ "حُنين" هو العنصر المحوريّ الدّال على الخيبة في الوحدة العباريّة المتحوّلة معجميّا عن المثل "رجع بخفّي حنين". فلو أبدلنا حُنين باسم آخر، لما أفاد معنى الفشل والخيبة. فهذه

المتلازمة اللّفظيّة ترادف معاني وحدات عامّة بسيطة، يشكّل العَلَم فيها العنصر المحوريّ المتحوّل من التّركيب إلى المعجم.

ورغم ثراء التّراث العربي بالأمثال والأقوال والحكم التّي سجّلتها كتب مجامع الأمثال ودواوين العرب وقصصهم، ورغم أنّ المتكلّم العربيّ يستعمل الأمثال بكثرة في تخاطبه اليوميّ، فإنّ القواميس العربيّة المعاصرة تفتقر إلى هذا الصّنف من الوحدات العباريّة، خاصّة ما اشتمل منها على الأعلام. فلم تسر على نهج اللّغات الغربيّة في إدخال المتلازمات في القاموس وإثرائه بهذا الصّنف من الوحدات التي ظلّت حبيسة كتب الأمثال والأقوال المأثورة وأقاصيص العرب وبعيدة عن الاستعمال. ولذلك فإنّ المتكلّم يبقى متقدّما في تعامله اليوميّ عن القاموس وممثّلا لواقعه اللّغوي أحسن تمثيل في مجالات عدّة كالتّعبير عن الأشياء المستحدثة بمسميّات جديدة من داخل اللّغة أو من خارجها، وكاستعمال المتلازمات اللّفظيّة العاميّة بكثرة في محيطه اللّغويّ.

3.2.5 القاموس الأسمائي

تتباين أهداف التأليف القاموسي ومناهجه بتباين أجناس القواميس، وتختلف طرق تحرير النّصوص بحسب طبيعة المدوّنة القاموسيّة. ومن هذه القواميس القاموس الأسمائي، وهو قاموس الأسماء الأعلام المشهورة المحوّلة إلى أسماء عامّة دالّة على المنتوجات والأكل والشّرب والمذاهب السّياسيّة والمعتقدات والسّلوك الاجتماعي. ويجمع القاموس الأسمائيّ بين مناهج متعدّدة في التأليف القاموسي، لأنّه يختزل خصائص القاموس العامّ بسبب احتوائه على وحدات معجميّة عامّة محوّلة، وخصائص قاموس أسماء الأعلام الذي تكون مداخله أعلاما معروفة، وخصائص القاموس التاريخي ذي المنحى التأصيلي التطوّري.

1.3.2.5 منهج الوضع

يُعنى القاموس الأسمائيّ بتعريف المدخل تعريفا شاملا، فيذكر معناه الممعجم lexicalisé المنتقل من اسم علم إلى اسم عامّ، ويبيّن أصله وتأريخه وتطوّره الدّلالي، من ذلك مدخل أدونيس (adonis) في قاموس "الأسماء المحوّلة إلى كلمات" (*les personnages devenus mots*) لصاحبه جون داميان ليساي(Jean Damien Lesay 2000) ورمزه (J.D.M) ، فقد بنى نصّه على تخطيط واضح مقسّم إلى ثلاث مراحل (ز. السائح دحماني : 2012 :

1- التعريف ، وقد اشتمل على العناصر التالية :

- المقولات التّصرفيّة (الاسم – الجنس).
- المعنى : تعريف معجمي وتطوّري.
- التأريخ لأوّل ظهور للفظ في الرّصيد اللغوي الفرنسي (1565م).
- مقاربة اشتقاقية لتعريف المدخل وما تولّد عنه من مشقات اسمية وفعلية كوّنت حقلا دلاليّا هامّا تطوّر به معنى الوحدة المعجمية "أدونيس".

2- الترجمة للمرجع الأصلي الأسطوري وربط العلاقة بين السّمة البارزة للعلم أدونيس والمعنى المتحوّل إليه وهي سمة الجمال.

3- ذكر لمختلف استعمالات المدخل الرئيس المتحوّل ومشتقاته وسياقاته التركيبيّة المجازيّة وتدعيمه بأمثلة وشواهد لأكبر أدباء اللغة الفرنسية مثل لافنتين (La Fontaine) والسيدة بمبدور (madame de Pampadour 1762) وفيكتور هيغو (Victor Hugo) في كتابه المشهور "البؤساء" (les Misérables). ويختم القاموسيّ نصّه بتقديم حقل دلاليّ اشتقاقي تتوزّع فيه العناصر بين المعنى العامّ الموسّع (الجمال، حقل خاص بإله الجمال، بيت شعري) والمعنى الخاص المضيّق الدّال على أسماء المواليد الحيوانية والنّباتيّة من أسماك وفراشات وورود.

ورغم ثراء هذا الاسم المحوّل إلى وحدة معجميّة دالّة ودخوله إلى القواميس العامّة الأحاديّة اللّغة ومتعدّدة اللّغات والقواميس المختصة، فقد ظلّ غائبا عن بنية أمّهات القواميس العربية العامّة قديمها وحديثها. ونظرا إلى طبيعة هذا الاسم المحوّل عن علَم، فقد بحثنا عنه في قاموس أسمائي ثان وضعه ألبان ميشال بعنوان "قاموس الأسماء الأعلام المحوّلة إلى أسماء عامة" (Albin Michel : Dico des noms propres devenus noms communs; 2005)، ورمزه (A.M)، وفوجئنا بغياب المدخل "أدونيس" عن البنية الكبرى للقاموس. فقد أدرجه المؤلف في القسم الملحق بالقاموس في بضعة أسطر، الأمر الذي دفعنا إلى المقارنة بين محتوى القاموسين الأسمائيين، فتبيّن لنا ما يلي : أضاف القاموس (A.M) إلى بنيته الكبرى 210 مدخل محوّل غير مذكور في القاموس الأول (J.D.L) الذي انفرد بدوره بـــ80 مدخلا غابت عن بنية القاموس الثاني (A.M).

ما أضافه القاموس الأسمائي(A.M) من وحدات معجميّة محوّلة لم يذكرها قبله نظيره (J.D.L)، يعتبر أمرا طبيعيّا بسبب حداثة نشر (A .M : 2005) ونوعيّة المداخل الجديدة المُمَعجمة بعد سنة (2000) تاريخ نشر (JDL). فقد اتّسع البحث ليشمل عديد الوحدات المحوّلة حديثا، قليلها قديم وكثيرها عصريّ، لأنّ المجتمع قد تغيّر وتطوّر صناعيّا وتكنولوجيا وعلميّا. فكانت مصادر الأعلام المحوّلة إلى وحدات دالة هي منتوجات استهلاكيّة (ألبسة، شراب، أكل) وصناعات (عربات، سيّارات، طائرات، درّاجات)، ونظريات علميّة، ووحدات قيس، ومذاهب دينية وإيديولوجية، ومعادن، ومفاهيم، وأدواء، وأدوية. وكلّ هذه الأعلام المُمَعجمة منسوبة إلى أشخاص مشهورين وأماكن معروفة تدلّ على التحوّل الصناعي والتكنولوجي الذي تميّز به العصر، وعلى مدى السّرعة الفائقة في مواكبة المصطلح للمفهوم. كما تدلّ معجمة الأعلام على رغبة مستعمل اللّغة في

التخصيص والاختصار بحثا عن المجهود الأدنى في الكلام، فأن تقول "كلييو"(Clio) هو أكثر اقتصادا وأيسر نطقا من إنجاز المركب النعتي المعقّد كاملا : "سيّارة من نوع رونو (Renault) من صنف كلييو".

. ويعتبر المعجميّ الفرنسي آلان راي في مقدّمة روبار للأسماء الأعلام (PR_2 : 2002) أنّ امتلاك اللغة يكون بامتلاك الأسماء الأعلام. فلا تخلو لغة من الأعلام ولا تنقطع الأعلام عن التّحول من التّخصيص إلى التّعميم. وتمثّل استعانة القارئ بالقاموس العامّ وبقاموس الأعلام وبقاموس الأسمائيّة عند البحث عن معنى وحدة متحوّلة عن علم ضرورة لربط الصلة بين الثّابت والمتحوّل من الأسماء الأعلام. ولا تبدو الاستعانة بالقواميس ضروريّة وأكيدة فيما تحوّل من الأعلام تحوّلا معجميّا لا سياقيّا وأصبح وحدة معجمية من وحدات الرصيد العام مثل Frigidaire بمعنى ثلاجة الذي مُعْجِم مَعْجَمة نهائية وقطع الصلة بمرجعه الأوّل. فمستعمل القاموس يجهل علاقة الثّابت بالمتحوّل في هذا السياق إلاّ إذا رغب في الكشف عن الأصول التي انحدرت عنها الفروع، وهي مهمّة الباحث المختصّ في المعجميّة.

إنّ معاملة المدخل الواحد مرّة كاسم علم، ومرة أخرى كفرع متحوّل إلى اسم عامّ، نادر في قواميس اللغة. كما أنّ قواميس الأسماء الأعلام والتراجم والوفيّات لا تتعامل إلا مع العلم الثّابت المشهور، ولا تهتمّ بالمتحوّل إلى وحدات معجمية. أمّا القواميس الأسمائية فهي تُعنى بالثّابت والمتحوّل من الأسماء، وتعرّفهما تعريفا لغويا وموسوعيا، وتثبت أصلهما، وتؤرّخ لتحوّلها، وتتابع تطوّرهما الدّلالي عبر الزمن.

هذا الاختلاف في مناهج التّعامل مع الاسم العلم في القواميس يؤدّي إلى اختـــــلاف في المقاربات وفي طرق التّعريف، تجلّى ذلك من خلال التّطبيق على مدخل "بوغنفيلي" (bougainvillée) في القاموس العام

الفرنسي "روبار الصغير" *(le Petit Robert : PR1)*، وقاموس أسماء الأعلام الفرنسي "روبار الصغير" (le Petit Robert des noms propres 2002 : PR2) والقامـــوس الأسمائي لمؤلفه ليســاي : J.D.L J.D.Lesay.2000. فقد تشابهت نصوص القواميس الثلاثة حينا وتباينت أحيانا كالآتي :

- (PR1) – بوغنفيلي (1806)، من بوغنفيل وهو اسم ملاّح ورحّالة فرنسي.
  – شجرة متسلّقة ثابتة الأوراق أزهارها ورديّة أو حمراء أو بنفسجيّة.
- (PR2) – الكونت لويس أنتوان دي بوغنفيل .ملاّح فرنسي (1729–1811)...
- (JDL) – بوغنفيلي : اسم مؤنث من الاسم العلم بوغنفيل . يدلّ في نفس الوقت على نبتة متسلّقة تستعمل للزينة في أمريكا الاستوائية، وعلى زهرة هذه النّبتة.
  – ظهر استعمال اللفظ في اللغة الفرنسية سنة 1809 ...
  – الكونت لويس أنتوان دي بوغنفيل (1729–1811)...

اتّفقت القواميس الثلاثة في ترجمة العلم دي بوغنفيل، وجاءت الترجمة مختزلة في قاموس اللغة العامّة (PR1)، بينما طالت في القاموسين الآخرين نظرا إلى طابعهما العلَمي المسمّياتي، إلاّ أنهما اختلفا في التركيز على نوعية الأنشطة التي تميّز بها الكونت في حياته، فقد توسّع (JDL) في الترجمة للمرجع ترجمة وافية، وأكّد أكثر من نظيريه على ظاهرة انتقال العلم من الثّبات إلى التحوّل الدّلالي، فكان تعريفه للمدخل لغويا تأصيليّا تاريخيا ذاتيّا.

2.3.2.5 أصناف الأسماء المحوّلة

تتوزّع الوحدات الممعجمة في القواميس الأسمائيّة على ثلاثة أصناف :

أ- صنف يحافظ فيه العَلَم المحوّل على علاقة متينة قويّة بمرجعه، فيحمل حسب السّياق مرّة على العَلَميّة ومرّة أخرى على التّعميم عندما ينتقل من التّعيين إلى الدّلالة عن طريق المجاز بأنواعه، ويدخل إلى القاموس العامّ ويصبح وحدة معجميّة وتتولّد عنه شبكة من المشتقّات الاسميّة والفعليّة المزيدة بسوابق ولواحق. ويكتسب من الاسم العام خصائص التّعيين كالتّعريف والتّنكير والإشارة من ذلك المثال الفرنسي : (un don Juan, le don Juan, ce don Juan)، وهي استعمالات سياقية وليست معجميّة. ولأنّ هذا الصّنف من الأسماء يحافظ على واقعه العَلَمي ولا يتحوّل نهائيّا إلى اسم عامّ، فهو يرسم بحروف التّاج في لغات غربية كالفرنسية .كما يكثر حاليّا إسناد اسم المنتج إلى الإنتاج في الخطاب الإشهـاريّ قصـد لفت نظـر المستهلك إلى العلامة المشهورة مثـل (Dior) الّذي يتولّد عنه حقل اشتقاقيّ دالّ على مقولة الصّفة هي : (dioresque,diorique,dioraire,diorais). والمجاز يجري في الأصل على الاسم العامّ الحامل لدلالة وضعيّة حقيقيّة، وما كان خاليا من المعنى كالأعلام لا تنطبق عليها ثنائيّة (حقيقة/مجاز). على أنّ الأعلام المشهورة يمكن أن تُمعجم وتصبح دالّة دلالة مباشرة عن طريق المجاز.

ب- صنف متحول تحوّلا معجميّا تامّا، فتضعف العلاقة رويدا رويدا بينه وبين المرجع الأصلي إلى أن ينفصل عنه ويصبح من مكوّنات المعجم العام أو المختص. ويكثر هذا الكمّ الكبير من الأعلام المحوّلة في لغات الشعوب المصنّعة، بينما يقلّ في لغات أخرى كالعربية التي تفتقر إلى قاموس أسمائي، كما تفتقر أيضا إلى قاموس تاريخي. فالأسماء

المحوّلة تكاد تنحصر في مقولتي النّسبة والمصدر الصناعي (مغاربيّ، مغاربيّة).

وبكثرة الاستعمال وطول الزمن تنقطع الصّلة بين العَلَم والوحدة المتحوّلة عنه إلاّ لمن تقصّى وتحرّى عن أصل الصرافم المعجميّة. ومن أمثلة هذه الأعلام المُمَعجمة الملحقة بالرصيد العام للغة نذكر من الفرنسيّة boycotter، poubelle، calepin وتعني تباعا قاطَعَ وحاوية ومُفكِّرة. وكلّما ضعفت علاقة الفرع بالأصل تمكّن اللفظ من المعجم وترسّخ في القاموس العام. ويتمّ التحوّل المعجمي بثلاث طرق ممكنة :

1- التحوّل بالمجاز ومثاله صفة "vandale" بمعنى محارب متهمّج، وهي صفة متولّدة بالمعجمة عن اسم شعب الوندال les Vandales.

2- التحوّل من اسم شخص إلى اسم مدينة عن طريق المسمّياتية l'éponymie، التي كثيرا ما تبنى في العربيّة على مقولة الصّفة. وهي ظاهرة أسمائية توليديّة لها علاقة بالقواميس الجغرافيّة مثل الإسكندرية نسبة إلى مؤسّسها الإسكندر الأكبر (356-323 ق م)، والمهديّة عاصمة الدولة الفاطميّة نسبة إلى مؤسّسها عبيد اللّه المهدي (259 هـ - 323 هـ)، ومدينة واشنطن نسبة إلى جورج واشنطن .

3- اشتقاق وحدات معجميّة من اسم لم يُمَعجم معجمة تامّة مثل تجاحظ يتجاحظ أي تكلّم كالجاحظ، أو donjuaniser، donjuanisme بمعنى تزندق، زندقة. فقد حافظ العلم على وظيفته التّعيينة، وأصبحت له دلالة إيحائيّة أتته من صفاته المشهورة المميّزة.

ت- أمّا الصنف الثّالث من الوحدات المُمَعجمة فهو يتحوّل تحوّلا سياقيا تركيبيا، ويمثّل ظاهرة لسانية ازدهرت في اللغات الغربية في التخاطب اليومي وفي وسائل الإعلام وفي التأليف الأدبي، يكتسب به الاسم العلم معاني مختلفة في النص، ويفقد آنيّا سمات التّعيين والتخصيص

وجزء من الإحالة المرجعيّة، وتتحقّق له دلالات الجزئية والمثالية والتبعيض والكمّ والكيف. هذا التحول مقاميّ تركيبي وليس معجميّا قارّا. ولأنه تحوّل سياقي مجازي فهو يبقى خارج البنية الكبرى للقاموس العامّ والقاموس الأسمائي (انظر الفصل الثالث).

وتمثّل ظاهرة تحوّل الأسماء الأعلام المشهورة إلى أسماء عامّة في اللغة والكلام طريقة معجميّة هامّة تضاف إلى قواعد توليد الألفاظ. فتسهم، وإنْ كان بدرجة أقلّ من التوليد الصّوتي والصّرفي والدّلالي، في إثراء الرّصيد بمفاهيم ومصطلحات جديدة. وتساعد على الاقتصاد في الكلام. فجملة "تجاحظ في كلامه" تعني الكثير لمتكلم العربية لِمَا اتّسم به الجاحظ من فصاحة وبلاغة وتضلّع في اللغة وأسلوب متميّز وإبداع أدبي وعلميّ. فاختزل الفعل "تجاحظ" المحوّل مجازيا كل هذه المعاني . كما دلّت صفة "طفيليّ" على تصرّف اجتماعي غير محمود وسمة مذمومة لشخص بعينه، فكنّي بها كلّ طمّاع وحلّت محلّ اسم الشخص ولقبه، ولكن دون أن تتحوّل تماما من التّخصيص إلى التّعميم. أمّا المصدر الصناعي "ماركسية" فقد اشتق من اسم الفيلسوف الألماني كارل ماركس صاحب المذهب الإيديولوجي والاقتصادي ورجل السياسة المنادي بنبذ الفوارق الاقتصادية والطّبقية والملكيّة الفرديّة، فغزا اللّفظ القواميس العامّة والخاصّة واكتسب إيحاءات إيديولوجيّة واقتصاديّة.

وتنقسم الوحدة المُمَعجمة إلى أنواع، منها ما تحوّل دلاليّا ولم تتولّد عنه جذوع مشتقّة وكوّن وحدات بسيطة مثل mécène بمعنى راعي الكتّاب والعلماء والفنانين، وpoubelle وهي حاوية القمامة. ومنها ما تحوّل معجميّا وتولّد عنه صرفيا جذع اسميّ (bovarysme) ومعناه الفرار من واقع رديء إلى آخر خياليّ وهميّ، وهو اسم متحوّل عن اسم العلم (Bovary)، تولّدت عنه مشتقات من مقولة الصفة (bovaryque-bovaryste). ومنها ما تحوّل إلى تركيب عباريّ expression phrastique

دون أن تتغير مكوناتها شكلا، وهي من صنف المتلازمات اللفظية المتكلّسة (les idiomacités)، تلازمت عناصرها المعجميّة والعلَمية، ودلّت على تجربة المجموعة اللغوية، وكوّنت مدخلا قاموسيا من صنف العبارة المعجمية كان للاسم العلم في بعضها دور رئيسي في الدلالة على المعنى العامّ، لأنّه موضوع الحكاية أو المثل، وهو العامل المحوريّ في الخبر، من ذلك "وافق شنّ طبقة" بمعنى التوافق في الشّدة وغيرها، رتّبه لسان العرب مرّة تحت الجذر (ش.ن.ن) ومرّة تحت الجذر (ط.ب.ق)، وجاء في المعجم الوسيط تحت الجذر (ش.ن.ن).

3.3.2.5 شروط التّحوّل

تخضع الأعلام المحوّلة إلى وحدات معجميّة عامّة والمنتمية إلى البنية الكبرى للقاموس العامّ إلى ثلاثة شروط (لوروي-49 : S.Leroy2004) :

1- تواتر الوحدات المحوّلة عن الأعلام.

2- أهميّة المدخل المحوّل ثقافيا في معجم المجموعة اللغوية.

3- ثراء المشتقات المتّصلة بالعلَم المحوّل الدّالة على مفاهيم عامة يبنى بها حقل دلالي بوحدات بسيطة مثل (marxisme، marxiste، marxisation، marxiser، marxien، marxienne ، marxisant)، أو وحدات مركبة مثل (antimarxiste، antimarxisme، léniniste-marxiste). وتبنى المصطلحات من المشتقات المتولّدة عن أعلام ممعجمة بتضييق المعنى، فتكوّن حقلا مسمّياتيا champ onomasiologique، من ذلك (marxologue) وهو المختص في نظرية ماركس، و(marxologie) ويقصد بها علم النظرية الماركسيّة.

وقد نشطت ظاهرة الاشتقاق من الأعلام المتحولة إلى وحدات معجمية في اللغات ذات النظام الصرفي السّلسليّ les langues à structure concaténative، وهو نظام غير مقيّد، يتحوّل خارجيا بزيادة سوابق ولواحق إلى الجذع الرئيس لتوليد جذوع فرعيّة ذات معان متعددة ومتقاربة ، من مقولات معجميّة مختلفة (الاسم والفعل والصفة والظرف)، كما تبيّنه صفة aphrodisiaque الفرنسيّة الّتي تعني إثارة الشّهوة ، وأصلها الاسم العلم " أفروديت " آلهة الحب. ويتولّد عن الوحدة المحوّلة حقل اشتقاقي يفيد المعنى وضدّه. فيتمّ التّعبير عن معنى التضاد والنّفي بسوابق مثلanti وana، شملت السلسلة ستة مشتقات هي :

(Aphrodisiaque, aphrodisie, aphrodisien, anaphrodite, anaphrodiste, anaphrodisiaque, antiaphrodisiaque).

ولئن ظلّت القواميس الأسمائية غريبة عن الصناعة القاموسيّة العربيّة، فقد عرفت اللّغة ظاهرة معجمة الأسماء الأعلام، فتوزّعت الوحدات المحوّلة على القواميس العامّة كمداخل فرعيّة، وصاحبتها عادة مصادرها العَلَميّة التي تعرّف تعريفا وجيزا ممّا يساعد على ربط العلاقة الدلالية بين الأصل الثابت والفرع المتحوّل. ويتوسّع القاموس أحيانا في استعمال المدخل الممعجم، فيذكر له تراكيب مثل "أشْعَبُ من" و"تجاحظ في كلامه". وتكثر مقولة النّسبة من الأعلام مثل صفة "أشعبيّ" من الاسم أشعب و"الجاحظية" من الجاحظ. ولكن تبقى نسبة الأعلام المحوّلة بالمعجمة في القواميس العربيّة محدودة جدّا، بينما تضمّن قاموس اللّغة العامة (PR1) كل مداخل القاموس الأسمائي (J.D.L).

إنّ معرفة أصل بعض الوحدات الممعجمة المتحوّلة عن أعلام ليس ضروريّا ولا يعكس القدرة اللّغوية لمستعمل الرصيد اللّغوي المشترك، لأنّها وحدات متجذّرة في المعجم والقاموس. وقد قطعت الصّلة تماما مع

مراجعها بفعل الزّمن والاستعمال، مثل شهر أوت (Août) من أوغسط (ق.م Auguste 63A.V) وأطلس (atlas) وبركان (volcan)، بينما تتطلّب وحدات أخرى التّعريف بأصولها لتقريب معناها. فمن لا اطّلاع له على الإنتاج الأدبي العزيز للجاحظ، ومن لم يسمع ببلاغته لا يتبيّن المجاز العقليّ المقصود من الجملة التي سبق ذكرها "تجاحظ في كلامه"، ولا تفيد المشتقات "تعنتر يتعنتر تعنترا" معنى معيّنا إذا غابت الخلفيّة الاجتماعيّة والثّقافيّة والحربيّة للاسم العلم، أصل الاشتقاق، "عنترة بن شدّاد".

الباب الثاني

دلالة الأسمائيّة الأدبيّة

الفصل الأوّل

التّعريف والتّحوّل

1.1- موضوع الأسمائية الأدبيّة

عوملت الأسمائية الأدبيّة l'onomastique littéraire في البداية كفرع من فروع اللسانيات. ثم استقلت بذاتها فأصبحت عِلْما له طرقه الخاصة وإشكالياته ومناهج عمله، تمدّ النّاقد بمعلومات حول دور الاسم العلم في الأثر الأدبي وحول دلالته الإخبارية والتّضمينية ودلالته الرّمزيّة. وتختلف اهتمامات الأسمائية الأدبية عن اهتمامات الأسمائية اللسانية l'onomastique linguistique دون أنْ تناقضها، بل إنّها تكمّلها وتجيب عن عديد الأسئلة التي لا تجد لها اللسانيات حلا كالمعنى والاعتباط والدّلالة الإيحائيّة والدّلالة *الذّاتية. ويمكن القول إنّ الأسمائية اللسانية هي الجانب النّظريّ لدراسة الاسم العلم دراسة معجميّة، والأسمائية الأدبية هي الجانب* التّطبيقي الذي تختبر فيه مقاربات الأسمائية اللسانية العامّة ومناهجها.

يدور موضوع الأسمائيّة الأدبيّة حول فرع من فرعيْ مقولة الاسم، وخاصة أسماء الأشخاص وما تتضمّنه من دلالات في النّص. فتتمّ دراسة الاسم العلم دراسة أسمائيّة على مستويين (لي روي : Leroy, S 2004 : (100

أ – مستوى اختيار الكاتب للرّموز المعجميّة المعيّنة للاسم العلم قبل إرسالها إلى المتقبّل. وهي مرحلة إنجاز التّشفير المعجمي l'encodage lexical، تبرز تصوّر الكاتب للاسم العلم الذي يتخيّره بين كل الأسماء الأخرى. ويتبلور هذا التّصور قبل كتابة النّص عادة أو أثناء كتابته.

ب – مستوى القراءة. وفيه يتمّ تقبّل المتلقي الأثر بأعلامه وحلّ الرّموز le décodage lexical. فالكاتب هو صانع الأثر ومتخيّر أسماء الشخصيات يحدوه في اختيارها ما يكون للأبوين، عند تسمية أبنائهما، من شرعية تفضيل اسم على اسم بطريقة واعية عادة وبدوافع نفسانية واجتماعية ودلالية وعقائدية. وبإمكان الكاتب أنْ يسمّي شخصياته بأسماء أعلام من الاستعمال كمحسن وصالح وأمينة، لِما تثيره في ذهن القارئ من قيم ومعان. كما أنّ عالم الخيال والعجيب يوحي للمؤلّف بأسماء شخصياته.

تتمثّل المهمّة الأساسية للأسمائيّة الأدبيّة في البحث عن الأسباب التي دعت إلى اختيار الأسماء، وتعليل ذلك الاختيار. كما أنّها تنظر في مساهمة الاسم العلم في تأسيس الشّخصية عند المتلقّي، وتقدّم لي روي (Leroy ;101 : 2004) جملة من العناصر اللّغوية والدّلالية في اللغة الفرنسية توظّفها الأسمائيّة الأدبيّة لدراسة الاسم العلم في النّص الإبداعي. هذه العناصر التي تؤسّس للشخصيّة هي الإيقاع الصوتي، والزوائد الملحقة بالاسم، وتأثير الاسم نفسانيا وتاريخيا وجماليّا في السامع، إلى جانب عناصر أسلوبية لا تقل أهميّة عن العناصر اللسانية، كالصّفات الخلقية والسّمات الأخلاقيّة والأحاسيس النفسية للشخصيات.

وتساهم الأماكن الحقيقية، كالأندلس وبغداد وحيفا، فيطبع أحداث السرد بطابع واقعيّ يدل على الانتماء الجغرافي والتّاريخيّ لشخصيات القصة. أمّا إذا كانت الأماكن خيالية موضوعة، فإنّها تخفي وراء بنيتها

الصوتية والصرفية دلالة إيحائية connotative. فالأسماء والألقاب والأماكن موحية ومثيرة للاستفهام ومحمّلة بالمعاني.

2.1. التّحول في الأسمائية الأدبية

يكتسب الاسم العلم دلالته في النّص بعمليّة تحويل دلاليّة تأتيه من أصوله وصيغه اللغويّة قبل تمحّضه إلى العَلَميّة. فيُمَعْجم مَعْجَمة ظرفية نصيّة طارئة discursive أو معجمة دائمة lexicalisation néologique، عبّرت فلوكس عن هاتين الظاهرتين (2005 : 123) بالاستبدال الدلالي عن طريق الأسمائية المجازية بقسميها : العَلَمي المُمَعجم أو الاستبدالي والعَلَمي الاستدلالي أي المحوّل سياقيا (انظر الباب الأول، الفصل الثاني : مفهوم الأسمائيّة المجازيّة). وتتظافر عوامل لغوية ووضعية وسردية تسهم كلّها في بناء الشّخصية وفكّ رموزها. فلولا الصفات التي وصف بها الكاتب شخصية دون جوان Don juan، ما كان للاسم وحده أنْ يوحي بخصائص الشّخصية وأنْ يصبح رمز الإغراء والفتنة والفسوق. وعلى عكس التحوّل الاستدلالي يمكن للاسم العلم أنْ يتحوّل بطريقتين، فينتقل من تعيين العلم إلى تعيين الجنس كأنْ يدلّ الاسم سقراط على الفيلسوف اليوناني المعروف باسم سقراط، أو أنْ يسمّى كلب من الكلاب سقراط. ثم يتحوّل الاسم العلم بواسطة المعجمة إلى اسم عامّ في مثال "إنّه سقراط" أي إنّه فيلسوف. وهو ما يفهم أيضا من مثال صلاح الدين."منقذ بيت المقدس". فقد كان أهالي غزة يصيحون بصوت واحد منددين بالحصار وبغلق معبر رفح "يا مبارك افتح الحدود خلّ صلاح الدين يعود". فلا يغيب عن ذهن أي عربي الرّمز الذي يمثله الاسم العلم صلاح الدين للفلسطينيين والمقصود به "المنقذ" الذي يستنجدون به كلّما أفلتت القدس من بين أيديهم أو كلّما خافوا وقوع ذلك.

1.2.1 – المَعْجمة

لقد جرت العادة في اللغات الطبيعية أنْ تجوّز الأسماء العامة دون الخاصة، فتمرّ من المعنى الحقيقي الوضعي وهو المعنى الأول، إلى معنى أو معان مجازية بقرينة مّا أو لوجه شبه جامع بين المشبّهين. إلاّ أنْ علم الأسمائية اللسانية والأدبية المهتمة بالأعلامية والمواقعية والأسمائية التّوليديّة والأسمائية المجازية تعمل بالاستبدال البلاغي. فتتحوّل بموجبه الأسماء الأعلام إلى أسماء عامة ومفاهيم بقرينة جامعة بين الاسم والمسمّى، قد تكون ابتكارا أو اختراعا أو صناعة أو مهنة أو نظرية علمية أو مذهبا دينيا أو انتماء سياسيا أو مواقف محمودة أو مذمومة تتكون منها علامة لغوية، فتتحول الأعلام إلى مقولات صرفية كالفعل ومنها عقّم pasteuriser، وتنصّر، والاسم شطيرة sandwich، والمصدر التّطفل، أو كالمفهوم الفرنسي le bovarysme، وكالصّفّة حاتمي وأشعبي، والطباع : النرجسية والمغالاة في الوطنية ,narcissisme, chauvinisme.

وحُمل هذا التّجوّز على الأسمائية المجازيّة التي تعمل بالمجاز المرسل والاستعارة والتشبيه في الاتّجاهين. فهي تحوّل العَلَم إلى اسم عامّ أو تنقل الاسم العامّ إلى اسم علم. ويكون التحوّل عادة من اسم الجنس إلى اسم العلم تحوّلا ظرفيا يدلّ على أنّ الشّخص أو الشّيء المجوّز يفوق كل جنسه في الصفة مثل "أحمد أسد". فالاستعارة حوّلت اسم الجنس "أسد " إلى صفة للموصوف ، فيصبح كل من أحمد وأسد كالذّات الواحدة، ولكن الأسد لا يفارق نهائيا سماته الخاصة به، ولذلك فهو ملازم لمقولته ولجنسه.

2.2.1 – الاستبدال

تحلّ الأسماء العامّة محلّ الأسماء الخاصّة، فتتضمّن دلالة إيحائية ظرفية وتصبح صفة (اسم صفة) nom de qualité (Nq) دالّة على الذّمّ أو المدح، وتقوم مقام الاسم العلم، فتصفه، وتتشبّه به، وتخصّصه من ذلك :

اُسْكُتْ يَا كَلْبُ (شرق المتوسط ص45).

كُنْتَ ذِئْبًا عَجُوزًا (نفسه : 47).

هَذِهِ لَحْمَتُكُمْ أَيُّهَا الخَنَازِيرُ (نفسه : 50).

وحتى الأعلام الجامدة كالسفينة كان لها حظ التّشبّه بالاسم العام :

أَشِيلُوسُ... تَبْتَعِدُ بِحَرَكَةٍ ثَقِيلَةٍ تُشْبِهُ رَقْصَةَ دِيكٍ مَذْبُوحٍ (موسم الهجرة : 37).

ولقد أحصينا في "شرق المتوّسط" لعبد الرحمان منيف (2001) كل الأسماء العامّة ذات الوظيفة الوصفية التي حلّت محلّ الأعلام وجاءت في النّص، حسب طبيعة الموضوع، كلّها شتائم وذمّ وتحقير، تحطّ من قيمة الإنسان، السّجين والسّجّان على حدّ السّواء، وتنزّله المنزلة الدنيا. نذكر منها الكنى التي تطلق على شخصيّات الرواية :

- يَا كَلْبُ أو يَا ابْن ض الكَلْبِ (15 مرة) : لفظ يُعيِّر به السّجّان السّجين السّياسيّ.
- قِطّ (6 مرات) : دلّ على الوداعة مرّة وعلى العداء مرة اخرى.
- خنزير(5 مرات) : شتيمة يتبادلها الجلاّد والضّحيّة لما يتضمّنه الاسم من إيحاء بالوسخ والتقزّز.
- ثرو(5 مرات) : دلالة على غطرسة الجلاد وبلادة فكره.
- ذئب (4 مرات) : كناية عن الجلاّد وما يتّسم به من صفات المكر والخداع.
- طيور(4 مرّات) : توحي بهجرة أرض الوطن، رمز الحرية والانعتاق.
- بقرة (3 مرات) : القوة والغباء.

- ديك (مرتين) : إيحاء بالتّيه والخيلاء.
- وحش (مرتين) : قسوة الجلاّد.
- جرو (4 مرات) : دلالة على كثرة المخبرين والجواسيس، ودلالة على الاحتقار.
- سمكة (مرتين) : إيحاء بالسّقوط، بالانزلاق.
- هرّة (مرتين) : معنى الوداعة.
- حمار (مرة) : استعملت في النّص بمعنى اللاّمبالاة والصّبر على العذاب.
- جمل (مرة) : رمز الصّبر والقوة.
- نحلة (مرة) : علامة على الحركة الدائمة.
- ذبابة (مرة) : إيحاء بضعف الضحية أمام جبروت الجلاد.
- حيوان (مرة) : شتيمة.
- غزال (مرة) : وداعة ، وهي سمة السّجين السياسي.
- نعجة (مرة) : تعبر عن جبن الجلاد.
- جرذ (مرة) : الضّعة والحقارة.
- ببّغاء (مرة) : رمز لاعتراف السّجين ، التّقليد دون تفكير.
- تمساح (مرة) : التوحّش، الغدر والشماتة.

إنّ جلّ هذه الأسماء القيميّة (فلوكس.N. Flaux 2005 : ; 36) قد وُظّفت لغرض تضميني سلبيّ تحقيريّ، فحلّ الاسم العامّ، ممثّلا في جنس الحيوان، محلّ الإنسان العاقل. وصاحبته قرائن توضيحية كالنعوت والمشيرات المقاميّة، كما تبيّنه الأمثلة التالية :

- كُفُّوا عَنْ هَذَا المَرَضَ أَيُّهَا الثِّيرَانُ (شرق المتوسط : 56).

- وَأَنْتِ يَا أَشِيلُوسُ الهِرَّةُ هَلْ تُرِيدِينَ شَيْئًا (نفسه : 125).

- مَاذَا يَسْتَطِيعُ هَذَا الخِنْزِيرُ أَنْ يَفْعَلَ (نفسه : 131).

ويَقبل الاسم العلم كالاسم العامّ إيحاء تضمينيّا بدلالة تحقيرية أو تعظيمية أو لغرض السّخرية كأنْ نقول :

- أحمد طفيليّ.

- زياد أشعبيّ.

- زيد حاتميّ (وهو بخيل).

- عمرو عنترةُ زمانه ! (والحال أنّه جبان).

وتتصرّف الأسماء المستبدلة بلاغيّا عن طريق الأسمائية المجازية جنسا وعددا مثل أشعبيّ وطفيليّ وحاتميّ وعنتريّ وغيرها من الأمثلة، فتكتسب الأسماء الأعلام دلالات إيحائيّة تتحوّل بها جنسا وعددا مثل :

- الأشعبون أحمد وزياد وزيد.

- الطفيليات فاطمة وعائشة وخديجة.

ولأنّ الاسم العلم محوّل تحويلا معجميّا، فهو يعامل معاملة المفهوم داخل السّياق، وتنطبق هذه الملاحظة على أمثلة عديدة مستبدلة استبدالا عَلَميا ممعجما في اللّغة الفرنسيّة مثل Pierre est : « Dét+Npa » l'harpagon de la famille بمعنى : بيار بخيل العائلة. وقياسا عليه يمكن أنْ نقول :

- أحمد جحا القسم(=ذكيّ).

- زيد أشعب القوم (=طمّاع).

- عمرو حاتم العائلة (=كريم).

- زياد طفيلي الحي (=نهم، طمّاع).

- محمد سليمان عصره (=حكيم).

ولا يتحقّق التحوّل البلاغي والمعجميّ للاسم العلم بالانزلاق الدّلاليّ من الحقيقة إلى المجاز، وبالانتقال من الاعتباط إلى الاستدلال كما هو الشأن مع الوحدة العامّة، وإنّما يكتسب العَلَم بالمعجمة دلالة تأتيه من خصيصة مشهورة أساسيّة مسيطرة على حامل الاسم، فتصبح تلك الخصيصة، إلى جانب وظيفة التّعيين والإحالة إلى المرجع، دالّة على مفهوم مخصّص ودليل عامّ.

ولقد خلت رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" (1994) للطّيب صالح من هذه الظاهرة الطريفة أو تكاد، فلم تشتمل إلاّ على صنف الأعلام المشهورة التي لا تتّضح أصولها ولا يتجلى للقارئ ما تتضمّنه من معان يمكن تأويلها وربط دلالتها بدور الشّخصية. فهي شخصيات استثنائية توصف بصفات يحتاجها المتكلم في مقام معيّن للتّعبير عن أفكار توحي بها بعض الأسماء الأعلام المتحوّلة عن طريق المجاز المرسل والاستعارة والتشبيه، كما جاء في قول البطل "كأنّني شهريار رقيق (...) صادف شهرزاد متسوّلة"، تلميحا إلى دور المرأة المنقذة (ص55)؛ أو للدلالة على الكثرة "الكنوز التي في الغرفة هي كنوز الملك سليمان" (ص 109)؛ أو عندما يصبح اسم أبي نواس مرادفا للخمرة ورمزا لها، "جعل من الخمر رمزا حمّله جميع أشواقه الرّوحية" (ص 134).

الفصل الثاني

وظيفة الاسم العلم ومحدّداته أدبيا

يقوم الاسم العلم في الأسمائية الأدبية بوظيفتين أساسيتين في نفس الوقت هما التّعيين والتّحديد أو التّصنيف la classification. وتختلف درجتهما باختلاف الأشخاص. فالعَلَم يعيَن بالإشارة شخصا بذاته، وهو يحدّد حامله اجتماعيّا ولغويّا ومقوليّا (الجنس والعدد والاسم واللقب والكنية). وكلّما تقلّصت مساحة التّعيين والذّاتية، اتّسعت مساحة التّحديد والتّصنيف. فالنادل والحارس والبستاني أسماء مهن تشير إلى طبقات اجتماعية أكثر ممّا تخصّص فردا معينا. ويصبح الاسم بالانتقال من التّخصيص إلى التّعميم دالاّ على شخصيات نموذجية طرازية prototypique ممثلة لقسم الفرد غير المعرّف. وتشمل هذه الظاهرة في الرواية شخصيات هامشيّة ثانويّة عابرة لا تقدَم عنها معلومات ولا تصنَّف تصنيفا اجتماعيا، فتبقى خارج الأحداث الكبرى (غرانجي G. Granger 1982, 66 : 106).

لقد اخترنا مجموعة من النّصوص الأدبيّة لنطبّق عليها نظرية الأسمائية الأدبية، وهي "موسم الهجرة إلى الشمال" للطّيب صالح (1994) و"الشّحاذ" لنجيب محفوظ (بدون تاريخ) و"شرق المتوسط" لعبد الرحمان منيف (1993) وقصيدة "الجدارية" لمحمود درويش (2001) و"برق الليل" للبشير خريف (2000). وأولَيْنا رواية "موسم الهجرة إلى الشّمال" اهتماما كبيرا لتكون المدوّنة الأساسية لعملنا، لأنّها رواية الأسماء الأعلام بامتياز.

فقد تضمّنت عديد الأسماء العربية والأجنبية، وازدحمت فيها الشخصيات والأماكن ازدحام الأحداث، وتنوّعت بتنوّع الحضارات والبيئات، وانتحلت الشخصية الرئيسية فيها عديد الأسماء، مما يدلّ على أنّ للأسماء الأعلام دورا هاما جدا في الإبداع الأدبيّ. فالكاتب يدقّق في انتقاء الأسماء، ويهتمّ بأصولها اللّغوية التي تولّدت عنها. فهي تخفي وراءها السّر في اختيارها دون غيرها، سرّ يتّضح كلّما تقدّمنا في قراءة الرّواية.

إنّ رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" تمثّل موضوع تفكير هامّ حول الاسم العلم، وحول الذات التي يوجد الاسم العلم من أجل التّعريف بها، ويساعد على تركيزها وتثبيتها.

1.2 – أهداف التّكرار

أسهم تكرار الأسماء الأعلام (مصطفى سعيد 155 مرة، ودّ الريس 99 مرة...) في ترسيخ الاسم العلم، وفي استرسال السّرد وتواتر الأحداث، وفي بناء الشخصية. ويمثل التّكرار في الأعمال السرديّة كما يقول رولن بارت (1915–1980) ظاهرة أدبية ذات قيمة اقتصادية تمكّن من تجميع عديد المعلومات حول الشخصية الواحدة التي تحمل نفس التسمية في أكثر من أثر (رولن بارت R. Barthes 1970 : 101)، وتساعد القارئ على متابعة الأحداث والاستئناس بالأعلام المتكرّرة. فتكرار الاسم العلم يؤكّد ثباته في السّرد، ويُعَدّ من العوامل التي يتحقّق بها ترابط النّص وتماسكه. كما أنّ تكرار العَلَم يكسبه قدرا من الدلالة (جيميناز P. P. Jimenez 1994 264).

وتختلف أهداف تكرار الاسم العلم الإشهاري عن الاسم العلم الأدبي، كما أنهما يختلفان في الشكل. فيتكوّن الاسم الإشهاري من مجموعة من الرّموز les sigles، ويأتي مسبوقا بأداة التّعريف أو غير مسبـــوق بها. فالهدف من تكرار الاسم في نصوص الدّعاية والإشهار هو ترسيـــخ القـــدرة المرجعيّة التّعيينيّة la compétence référentielle

dénominative لدى القارئ وتنبيه ذاكرته. فلا حديث عن دلالة الاسم العلم الإشهاري، لأنّ وظيفته تعيينيّة. ولقد أرجعت شنيدكير (K. Schnedecker) (1994 : 31-312) موضع الابتداء الذي يحتله الاسم العلم في النص الإشهاري إلى الأسباب التالية :

1- سبب نفسانيّ عرفانيّ psycho-cognitif : إنّ تموضع العَلَم في بداية النّص الإشهاري ليس بريئا. فتأثير الكلمة والاسم والجملة في الذّاكرة كبير متى احتلت المحلّ الأوّل من الملفوظ، لذلك يبقى ترسيخ الألفاظ الأولى أسهل في الذّهن، كما أنّ لبداية النّص موضعا استراتيجيا يقوّي من آليات التّنبيه إلى الاسم العلم موضوع الدعاية.

2 - سبب لسانيّ : للمبتدأ صدارة الكلام ، غرضه كما يقول عبد القاهر الجرجاني في*دلائل الإعجاز* (103-105) "إفادة تقديم المسند إليه التأكيد والقوة". ويكثر تصدّر الاسم للنّص أو الجملة في المدح، والإشهار. وهو ضرب من مدح المنتوج لتأكيد جودته وضمان نتيجته وعدم الشّك في قيمته. فالهدف من تقديم الاسم العلم هو التأكيد والتمجيد والمدح والافتخار. وكلّها من أغراض النص الإشهاري حتى لا يكون الكلام "بمعرض الشك" (نفسه : 104). فابتداء الكلام الإشهاري بالاسم العلم غرضه جلب الانتباه إلى السلعة التي من أجلها وضع النّص الدّعائيّ. وقد قال الجرجاني عن المبتدأ "الكلام البليغ هو أنْ تبدأ بالاسم وتبني الفعل عليه" (نفسه : 105). والابتداء "ينبني عليه الكلام" (خالد ميلاد 2001 : 57)، وهو "إثبات كون" أو "إثبات وجود نسبة بين مسند ومسند إليه" (نفسه : 59). ويقصد خالد ميلاد بالمبتدأ الاسم المتصدّر للكلام والمعرّى من كلّ العوامل اللفظية، أي الابتداء المحض (نفسه : 211)، لأن الإثبات لا يحتاج إلى علامة. فالابتداء بهذا المعنى ابتداء محض، وهو إخبار تختلف درجات ثبوته قوة وضعفا (نفسه : 212). ومن وسائل تقويته وتأثيره في السّامع تخصيص موضع الصّدارة له وتكراره.

3 – سبب دلاليّ : ويتمثّل في وجود ركائز نصيّة تحيل إلى الاسم العلم وتعتبر من الحوافز المعنوية التي ترفع الغموض والإبهام عن الاسم العلم موضوع الإشهار. فإضافة لفظ "مرْهم" إلى اسم الدواء PEC على سبيل المثال يذلّل صعوبة التّوصّل إلى معرفة موضوع الإشهار. وإلحاق الاسم العامّ "قهوة" بالاسم العلم "جاك فابر"Jacques Vabre يزيل اللّبس والخلط بين المنتج والإنتاج. إنّ أسماء الدّعاية اعتباطية متى لم تخضع للتفسير أو التّفصيل. وهي ذات حوافز متى دلّت على أسماء أصحاب الإنتاج، كنوع السيارات مثل بيجو وفورد Peugeot وFord، أو أسماء الأماكن التي تطلق على قوارير مياه الشّرب مثل عين القارصي وصافية وكوتين وفولفيك (volvic).

2.2 – تعريف الشخصية الأدبية

يعرّف فرنسيس كوربلان الشخصية القصصية بأنّها متتالية لسانية تحيل إلى علم خيالي للأشخاص أو الأماكن (كوربلين : F. Corblin 1983 198). ويمكن لهذه الشخصيات أنْ تعيّن بالاسم العلم أو بالضمير العائد أو باسم الإشارة أو بالمركبات الاسمية الوصفية، فيتحدد دورها في النّص بالتّعيين والإحالة والتّعريف والوصف. ولأنّ الاسم العلم في النّص الأدبيّ وليد أحداث الرّواية ونتاج الخيال الإبداعي، فإنّه ينطبق عليه تعريف كريبك Kripke"بالمعيّن المتحجر" le désignateur rigide (كريبك .S. A Kripke 1992). وهو متصلّب لأنه يعيّن نفس الشّيء في كلّ الحالات. وعَلَم الأدب معيّن حادث وعرضي، يساعده الوصف الذي يضفيه الكاتب عليه في تثبيت ذاته وتوضيح مرجعه بمجموعة من الخصائص التي تسند إليه وبأحداث خياليّة يتكوّن بها عالمه. وهو عالم من وضع المؤلف ليس حقيقيا ولكنه ممكن، تتحرك فيه الشخصيات كما كان بالإمكان أنْ تتحرك على مسرح الحياة، خارج النص، في ظروف مشابهة تماما لها. وهذا العالم الممكن كما يقول كوربلين (Corblin ; 200 : 1983) ليس كوكبا

غريبا. إنّه عالم متكون من أحداث متتابعة تتابعا منطقيا بأسلوب وصفي دقيق، ومتضمنّة لأعلام تعيّن أشياء ممكنة، شأنها في ذلك شأن الأعلام في العالم الحقيقي. فلا فرق بين العالمين إلاّ في ثبات الصنف الأول وتحوّل الصنف الثاني. ولا فرق بين علَم الواقع وعلَم القصة، فأحدهما معيّن متحجّر يعيّن الأشياء في الكون خارج النّص، والثاني معيّن متحجّر أيضا ولكنّه وليد فكرة ابتدعها المؤلّف، فهو يعيّن كائنات خياليّة داخل النّص بآليات لسانية وأدبية ودلاليّة. فلا يتغير اسم البطل إلاّ إذا أراد له المؤلف التّستّر والتّمويه كما فعل الطّيب صالح بمصطفى سعيد في لندن.

والاسم العلم المنصوص عليه في عالم الخطاب مِلْك لمبدعه، ولكنْ يجوز إعادة استعمال الاسم المعيّن في الرواية "le désignateur du roman" في نصّ آخر أي في الخطاب النّقدي والخطاب التّحليلي. فتظل الإحالة إلى الاسم العلم واحدة، ولكن يكشف عن مراجعها خارج النص فتفكك الرموز التي تلفّ الشخصية ويرفع عنها الستار وتذاع أسرارها التي أراد لها الكاتب الكتمان حتى يستمتع القارئ بحرية تأويلها وبلذة العيش معها في عالمها خيالي.

ويجـــوز للشخصية الأدبية أنْ تصبح ذاتا لأكثر من مرجع في أكثر من أثر بالتقارن الإحالي une co-référence، فتقارن شخصية مشهورة مثل Emma في رواية فلوبير "السيدة بوفاري" بشخصية Marie بطلة "التربية العاطفيّة" *l'Education sentimentale* لنفــس الكاتب فلوبير G. Flaubert (1821–1880) لما يجمع بين الشخصيّتين، في قراءة الناقد، من أوجه شبه كما يبينه المقطع الموالي : " تمثل ماري بمفردها لفريدريك ما يمثله العالم الغامض الخيالي لآمّا : عالم سعادة " (كوربلين 1983 : 204 ; F. Corblin). ولكنّ العرف الأدبيّ يقتضي أنْ تباح حرية تأويل الأحداث وشخصياتها لدى القراء والنقاد والمبدعين في اللحظة التي يصرّح المؤلف بوجودها، فيصبح لا سلطان له عليها.

وقد يبدو استعمال الشخصيات خارج الخطاب الأصلي غير جائز، لأنّ هذه الطريقة في التعامل مع الأسماء وأصحابها خارج إطارها الإبداعي تعود إلى سببين متكاملين :

- تعيين الشخصية الأدبية في النّص النّقدي وكأنّها فرد من أفراد العالم الحقيقي .
- تعيينها وكأنّها من صنع النّاقد أو الشّارح (نفسه 204).

إنّ حزمة الصّفات، بتعبير أصحاب النّظريّة الوصفيّة، التي يوصف بها مصطفى سعيد، بأنّه "الأنكليزي الأسود" و"رجل ربعة القامة" و"الرجل الأسود الوسيم" ... تدعّم سمات الشخصية وتثبّت الإحالة، ولكنّها لا تقوم مقام الاسم العلم إلاّ متى اشتهر لدى عامّة النّاس، ولا تعوّضه، ولا ترادفه. فتبقى الأعلام معيّنات متحجّرة ، بينما تمثّل أوصافها معيّنات غير متحجّرة، وهو الجانب الدّلالي لهذه الأعلام. فالاسم العلم واحد وأوصافه عديدة وحادثة ولكنها ذاتية وممثّلة لحزمة صفات خاصة به.

3.2 – آليات التعيين

إلى جانب الأوصاف، توظّف اللغة وسائل تعيين أخرى داخل السيـــاق تحيل بها إلى الأسماء الأعلام وهي العناصر الإشارية اللّفظيّة les déictiques القريبة في عملها الإحاليّ المقاميّ النّصّي من الأعلام وهي : ضمير المتكلم وضمير المخاطب وضمير الغائب، واسم الإشارة الإحاليّ النّصيّ "هذا" واسم المكان "هنا" واسم الزمان "الآن". وهي مشيرات مقامية وروابط مقاليّة تربط الخطاب بالمقام أو بالمقال، وتشير إلى وضعية التّخاطب فتحدّد ذات قائله ومتقبّله ومقامه ومكانه وزمانه وموضوعه، وتصل الكلام بالكلام، فتكسبه دلالة ومرجعا. وقد لا يكون لبعض العناصر دور رابطيّ وإنّما يتمثّل دورها في انسجام النص.

وتتلخّص محدِّدات الخطاب في أطراف التّخاطب وأهمّها المتكلّم "أنا" باعتباره مركز القول، والمتقبل المخاطب "أنت"، وهو خفي في نصّنا غير مصرّح به. أو ربّما هو القارئ الذي بدونه لا يقوم خطاب، وأمّا ضمير الغائب فهو في "موسم الهجرة إلى الشّمال "موضوع الخطاب يمتزج مع أنا المتكلم. فإذا غاب أحدهما حضر الآخر. وتتحدّد الأبعاد الزّمانية والمكانية (الآن/هنا) في المدوّنة، ولكنّها تختلف تاريخيّا وجغرافيّا وحضاريّا ولسانيّا، كالخرطوم والقاهرة ولندن، وكالحقبة القرطاجنيّة والإسلامية والأندلسية، وعهد الحماية الفرنسية أو الإنغليزية وغيرهما من فترات الاستعمار، وحاضر السّودان والأمّة العربية. أمّا الزّمان الضّيّق فيتراوح بين طفولة مصطفى سعيد وشبابه وكهولته. وتضاف إلى أطراف التخاطب التي هي أعلام وضمائر، وإلى الأبعاد الزمانية والمكانية عناصر إشارية مقامية مثل "هذا".

وتجمع بين المحدّدات الأساسيّة، وهي الضمائر والإشارة والاسم العلم، علاقة قرابة وتماسك، فتخدم المحدّدات العلَم في النص وتربطه بالسياق وتجمع أطراف الخطاب. وقد قسم كوربلان العناصر الإشارية إلى قسمين يشتمل القسم الأوّل منهما على قرائن مقامية إحاليّة كالحركات الإيمائيــة والإشارة التي تعوّض العناصر اللسانية وتتضمّن اسم الإشارة في وضعيّــة تعيين مباشر أطلق عليه كوربلان اسم القرائن الإشارية les déictiques démonstratifs، وضمّنها كل أسماء الإشارة. وأما القسم الثاني من المشيرات المقاميّة مثل ضمير المتكلم" أنا" فقد سمّاه الإشاريات الخالصة Les déictiques pures، وهي تقوم مقام العلَم وتعمل بوسائل لسانية وتحيل إلى المرجع دون أنْ تتطلّب إشارة.

وتمثّل الذوات من أعلام وصفات إحالة معجمية مباشرة لأنّها عناصر اسمية غير مبهمة، تحيل إلى موجود في الكون. ولكنّها عناصر لا تتساوى تماما في الإحالة بسبب اختلاف نوعية التّعيين. أمّا الضمائر

وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة، فإحالتها المعجميّة غير مباشرة. فهي تحمل على التشارك الإحاليّ لأنّها تشترك مع الاسم العلم والصفات في الإحالة على مرجع واحد، إلاّ أنّها تحتاج إلى مفسّرات مقاميّة وأخرى مقاليّة تدعّم إحالتها إلى موجود بعينه في الكون. ويذهب صاحب المقال إلى أنّ الإحالة العائدة l'usage anaphorique أهمّ في الاستعمال القصصيّ من الإحالة القبليّة l'usage cataphorique، لأنّها تعود على مذكور سابق في السياق (F.Corblin 1983 :201)، وتتكوّن من أداة التّعريف العهديّة الذّكريّة التي تتضمّن الرّبط العضويّ بين جمل النّص، فمصحوب أداة التّعريف معهود يعاد ذكره مقترنا بالألفّ واللاّم كما جاء في قوله تعالى ﴿ أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً، فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ﴾ (المزمل73، 15-16). ومن عناصر الإحالة البعديّة أيضا الضمائر بمختلف أشكالها، واسم الإشارة، والاسم الموصول، والتّكرارالمعجميّ، بينما الإحالة القبليّة تحيل إلى ما سيأتي لاحقا من المراجع، ويستعمل لها ضمير الشأن والجمل التي تفيد التّكرار قصد التأكيد.

وللمركبات الاسمية ذات الوظيفة المرجعيّة دور في تأسيس الخطاب والرّبط بين عناصره. فالمركبات النّعتيّة التي وُصف بها المؤلف مصطفى سعيد هي تعابير تعيّن فردا في النّص وتميّزه عن غيره. فهو بتعبير عبدالرحمان منيف "الانكليزي الأسود" و"آلة صمّاء" و"قربة منفوخة". كما وصف البطل بمركبات شبه إسنادية مثل "أنبغ تلميذ في أيّامنا" و"معجزة في ذلك الوقت"، وكل هذه التراكيب تعيّن فردا في النّص وتقوم مقام الاسم العلم، فهي حزمة أوصاف تقوم مقام الاسم العلم ظرفيّا.

وتختلف المركّبات الاسمية الوصفيّة بهذا المفهوم عن الضمائر وأسماء الإشارة، لأنّها تصف مراجع بعينها، بينما تستعمل العناصر ذات الإحالة المعجمية غير المباشرة في مراجع مختلفة لأنّها من اللغة وليست من الكلام. وإنّ الحديث عن الرجل "الأسود" أو "مصطفى سعيد"، هو

حديث عن نفس المرجع وذكر لخصائصه. فالعلاقة التي تجمع بين الرجل الأسود ومصطفى سعيد علاقة لسانية أي علاقة اشتمال super-ordonné بانضواء hyponymie (كوربلين : 203 : F. Corblin 1983). ولكنّها تصبح علاقة عرضية accidentelle في الكنى مثل "الدكتور" و"الحاج" و"رئيس اللجنة" و"مهندس القرية". وبالتالي يقوم نظام التّعيين في النّص الأدبي على ضربين من المعيّنات (نفسه : 204) :

– معيّنات متحجّرة des désignateurs rigides، وتمثّله الأعلام والضمائر البعديّة.

– معيّنات غير متحجّرة : des désignateurs non rigides، وتتضمّن الأوصاف والمركّبات الاسمية والإشارية. وتتنوّع المعيّنات غير المتحجّرة حسب رأي كوربلان (F. Corblin)، فهي أساسية أو حادثة، وهي ممكنة أو محتملة، وهي عابرة أو مطّردة. إنّها تفريعات تحلّ محلّ اسم الشّخصيّة لتجنيب النّص ثقل التّكرار المملّ ولخلق المفاجأة، فتنوب الضمائر والمركبات الاسمية عن العلَم وتقرّبه من القارئ. ومثال ذلك من مدونة "موسم الهجرة إلى الشمال" ما يبينه المقطع التالي :

"قَطَعَ مُصْطَفَى سَعِيد مَرْحَلَةَ التَّعْلِيمِ فِي السُّودَانِ قَفْزًا. كَانَØ بِالفِعْلِ كَأَنَّهُ يُسَابِقُØ الزَّمَنَ. وَبَيْنَمَا ظَلَلْنَا نَحْنُ بَعْدَهُ فِي كُلِّيَّةِ غردون، أُرْسِلَØ هُوَ فِي بَعْثَةٍ إِلَى القَاهِرَةِ وَبَعْدَهَا إِلَى لُنْدُنْ. كَانَØ أَوَّلَ سُودَانِيٍّ أَسْوَدَ يُرْسَلُØ فِي بَعْثَةٍ إِلَى الخَارِجِ". (ص68).

تقوم الصّفات مقام الألقاب، فتخصّص الاسم العلم وتزيده تعيينا، فهي جزء من الاسم، ويكتب حرفها الأوّل في الفرنسية بحرف التاج une majuscule، مثل الدكتور مصطفى (Docteur Mustapha). فهي مركبات يصبح فيها العلَم تابعا لمتبوع – مبدل منه – دالاّ على درجة علْمية أو مهنية أو منصب سياسي، أويصبح متبوعا لتابع – بدل –. فالعلاقة التي تجمع التابع بالمتبوع في المركب، بغضّ النّظر عن موقعهما، هي علاقة

تبعيّة، دورها إثبات العنصر الأول في صنف (صفة+عَلَم)، ودورها في الصنف الثاني (عَلَم+صفة) إثبات العنصر الأول من المركب البدلي. فالعَلَم يقوم في الصنفين بوظيفة مرجعيّة وليس بوظيفة تحديديّة (كريستين جوناسون K. Jonasson, 1994 : 86). فهو يحيل إلى شخص واحد معروف من المتقبل. إنّ العلاقة التي تجمع بين "الدكتور" و"سعيد" هي علاقة تجاور.

وترى جوناسون (نفسه : 86) أنّ الاسم العامّ يمثّل رأس المركّب، كما في عبارة "الدكتور مصطفى سعيد"، ولكن كلّ مكوّن من مكوّنيّ المركّب مستقل، وهما مرجعان مشتركان يتكوّن بهما مركب اسمي واحد. ولئن كنا نرى في الأسماء الأعلام المسبوقة أو المتبوعة باسم جنس أو بصفة اتّباعا، فإنّ الدراسات المهتمّة بنحو الاسم العلم تميّز بين العلاقات التّركيبيّة والدّلالية لهذه الأعلام المركّبة. فإذا كانت العلاقة الجامعة بين الاسم العلم والاسم العامّ علاقة انتماء واشتراك إحالي co-référentialité، فيمكن لكلّ منهما أنْ يعوّض الآخر دون أن يفسد المعنى أو البنية التّركيبية. أمّا إذا قامت العلاقة بين الاسمين، العَلَم والعامّ، على سمة "عدم الانتماء" وعلى الانفصال المرجعيّ بين العنصرين مثل معاهدة فرساي، فلا يمكن أنْ يتبادلا المواضع أو أنْ يقوم أحدهما مقام الآخر، لأنّ التّعيين يبقى عامّا وغير مخصّص. وقد وقفت جوناسون (نفسه : 1994، 87) عند اختلاف الرّوابط بين صنفي المركّبات، فأسندت سمة الكينونة l'être للصنف الأوّل أيْ الذي تجمع بين مكوّناته علاقة انتماء، ووسمت الصنف الثاني بانعدام الكينونة le non être. فلا يُعدُّ تلازم المكوّنين مع الصنف الأول ضروريا، لأنهما مستقلان ومتساويان في الإحالة وكأنهما اسم ولقب، يتجاوران لتكوين اسم كامل فتتحقّق الوظيفة المرجعيّة بذكرهما معا أو بذكر أحدهما ، كما تبينه الأمثلة التالية :

1 – الدكتور مصطفى سعيد بطل موسم الهجرة إلى الشمال.

2 – مصطفى سعيد بطل موسم الهجرة إلى الشمال.

3 – الدكتور بطل موسم الهجرة إلى الشمال.

هذه الحرية في توزيع عناصر الصنف الأول غير ممكنة مع مكونات الصنف الثاني من المركبات الاسمية التي لا تشترك عناصرها في نفس المرجع إذا فصلت. مثل رحلات ديسكوفري والحروب البونية ومعاهدة فرساي. فالجمع بين الاسم العلم فرساي، والاسم العامّ معاهدة عادة ما يكون ضروريّا حتى لا يلتبس الفهم. ومن ذلك (جونسون، 1994 : 87) :

1 – أُبرمت معاهدة فرساي.

2 – أبرمت المعاهدة.

3 – *أبرمت فرساي.

تعني معاهدة فرساي في (1) حدثا تاريخيا محدّدا فهو عهد تمّ إمضاؤه سنة 1919 عند نهاية الحرب العالميّة الأولى. بينما تفيد المعاهدة في (2) الحضور والإطلاق لا التّخصيص والتّحديد. أمّا فرساي في (3) فهي تفقد بانفصالها عن "معاهدة" في البنية التركيبية الاسمية "معاهدة فرساي" المعنى المقصود بها، فتتّسم باللاّمعنى الذي أشير إليه بالرمز (*).

الفصل الثالث

دلالة الاسم العلم الأدبي

1.3 – اكتساب الإيحاء

يكتسب الاسم العلم في النص الأدبي مدلولا يصبح به علامة قادرة على الدلالة وإفادة المعنى، ولا يبقى مجرّد علامة تلصق بصاحبها لتعيّنه وتشير إليه كما هو الحال في علاقة الاسم العلم بالمرجع خارج السّياق. إنّه يصبح في النّص مثقّلا بالإحالات ومحمّلا بالدّلالات، بل لعلّ وظيفة التّعبير عن المعنى لا تتحقق خارج النّص، ففيه يعيش حامل الاسم وبداخله يتحرّك، وكلّ الأعلام كما يقول بوديل Baudelle نقلا عن الألماني تيميانور (J. Tymianor) لها معنى في النص، وهي تفيد شيئا مّا (بوديل Y. Baudelle 1989 : 19). فشخصية عمر في رواية "الشحّاذ" (1965) التي تمثل مع مجموعة أخرى من روايات نجيب محفوظ المرحلة الذهنية من كتاباته، تبدو غارقة في "الإيحاء والرمز"، فهي رمز للفناء وليس للتّعمير والحياة على عكس ما يدلّ عليه الاسم معجميّا. يقول الصادق قسومة (1992 : 48) "يلازم الرمز أغلب أركان الرّواية حتى ليظهر من خلال الأماكن ذات الإيحاء القوي (كالصحراء والسجن...) أو من خلال الأشياء (كالزنبقة والخمر...) أو حتى في أسماء الشخصيات ذاتها : فوردة – مثلا– اسم على مسمّى لأنّ شذاها سيأسر حواس عمر – في البداية– لكنها لا تلبث أنْ تذوي، فتُقتلع من نفسه "وكأنّها زهرة صناعية". أمّا ابنه فقد سمي سميرا حتى "يحميه اسمه من الضجر". إنّ الأبعاد الرّمزية للاسم

العلم لا تأتيه من عالم الحقيقة بل من عالم المجاز، ولا تحيل إلى المراجع والأشياء أي إلى الكون الملموس المعيش بل تحيل إلى الأفكار والأخيلة والخواطر. وهذه الأبعاد الرمزية تستبطن حقائق الشخصية وتوظّف طرقا لسانية وأدبية لتحقّق التّكامل بين التسمية والسرد. ولا يتحقق هذا التكامل إلاّ معجميا من خلال مكونات الاسم المعجمية والصرفية.فيضيف النّمط الصّيغيّ معنى خاصّا إلى الاسم كحسن وحسّان وحسين. وهي معان لغوية مدروسة وقف عندها المؤلف وفضّل بعضها عن بعض.

وتختفي وراء الاسم العلم هويّة الشّخصية الأدبية وعوالمها المتضاربة وحركاتها الباطنية. فالاسم يعيّن ذات الشّخصيّة الروائيّة التي تصبح بتطوّر السرد ذوات متعددة تبحث عن حقيقتها وتعبرّ عن معاناتها وقلقها الوجودي. فالاسم العلم يساعد، بالغوص في العالم الباطني للأحداث، على استجلاء خفايا العالم الخارجيّ، من ذلك أنّ أزمة عمر الرّوحية في "الشّحاذ" تعكس أزمة طبقة بورجوازية في مصر تنسحب من الحياة العملية الإيجابية وتغرق في عالم الأحلام والأوهام. فعمر، بطل الرواية، انتقل من رمز للحياة والتعمير الذي دلّ عليه اسمه ودلّ عليه واقعه، إلى رمز مناقض، هو رمز ضياع العمر، فأصبح لايحيا ولا يعمّر، بل يهدّم ولا يبني، ويسعى إلى وضع حدّ لوجوده لما يشعر به من قلق ومن تدهور حالته النفسية نتيجة الفراغ ونتيجة فقدان معنى الحياة. فانغمس في التّسليات الرخيصة الزائفة والحياة السلبية، ثم فرّ من المجتمع وفضّل العزلة الخانقة والعزوف عن الدنيا. فكانت نهاية عمر أنْ استهدفته رصاصة طائشة كان من المفروض أنْ توجّه نحو مجرم يشكّل خطرا على حياة البشر. فعُمر يحمل في اسمه دلالة التناقض، إنه بمَا حمّله الكاتب له من أحداث، لا يتناسب مع معنى مشتقّات الجذر (ع.م.ر)، الذي يتركب منه اسمه. فهو كما يقول عنه الصادق قسومة "يطلب للحياة معنى ذهنيّا مطلقا تنصهر فيه كل جوانب الذات وقضايا الوجود. ورغم ما في

هذا الموقف من تأمّل وسّع رحاب التفكير، فإنّ غموض المنطلقات والتّهويم في مجالات الذهن قد حرما عمر الثوابت الضرورية لتحديد معنى الحياة" (قسومة 1992 : 101)، وما بهذه الصفات ينجح المرء في بناء العمر. فالشخصية على عكس اسمها قد فشلت في تحديد معنى لحياتها، وسرعان ما وضعت حدا لوجودها لأنّ منزعها ليس منزعا وجوديّا، فهي تجري وراء سراب وتتجاهل الواقع. وقد يناسب الاسم في التّأليف الأدبيّ مسماه وقد يناقضه. وهو أسلوب يختاره الكاتب ويهدف من ورائه إلى إبلاغ رسالة لا تحقّقها الضمائر والإشارة، وإنما يحقّقها الاسم العلم بما يحمله من معنى وضعي أو تاريخيّ، فربّما يفكّر القارئ قبل تطوّر الأحداث في صلة مّا بين اسم بطل الرّواية "عمر" واسم عمر بن الخطّاب تعطيه بعدا عميقا.

نستنتج من تحليل شخصيّة عمر بالتّركيز على الدّلالة المعجمية والتّاريخيّة أيضا للاسم، أنّ المعنى الذي يوحي به الاسم العلم في الآثار الأدبية يأتيه أوّلا من مرجعه وما يتميّز به من خصائص وتصرّفات وطباع تمثّل ذات الشخصية، ويأتيه ثانيا من حزمة السمات اللغوية ذات الدّلالة المعجمية. فاسم عمر يوحي بسمات دالة أو معيْنمات des sèmes تمثّل المكونات الدّلالية الدّنيا وهي في مثالنا (+حياة) (+إيجابية) (+وجود) (+بقاء)... وكلها سمات تتناغم مع البقاء لا الفناء. ولكنْ شاء لها واضعها، أي الكاتب، أنْ تتحوّل من السّمات العامّة الإيجابيّة التي يحملها الجذر (ع.م.ر) في الدّلالة على البقاء، إلى سمات سلبيّة تتلخّص في العبث واللاّمبالاة والفناء. وهذه السمات المعجميّة تكتسبها الشّخصيات من عالم الخيال، وهو عالم القصّة، فيطابق الاسم العلم مرجعه. وسواء تعلّق الأمر بالواقع أو الخيال فما من اسم علم لا يعني شيئا للسامع والقارئ وخاصة الاسم في الأثر الأدبي. فهو كالاسم العلم العادي يدلّ بالتّعيين والتّخصيص، وتتبلور أكثر إمكانياته السّيميّة في "الإبداع القصصي

والشعري، " (بوديل18 : Y. Baudelle 1988). يمكن أنْ نقول إنّ الاسم العلم ليس خاليا تماما من الدّلالة ولا يمثّل مجرّد وسم une étiquette يشار به إلى الشّخصيات. وإنّ اختيار الاسم العلم في النّص القصصي ليس من محض الصدفة وليس اعتباطيّا وغير واع وغير متبصّر، وهو ما يبرهن على عدم وجود أسماء غير دالة، فكل اسم يظهر في النص يمثل دليلا بداله ومدلوله ومرجعه. وتعد أسماء القصص والأفلام خيالية، وهي في الحقيقة "أكثر دلالة من أسماء الأشخاص الواقعيين" (فكسلير J.L. Vaxelaire 2005 : 387)، لأنّها مع التّعيين والإشارة والنّداء تحمل مفاهيم وأفكارا وإيحاءات ورموزا. فهي كما ورد في كتاب "الأسماء الأعلام" لفكسلير، وهمية وخيالية ولا تتسم بالجدية والتصلب اللّذيْن توسم بهما الأعلام الحقيقية، لذلك يوظّفها الكاتب لبناء شخصية الرّواية ولسْير أحداثها (نفسه : 387).

إنّ اسم العلم الخيالي أو الحقيقي ضروري، لأنّ وجود حامله يتحدّد به ويثبت هويّته.فمن لا اسم له لا وجود له. والدّليل على ذلك أنّ الجلاّد يعمد إلى طمس هويّة السّجين وإنكار ذاته وإذلاله، بتعويض اسمه برقم نكرة مجهول لا يحمل علامة من علامات الهويّة ولا يخبر عن خصائص الأفراد التي تسمَّى وتعيَّن ولا ترقَّم. إنّ الغرض من تجريد الإنسان من اسمه هو تجريده من ذاته ككائن اجتماعي حي، ومن إنسانيته وتفرده، فمن لا يعيّن يمّحي ذكره.

2.3 – الدّلالة الوضعيّة

عادة ما تكون الأسماء في النّص الأدبيّ محمّلة بالدّلالات المعجميّة أو الاجتماعيّة، وتكون مثيرة للاهتمام، قد درسها المؤلف حتى أصبحت مستجيبة لحاجيات السّرد، فيختارها بكلّ تروّ وتحكّم خدمة لأحداث القصّة. وقد وضع الكاتب الفرنسي رابلي Rabelais (1483–1553) اسم شخصيته الرئيسية غرغنتيون (Gargantua) عنوانا لمؤلفه، واستعاره من

تراث الجنوب الفرنسي، وهو يعني النّهم الشّره الأكول. وكثيرا ما تنتقل بعض هذه الأسماء، بسبب اشتهارها وما لدورها من أهمّية في الأثر الأدبي، إلى رموز وأسماء عامة دالّة على أفكار ومفاهيم مثل un gargantua أي شخص نهم، وun don juan أي زيرنساء وزنديق، و un tartuffe أي منافق. وقد يوحي تقريب الأصوات المكوّنة للاسم العلم والاسم العامّ مثل (بوفاري / Bovary) بمعنى أراده الكاتب لشخصية البطل الضعيفة الساذجة، بواسطة التلاعب بأصوات اللّفظين والتقريب بينهما لفظا ومعنى. فالإيقاع الصوتي المشترك بين الاسم العلم بوفاري (Bovary) والاسم العام bovin الذي يدل على جنس من الماشية هي الأبقار، فيه إيحاء تهجيني وتلميح إلى الغباء. يقول فاكسلير Vaxelaire نقلا عن لوكليرك Leclerc الذي أوحت له الدّلالة الإيحائية لاسم بطل قصة السيدة بوفاري بما يلي "يوجد شيء من البلاهة في شارل بوفاري" (2005 : 187). فلفظ الاسم قد يوحي بمصير الشّخصية. والشّخصيات الإيحائية على سبيل المثال أسماء دلالتها غير واضحة بسبب قدمها، تلفّها عتمة وعدم شفافية، لغير الباحث المتبصّر، ولكنها تحمل دلالة من واقعها التاريخي أو الميثولوجي. فالتأليف الصوتي لأسماء مثل نفرتيتي أو تزوس لا يوحي بأيّ دلالة للقارئ العربي، وكذلك بنيتها الصرفية ومضمونها الدّلالي، لأنّها ليست من المعجم العربي، ولكنّها تخفي وراءها دلالات تاريخية وميثولوجية وقيما أخلاقية ومقاييس جمالية وشاعرية وإلهية، وهي معطيات يدل عليها واقع الاسم. فالاسم العلم مثير للاهتمام، واختياره من داخل اللغة أو من خارجها يكون لهدف دلاليّ أساسا. فقد عنون الكاتب الفرنسي فولتير (Voltaire,1694-1778) أقصوصته باسم الشخصية المحورية زاديغ (Zadig) (1747)، وهو اسم مقترض من العربية من صيغة اسم الفاعل "صادق" الذي يفيد في العربية والعبرية أيضا الصّادق والحكيم والمعتدل. وهي صفات صدق لصيقة بشخصية زاديغ (Zadig) بطل الأقصوصة. وقد أكّد مبروك المناعي في نفس السّياق على أهميّة

الاسم في الشعر وعلى تحكّمه في قافية قصائد الرثاء والهجاء والمدح والغزل. يقول عن الممدوح "...عملية التّسمية - بل التّسمية الكاملة المدقّقة للنّسب – مسألة أساسيّة في المدحيّة لارتباط "الاسم" "بالذكر" وبوظيفته الاجتماعية الاقتصادية والوجودية" (568 : 1998).

ويتضمّن الاسم العلم دلالة، ويقترن بكثافة ثقافية opacité culturelle، ويحيل إلى مجتمع وحضارة وجنس ودين معيّن. فالأسماء العربية في الرواية الفرنكفونيّة تجعل القارئ غير العربي يتبيّن أصل الكاتب. فلا يخفى عليه انتماء الشخصيات إلى محيطها العربي الإسلامي في رواية الطاهر بن جلون (1944) : "موحى المجنون، موحى الحكيم" (*Moha le fou, Moha le sage*)*(1978)* . فالاسم "موحى" تصغيرلمحمد ويعني في الاستعمال المغاربي التّودّد. أمّا سندباد ويامنة في "صلاة الغائب" (1981) (*La prière de l'absent*)، فهما من التّراث والاستعمال العربيين؛ وكذلك أسماء شخصيات رواية "طفل الرّمل" (1985) (*L'enfant de sable*) زهرة وأحمد وفاطمة. وإنّ اختيار اسم نجمة عنوانا لرواية كاتب ياسين (1929–1989) الشهيرة "نجمة" (1956) (*Nedjma*)، يؤكد مرة أخرى أنّ تسمية الشّخصيات ليس اعتباطيّا، بل هو ركن من أركان فنّ السّرد. فكما أنّ الكاتب مطالب بدراسة الأطر الزمانية والمكانية للأحداث، فهو مطالب أيضا باختيار الأسماء الأعلام المناسبة للشخصيات لبناء أحداث القصة وتطوّرها. فالاسم العلم يحمل في النّص الأدبي شحنة دلالية إيحائية connotative. ويعدّ انتقاء الكاتب له أو وضعه أو حتى اقتراضه بحثا عن المعنى ورغبة في ربط الشخصية المحوريّة أو الثانوية بحقائق اجتماعية وحضارية ولغوية. إنّ اسم العلم لا يقلّ أهمية في الرواية عن المكان والزمان والأحداث. فالشخصيات التي لا اسم لها لا معنى لها، وهي شخصيات عرضية أو ثانوية غير مؤثرة في وقائع الرواية، أو هي شخصيات لا يؤهلها وضعها الاجتماعي لأنْ تعرّف باسم علم، فتبقى نكرة

مجهولة لا وجود لها كذات وكهوية، ولا معنى لها. ومثال ذلك الخدم أو الشخصيات الهامشية التي تعيّن في القصة بأدوارها وليس بأسمائها، فتلحق بها أداة التعريف الجنسية كالنادل والبستاني والسّائق. بينما للكاتب الحقّ في أن يعوّض الاسم الصّريح لشخصيات السّيرة الذّاتية بالضمير الغائب في كامل النّص، أو باسم جنس "كالفتى" أو "الفتى الشيخ" في الأيام (1978) لطه حسين (1889–1973)، دون أن يتحوّل أصحابها إلى نكرات فاقدة للمعنى. وجاء على لسان مولينو (فكسلير66 : J.L. Vaxelaire2005) أنّ كل كلمة أو جملة قابلة لأنْ تتمحّض إلى العَلَميّة الاسميّة مثل "يخدع الموت" Trompe-la-mort و"ذو العين الواحدة" N'a-qu'un-oeil، ومثل الأعلام العربية سرّ من رأى وتأبّط شرّا وجاء وحده. أو كما جاء في أمثلة مولينو (نفسه : 66). فكلمات المعجم من أسماء جنس وأفعال ومقولات صرفيّة مختلفة تحتمل التّحوّل إلى العَلَمية وتحمل معها بنيتها الشّكلية والدّلاليّة (نفسه : 66).

ويعتبر التّضاد من الدّلالة المعجميّة الهامّة في تطوّر الأحداث، كما رأينا في اسم عمر بطل "الشّحاذ"، وكما سيتّضح من اسم برق الليل الشخصية الفكاهية في رواية "برق الليل" (2000) للكاتب التونسي البشير خريف (1917–1983) التي تروي قصة خادم أسود، شديد السّواد. فالعلاقة بين الاسم والمسمّى علاقة مجازيّة. وقد ولّد عدم التطابق بين الاسم والمسمّى عنصر الفكاهة، فأصبحت الشّخصية مألوفة لدى القارئ والمتفرج التونسي. فما من إضاءة إلاّ في الأسنان البيض لهذا الزّنجيّ. إنّه سواد تنيره من حين إلى آخر ابتسامته كما يضيء البرق الليل الدّاجن. ومثل برق الليل، يرمز جحا في الأدب العربي إلى الحيلة والفكاهة. أمّا شخصية أشعب الخالية من الدّلالة ككلّ الاسماء الأعلام، فقد اكتسبت دلالتها من جشع صاحبها وطمعه حتى أصبح اسمه يرادف الطمع فيقال "أطمع من أشعب". كما حلّت صفة الطفيلي محل الموصوف، فكني بها كل

من يؤم بيوتا وولائم بدون إذن. وفي المثال الأخير تحوّل من الاسم العامّ إلى اسم العلم.

يقول الهادي الطرابلسي إنّ الاسم العلم "يوظّف في النّص الأدبي بأساليب مختلفة تجعله يتجاوز وظيفة التّعيين وتخرجه من مجال الاعتباط إلى مجال التبرير، ومن الاستقلال بالنّفس في الدلالة اللغوية إلى دلالات يساهم التركيب والسياق في بلورتها" (توظيف الاسم العلم في النّص الشّعري .الحوليات 2001 عدد 45 : 26-45). من هذه الدّلالات المكان والزمان، إذ أنّ أسماء الأماكن كقرطاج وروما وكبغداد والأندلس، تربط أحداث السّرد بمواضع معيّنة وبأزمنة محدّدة وبحضارات بعينها. وأسماء الأشخاص كطارق بن زياد والكاهنة البربرية والمعز لدين الله الفاطمي تحيل إلى أحداث تاريخية لأمّة من الأمم وتذكّر بمواقف شخصية وأقوال مشهورة أصبحت لصيقة بذلك الاسم. فاسم الكاهنة اقترن بالوطنية والتضحية والصّمود، وارتبط اسم المعز الفاطمي بتأسيس القاهرة. أمّا اسم طارق بن زياد فيعيد إلى أذهان الصغار والكبار القولة الشهيرة "البحر وراءكم والعدو أمامكم". ويعود بهم إلى ماض زاهر تمّ فيه فتح الأندلس وازدهرت في بلاد الفرنجة حضارة عربية إسلامية تضاهي حضارة بلاد الرّافدين. أ وليست خصائص الأسماء هذه من أوجه دلالة الأعلام ؟

وترى صبيحة بو خلوف (2002 : 71) أنّ للاسم العلم في الثقافة العربية دلالة معجميّة تفتقدها اللغة الفرنسية، ما عدا بعض الأمثلة التي فقدت تأصيلها مثـــل : لي بتي، Le Petit (الصّغير)، لي بلونLe Blond (الأشقر)، لي غـــرون Le Grand (الكبير)، أو ما دلّ في الأصل على المهن مثل بولنجي Boulanger (خبّاز)، ومرسييMercier (تاجر لوازم الخياطة). فالاسم في العربية ذو وجه داليّ تمثّله الأصوات، وذو وجه مدلوليّ وضعي يدل عليه المعنى العامّ الذي يوحي به الجذر والصّيغة. ولكنّ هذا الدّليل لا يطابق بالضّرورة مرجعه، بل قد يناقضه أحيانا. فمن

تدعى جميلة قد تكون قبيحة، ومن يسمّى محسنا قد يكون مسيئا. فالاسم العلم بهذا المفهوم هو، لسانيا، دليل ولكنه ليس اعتباطيا، لأنّه مبرر بعدد من القرائن : بالاختيار والدلالة المعجميّة وبحزمة الأوصاف التي تجعل منه في الأدب الاسم المناسب للشخصية وللأحداث. فدلالة الاسم العلم تأتيه في العربية من السياق ومن مرجعه، وتأتيه أيضا من نظام اللغة الصّوتيّ والاشتقاقي والمعجمي. هذا في مستوى اللغة الواصفة La métalangue، أمّا في مستوى الواقع فلا تطابق خارج النّص بين الدليل والمرجع.

ويوظف معنى الاسم العلم في الأثر الأدبي بتوافق وجهي الدليل مع المرجع، فلا اعتباط في تخيّر الأسماء الأعلام كما سنتبين ذلك من خلال أسماء أهم شخصيات رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح :

يفيد اسم مصطفى بطل القصة معنى "المختار" الذي اصطفاه المؤلف من بين كل الأسماء لغرض فنّي دلاليّ. فمن المفروض أنْ يطابق التعيين المعيّن، ويكون المسمَّى الذي اسمه من أسماء الرسول محمد مثاليا في أخلاقه ومعاملته للغير. ومما يؤكد هذا التناسق بين الاسم والمسمَّى، في المرحلة الأولى من حياته، ما جاء من أوصاف إيجابية لمصطفى. فهو "من أعظم الإفريقيين" (ص67) وهو "أنبغ تلميذ" (ص67)، وهو "المعجزة" (ص68)، وهو "أشهر طالب" (ص68)، وهو الذي لا شيء "يستعصي على ذهنه العجيب" (ص68). كما أنّه الابن الوحيد لأمّه، والمغامر الذي أخذ بزمام الأمور وتسلّم مقاليد المسؤولية بمحض إرادته رغم صغر سنّه، فاختاره الناظر الإنغليزي ليذهب إلى القاهرة، ومن هناك إلى لندن. إنّها أوصاف وأحداث تجعل الشّخصية حقّا مصطفاة مختارة، إلاّ أنها ستنقلب رأسا على عقب فتتقاذفها الأحداث ويتناقض الدّليل مع المرجع. فمصطفى في أنغلترا ليس الرجل المصطفى المختار، وهو في نهاية الرواية ليس الإنسان السّعيد. فلا الاسم يناسبه ولا اللقب ينطبق عليه.

أمّا حسنة الشخصية القريبة من مصطفى سعيد، فهي امرأة منحها الله حسن الخلقة والأخلاق، تحترم زوجها وتحبّ أبناءها. كانت تنعم بحياة هادئة، لكن أنانيّة مصطفى سعيد واختفاءه المفاجئ من حياتها غيّر مجريات الأمور كما غيّر نظرة أهالي القرية إليها. فحسنة الحسناء المطمئنة تحوّلت إلى قبيحة شريرة قاتلة لأنّها رفضت الأزواج بعد اختفاء زوج وثقت به. فتناقض الاسم مع المسمّى لأنّ حسنة ثارت على الأعراف والقوانين المفروضة على المرأة، وتمرّدت على عالم ذكوري يحدّد مصير الأنثى دون استشارتها ورضاها.

ويكتسب الاسم العلم مهاراته الدّلالية داخل النّص، وهذه الدلالة تغيب عن ذهن غير العارف باللغة العربية، بل إنّ المستعمل العربي نفسه لا يفكر في العلاقة الرابطة بين الدال والمدلول التي همّشها الاستعمال بسبب تمحّض الاسم العام للعَلَمية. وإن تأويل معاني الأسماء الأعلام المنقولة، ومدى تأثيرها في ذات الشّخصية الأدبية قد يبدو فيهما كثير من المجازفة والشّاعرية والخيال. ولكنّ اللّغة الواصفة la métalangue التي يستخدمها الكاتب والتي تضبط معاني الكلمات ولا تلقي بها كما اتّفق، وإنّما تختارها عن قصد لتضعها في الموضع الذي أراده لها الكاتب، تبرّر التّأويل وتبيّن سبب التركيز على أسماء دون أخرى. فكلّ النّص يذهب في اتّجاه اقتناء واع ومتبصّر للأسماء وليس اختيارا عشوائيا اعتباطيّا. لذلك فانّ اسم "بنت مجذوب" يوحي معناه اللغوي بالجمال فهي في الرواية شخصية جذابة فعلا لما تتمتع به من طلاقة لسان وحضور بديهة، ولأنها تجرؤ على طرق مواضيع محظورة على المرأة في مجتمع ذكوريّ وفي بيئة بدوية محافظة، وهي مجذوبة بطباعها نحو عالم رجالي لا تحتك به غيرها من نساء القرية. أمّا محجوب فقد نتج عن انقطاعه عن الدراسة مبكّرا حجب كثير من حقائق العالم الخارجي عنه، فظلّ تقليديا في أفكاره ومحافظا في تصرّفاته.

إن المعنى اللّغوي للأسماء الأعلام الذي توحي به البنى الصوتية والصرفية والدلالية، يكشف عن حقائق الشخصيات والأمكنة الموظّفة في الأثر الأدبي. فالاسم العلم ذو خصائص متعدّدة في النّص تعيينيّة ومرجعيّة ودلاليّة، يساعده المعنى المعجمي والمجازي على تحقيق الدلالة التي تأتيه من داله مصدر الدّلالة الماقبليّة a priori، أو من مرجعه مصدر الدّلالة المابعديّة a posteriori (لي روي Leroy, 2004 : 17). فمعاني الأعلام الأدبية هي وليدة الكتابة يمنحها لها الكاتب بالاختيار أو بالابتكار، وتتّضح للقارئ بالقراءة وفكّ الرّموز le décodage. لذلك فإنّ موضوع النص تتداوله الأحداث والشخصيات الأدبية، والاسم العلم المحيل إليها يفوق أهمية الحدث نفسه في السّرد (بارت93 : R. Barthes 1970).

وينقل بوديل عن تينيانوف (بوديل Y. Baudelle 1989, 19) قوله إنّ اسم العلم دالّ في النّص الأدبي ووظيفيّ. فكل الأسماء تمثّل وسما وتحمل دلالة وتختزن معاني ثرية يُرفع النّقاب عنها في الأسمائية الأدبية بالتأويل والقراءة المتمعّنة والتأصيل اللغوي، وبدراسة العلاقة بين مكونات الاسم لغويا، ودراسة طباع الشخصية وصفاتها في السّرد. وهي طرق في التّحليل تختلف عن الوسائل المستخدمة في الأسمائية اللسانية التي تبحث عن أصول الأسماء تاريخيا وتأصيليّا وصوتميا (فنولوجيّا).

3.3 – ما بين الإخبار والإيحاء

يقيّد الاسم العلم الأحداث بشخصياتها متى كانت أعلام إخبار، فتطابق التسميات المسمّى، وتترجم عن واقع الرّواية، وتقرّب الشّخصيات من القارئ، وتكون لها أبعاد فنّية وتاريخية وأخلاقية. فالاسم العلم وظيفيّ في النّص، يعمل بتقريب الأصوات السّيميائية الأدبية la sémiotique littéraire لإثراء الخطاب بإبراز المكوّنات السّيميّة للاسم العلم. (بوديل Y.Baudelle, 1997 : 20). فما هو تسمية من باب الصدفة في العالم الخيالي تتولد عنه معان مقصودة في التأليف ويستعمل لأغراض واضحة

المعالم، فتنسجم الأحداث مع المكونات الدلالية الدّنيا للاسم بتقريب الأصوات من الصورة وتطويع الدالّ للمدلول. فقد يقصد من وجود اسم "قابس" في النّص تأكيد معنى القبس والنور، ويفهم من استعمال اسم "نابل" في النّص معنى النّبل والفروسية، رغم أن التسميّتين ليستا من أصل عربيّ، إذ يعود الاسم الأوّل إلى أصل لوبي بربري takapes، وينحدر الاسم الثاني من أصل إغريقي Néapolis. إلاّ أنّ لخيال الكاتب الخصب الشاسع الحقّ في التّصرف والتّأويل وإعادة التركيب دون أن يكوّن التأصيل والتأريخ واللغة حواجز تمنع من الإبداع، لأنّ ما يعنيه الكاتب هو ما يمكن توليده من معنى توحي به الأصوات والصيغ والصورة، فما يفهم من الاسم العلم "صادق"، أقل درجة في الصدق مما يفهم من "صدّيق"، وإنْ كان توجّه الكاتب ليس في الحقيقة تأصيليّا تقريريّا، ومنطلقه ليس لسانيا خالصا، فتلك مهمّة أسمائية الأشخاص والأماكن التي تولي اهتماما لعلم التأصيل في ميدان الجغرافيا الطبيعية أو في فقه اللغة من مجال اللسانيات. إنّ غرض صاحب النّص إبداعيّ تخييلي جماليّ. فهو يخضع لعامل التخيّر والتخيّل والرمز والإيحاء والتّضمين، ويكون للأسماء في نصه دور الإشعار بواقع الشّخصية وحقيقتها، ويصبح الاسم العلم، إلى جانب الأشخاص والأمكنة والأزمنة، من المحدّدات النّصّية.

وتمثّل أعلام الأماكن عنصرا أساسيّا في الخطاب وضابطا للإطار المكانيّ الذي تجري فيه أطوار الأحداث، فتكون حقيقية أو خيالية وهمية من صنع المؤلف. وفي كلتا الحالتين فإنّ لها دورا وظيفيّا في طبع الأحداث بطابع تاريخي أو خرافي أسطوري أو واقعي.

وقد لا يعيّن المكان الذي تدور فيه الأحداث تعيينا جغرافيا مضبوطا، فيشار إليه بالتّعميم كما في "موسم الهجرة إلى الشمال"، فهو "القرية" و"المدينة" و"البلد"، وهو في مكان مّا من السودان. وقد لا يصرّح بالاسم لغرض سياسيّ، فتبقى الأحداث صالحة لكل مكان من الوطن

العربي كما في "شرق المتوسط "لعبد الرحمان منيف (1993 : صفحة ظهر الغلاف) حيث يمتد المكان "مِنْ ضِفَافِ البَحْرِ الأَبْيَضِ المُتَوَسِطِ شَرْقًا حَتَى أَعْمَاقِ الصَّحْرَاءِ البَعِيدَةِ..." بما فيها من "بِنَايَاتٍ صَفْرَاءَ رَهِيبَةٍ وَأَدْمَاسٍ وَأَقْبِيَةٍ وَأَنْفَاقٍ وَبَقَايَا أَجْسَادٍ شَابَّةٍ وَخَنَاجِرَ، تِلْكَ هِيَ بِلاَدُ شَرْقِ المُتَوَسِّطِ" التي تدل عليها عديد الدّلائل والقرائن الموحية، وأهمها الأسماء الأعلام كرجب وأنيسة وهدى ووليد، وهي مشتركة بين تونس والجزائر والمغرب ومصر وسوريا وغيرها من البلدان العربيّة. اشتراك في الأماكن والأعلام والأنظمة السّياسيّة حسب ما يفهم من "شرق المتوسّط" !

واعتبرت نيكول (E. Nicole 241 : 54 ،1983) أن للاسم ثلاث وظائف أساسية داخل السّرد وخارجه هي التّحديد والتّصنيف والدّلالة. وينتج عن اتّحاد الوظيفتين الأوليين ظهور الاسم العلم القصصي. ويستعمل كل من الخطابين الحقيقي والخيالي الوصف، وإن كان في الصنف الأول حسب نيكول E. Nicole منمذجا stéréotypé ومنحصرا في صيغ وفي تراكيب نداء أو تسميات دالّة على الانتماء الاجتماعي والعمري مثل الدكتور والبنت والولد. ومهما اتّسع خيال المتكلم العاديّ فإنّه لا يقارن بخيال المتكلّم السارد العارف بأحداث الرّواية والواضع لأحداثها، والمتحكّم في صفات شخصياتها وطباعها، والكاشف عن أسرارها.

وتختص الأعلام القصصية أكثر من الأعلام الحقيقية ذات الوجود الماديّ، في التّعبير عن الدّلالة. ولكنّ درجة الدّلالة تختلف أيضا لدى الشخصيات الأدبية باختلاف درجة الحوافز. فالاسم الأدبي لا يخلو من معنى ضروري لبناء الشخصية ولمساهمتها في الأحداث. والدلالة الإيحائيّة إذا لم تتجلّ معجميّا من خلال التّأليف الصّوتيّ المكوّن للاسم أو من خلال الأوصاف، فيُمكن أن تكون دلالة شاعرية كامنة في صوامت الاسم وصوائته، يكشف عنها التأويل كما في اسم"غرغنتيون" Gargantua

الذي قد لايفيد شيئا للقارئ الفرنسي المعاصر غير المطّلع على أصول اللفظ وعلى تراث قديم كان للاسم فيه معنى من أجله اختاره الكاتب.

ولا يعني هذا الطّرح تجريد الاسم العلم العاديّ مثل عفيف وعبير من المعنى. فإنّ وسائل التّعبير عن الدّلالة تختلف من صنف إلى آخر، فالتّسمية la dénomination بالاسم الحقيقي هي تعبير عن معنى التّعيين والتّخصيص والنّداء، والدلالة على المعنى متعلقة بما وراء اللغة أي اللغة الواصفة la métalangue وليس بعلاقة المرجع بالدّليل. إنّ الاسم الحقيقي يبقى دالاّ معجميا في مرحلة الدلالة الماقبلية ويفتقد هذه الخاصية في مرحلة الدلالة المابعدية. فكلّ أشكال التّسمية من اسم ولقب وكنية وأوصاف وتراكيب نداء إنما هي دالّة على الوضعية الاجتماعية. فتقام بين أوجه التّعيين المختلفة وبين حامليها علاقة حقيقية كالانتماء والنّسب والألقاب العائلية والاجتماعية، أو علاقة مجازية كالكنى والأوصاف. ويمثّل الاسم واللقب ذاتين لنفس الفرد : ذاتا خاصّة يمثلها الاسم ، تدل على التّفرد والذّاتية، وذاتا عامّة يعبّر عنها باللقب أو الكنية تدل على انخراط الفرد في المجموعة الضّيّقة وهي العائلة وفي المجموعة الواسعة وهي المجتمع اللّتان تكتمل بهما ذاتيته (ليفي ستروس Levi-Strauss 1990 : 218). وفي هذا السياق يؤكد العالم الإناسي ليفي ستروس Levi-Strauss (1908–2009) في كتابه "الفكر المتوحّش" la pensée sauvage (220–218، 212 : 1990) الوظيفة التّعيينيّة للاسم العلم من خلال دراسة لتسمية الأفراد في المجتمعات البدائية، ولكنّه تعيين دالّ " une désignation signifiante". فالاسم بهذا المفهوم دالّ بطرق متعدّدة : بالتّعيين والتّحديد والنّداء والانتماء الجماعي إلى العائلة والجماعة والعشيرة. ففي هذه المجتمعات يعتبر الاسم جزءا من التّسمية العامّة ومِلكا للرصيد التّعيينيّ المشترك الذي اصطلحت عليه المجموعة. فهي تختار من محيطها البيئيّ ما يبدو لها موحيا بشخصية المسمىّ عن طريق المجاز المرسل، فتسمّي

المولود "عيون الذّب اللّماعة" من باب علاقة الجزء بالكل، ولاحتكاك هذه المجتمعات احتكاكا مباشرا بعناصر الطّبيعة.

ويعبر الاسم العلم عن عقلية فردية وأخرى جماعية. فأمّا الأولى فهي عقلية مانح الاسم أو الكنية. وأمّا الثانية فهي عقلية مانحي الاسم العائلي. وتتضمن الكنية دلالات إيحائيّة ثقافية واجتماعية تتكون للسامعين عن المكنى، لذلك يرى ليفي ستروس أنّ الاسم يعرّف ويدل بطريقتين متكاملتين (1990 : 218).

– مانح الاسم يعرّف حامل الاسم ويخصّصه ويعيّن الطبقة الاجتماعيّة والعصر اللّذين ينتمي إليهما المسمِّي والمسمَّى. فالاسم دالّ دلالة فردية ذاتية على الطبقة الاجتماعية والزّمن والمستوى الثقافي لمن اختار الاسم ، بينما يدل اللقب دلالة جماعية.

– مانح الاسم يعرّف بذاته انطلاقا من الاسم الذي منحه لغيره، لأنّه يكشف عن ثقافته وذوقه وعقليته ودينه وانتمائه السياسي. فهو يحدّد ذات الآخر عندما يسند إليه اسما ويعرّف في نفس الوقت ذاته انطلاقا من تحديده لذات غيره.

إنّ الأسماء الأعلام محفّزة مثيرة للاهتمام في الرواية، موجّهة للأحداث، محمّلة بشحنات دلاليّة وتاريخية وثقافية كما في روايات جرجي زيدان، متعدّدة الأغراض والأهداف كما في قصص نجيب محفوظ ذات المنحى الاجتماعي الواقعي، وكما في الكتابات التجريبية لعز الدين المدني... فأسماء شخصيات القصص والروايات المصرية كمدحت وصفوت وعليات التي هي من أصل تركيّ تتضمن إيحاءات برجوازية أرستقراطية، تقابلها أسماء أبناء الطّبقة المتوسطة والفقيرة مثل عدويّة وسَنِيّة وبَدوية ومحجوب وشَلَبيّة بإيحاءاتها الشعبيّة الريفية والصعيدية الكادحة.

ويتوصّل القارئ بنفسه إلى الكشف عن هذه الإيحاءات والدّلالات، وأحيانا يتدخل الكاتب ليشرح خبايا الاسم ويبرر اختياره له. نلاحظ ذلك في مقطع رائع للكاتب الفرنسي زولا(E.Zola(1840-1902 من أقصوصته ز. ماركاس Z. Marcas، فقد أبدع في تفسير حرف الزّاي (Z) الذي يبدأ به اسم بطله (فكسليرJ.L. Vaxelaire نفسه : 680). يقول زولا *"كان بين الاسم والمسمّى ضرب من التناغم والانسجام، فتلك الزاي Z تسبق (اللّقب) ماركاس Marcas، وقد كانت تشاهد على عنوان رسائله، ولم يكن يغفل قطّ عن إبرازها في إمضائه. ذلك الحرف الأخير من الألفبائية الفرنسية، كأنه يمدّ العقل بشيء من الحتميّة لا أدري كنهه. ماركاس ! أعد على مسمعك هذا الاسم المركّب من مقطعين. ألا تجد فيه دلالة شؤم ؟ ألا يبدو لك أنّ الذي يحمله ينبغي أنْ يكون في محنة وعذاب ؟ ورغم ما في هذا الاسم من غرابة وتوحّش، فإنه حقيق بأنْ يورّث للأجيال القادمة. فهو حسن التركيب، يسير النطق، فيه ما ينبغي من الإيجاز في الأسماء الشهيرة. أليس هذا الاسم ليّنا بقدر ما هو غريب ؟ ولكن ألاَ يبدو لك مبتورا ؟ أودّ ألاّ أتحمّل مسؤولية إثبات أنّ الأسماء لا تأثير لها البتة في المصائر. فبين أحداث الحياة وأسماء الرجال هروب من التّوافق السّرّي الغامض أو صنوف من التنافر الواضح التي تفاجئنا فتكشف عن مظاهر تفاعل يبدوبعضها بعيدا عن بعض، ولكنها ناجعة".* (زولا : ز. ماركاس309 : E .Zola : Z. Marcas, 1966).

لقد أمدّنا زولا، من خلال هذه الوقفة الطويلة عند اسم بطله على عديد المعلومات عنه. فهو شخصية غامضة غموض حرف الزاي في رسمه، غريبة الأطوار، تتسم باللاّمبالاة والاستسلام للحتميّة. وهي مزيج من عديد الصفات المتضاربة كالرّقة والتّوحش والتّعقيد والإيجاز والغربة والشّهرة والتّوافق والتّنافر والسّرية والغموض. كلّ أطوار الشّخصية قد تمّ اختزالها في اسمها بل في الحرف الأول لذلك الاسم (Z). فالاسم والمسمّى

حسب زولا نتاج واحد يجمع بينهما مصير واحد، بل إنّ الاسم الأدبيّ بهذا المفهوم يحدّد مصير حامله، وإنّ قيمته الفنّية ودلالته المعجميّة ذات تأثير كبير في بناء الأحداث والمعاني لا نزاع فيه.

وواصل رولن بارت (Roland Barthes ,1970 : 103-104) تحليل هذا الحرف الذي يتصدّر اسم شخصيّة أقصوصة زولا Zola، فقارنه باسم زولا الذي يبدأ بحرف الزّاي(Z)، وبغيره من أسماء الشّخصيات القصصيّة المشهورة التي تبدأ بنفس الحرف فيتشابه مصيرها. فالزاي غالبا ما يكون في وسط الكلمة منقلبا عن السين. فهو يتأرجح صوتميا بين السين والزاي كما في الاسم سرّسين (SarraSine) التي تنجز سرّزين (SarraZine). هذا التماثل الصوتي بين حرفي السين والزاي الذي يكوّن صوتيا زوجا متقابلا في السمة المميزة وهي [+جهر]، [−جهر]، فيتبادلان الأماكن دون أن يكون هذا التبادل وظيفيّا، بل هو مجرّد بديل حرّ نطقيا. وهو ما يفسر تلازم الزوج الصوتمي (S/Z) الذي عنون به رولن بارت كتابه الشهير حول السرد وفنونه وقضاياه. فدرس حرف الزاي دراسة صوتية وخطية، ليخلص من خلال الوصف والتّحليل إلى دراسة نفسية الشخصية التي تقترن بها. فالزاي صوتيا حرف التبادل والتحويل والتماثل. فهو لذلك حرف منحرف انحراف حامله ماركاس (Z. Marcas). وهو يبدو في شكله وطريقة رسمه، حسب قراءة بارطية لسرّزين، قاسيا كالسّوط الحادّ القاطع أو كالحشرة (نفسه : 104). هذا الحرف بشكله المختلف عن حروف الألفباء الأخرى ذات الشّكل المدوّر المستدير، يقوم كحد الشفرة، مائلا وغير منسجم، فيقطع ويعترض السبيل ويخطّط خطوطا غير مستقيمة. صورة حرف الزّاي في تماثله وتعرّجه الشبيه بخطوط الحمارالوحشيّ، قال عنها زولا نفسه إنها كالمتوحّش المتمرّد. ألا يكشف هذا الوصف لحرف يأتي في بداية الاسم عن أهمية اسم العلم القصصي ، وعن الدور الذي ستلعبه الشخصية في تطوّر الأحداث، وعن المصير الذي أراده

الكاتب لها باختيار ذاك الاسم دون غيره. هذا الاختيار لاسم متكوّن من حرف واحد، أو بذكرحرفه الأوّل، هو اختيار غير معتاد، وهو اختيار مصيري بالنّسبة إلى شخصية الأقصوصة، تكمن وراءه حوافز، لعلّ أهمها حافز الرسم وما يوحي به من نزوات الشخصية واضطراب حياتها دلّ عليها تكسّرها وانعراجها. فشكل الحرف (Z) أوحى صوتميا وشكليّا بالمدلول وبنفسيّة الشّخصية. إنها مقاربة شاعرية مجازية تخييلية لتحليل الأسماء الأعلام نشأت عنها علاقة سيميائية بين العلامة وصاحبها.

جاءت شخصية ز. ماركاس (Z. Marcas) للكاتب زولا غامضة في دلالتها غموضها في دالّها، على عكس شخصيات أخرى بدت واضحة المعنى، شفافة الدّلالة، أراد مؤلفها ألاّ يعسر فهمها على القارئ. فيسمّي الكاتب الشخصية الرئيسية باسم هزلي مرتجل، ويصنعه ليناسب الأحداث. مثل برق الليل للبشير خريّف، فهي شخصية فكاهية تتصف بصفات خُلُقية وأخلاقية يصبح بها الاسم العلم "برق الليل" كناية عن الإفريقي الزنجي، وعن الطباع البسيطة والتصرّف التّلقائيّ العفوي والتفكير الساذج البريء. هذا المحيط الهزلي ابتكره المؤلف بعملية تلاعب بالألفاظ وتناسق بين مكوّني المركب الاسمي الذي جمع بين وحدتين معجميّين متضادين : "برق" وهو يدلّ على اللّمعان والنّور والضّياء و"الليل" وهو موح بالظّلام الدامس وانعدام النور. فالاسم قد صيغ حسب مواصفات صاحبه، وطبع بطابع هزلي مضحك. تولّد الضحك عن علاقة المضاف بالمضاف إليه. فهي علاقة تضادّ وتخصيص. فالاسم العلم جاء في مقام الفكاهة شفّاف الدّلالة، مطابقا معجميّا لصفات حامله، ومخالفا لما يعرف باعتباطية العلاقة بين الدّليل والمرجع، وعدم مناسبة الدّال للمدلول، واقتصار الاسم العلم أساسا على التّعيين والتّحديد والإشارة دون الدّلالة. فدلالة العلم تجلّت أوّلا في التّعيين، وثانيا في الفكاهة، وثالثا في المضمون الدّلالي لجزئي الاسم المركّب"برق الليل"، ورابعا في نطق حرف القاف نطقا بدويا يعدّ

مستهجنا في الأوساط الحضرية بتونس. فكل هذه العناصر هي من السمات المميزة المكونة لدلالة الاسم العلم "برق الليل" داخل الإطار الرّوائي الذي يتحرّك فيه البطل.

ويبلغ تحليل محمود درويش للاسم العلم قمة الإبداع والشاعرية. فيصبح العلم دليلا كاملا، بل إنّ كل حرف من حروفه متقّل بالمعاني البليغة : فالحروف المكونة لاسم "محمود" تولّد المعاني وتراقص الأحلام. يقول درويش في *الجداريّة* (2001 : 102–103) :

وإِسْمِي، وإنْ أخطأتُ لَفْظَ إِسْمِي
بِخَمْسَةِ أَحْرُفٍ أُفُقِيَّةِ التَّكْوِينِ لِي :
مِيمُ/المُتيَّمُ والمُيَتَّمُ والمُتمِّمُ مَا مَضَى
حَاءُ/ الحَدِيقَةُ والحَبِيبَةُ، حَيْرَتَانِ وحَسْرَتَانِ
ميمُ/ المُغَامِرُ والمُعَدُّ المُسْتَعِدُّ لموتهِ
المَوْعُودُ مَنْفِيًّا، مَرِيضَ المُشْتَهَى
وَاوُ/ الوَدَاعُ، الوَرْدَةُ الوُسْطَى،
وَلاَءٌ لِلْوِلاَدَةِ أَيْنَمَا وُجِدَتْ، وَوَعْدُ الوَالِدَيْنِ
دَالُ/ الدَّلِيلُ، الدَّرْبُ، دَمْعَةُ
دَارَةٍ دَرَسَتْ، ودَوْرِيٌّ يُدَلِّلُنِي وَيُدْمِينِي/
وَهَذَا الاسْمُ لِي...
وَلأَصْدِقَائِي، أَيْنَمَا كَانُوا، ولِي

4.3 – متى يصبح العَلَم دليلا ؟

تبدو أهمية الاسم العلم في الأثر الأدبي أنّه يتحوّل إلى علامة ولا يبقى مجرّد إشارة أو ملصقة تلصق بصاحبها فتعيّن دون أنْ تدلّ كما شاء لها التّصور السّائد من بيرس إلى روسل (بارت 104 : R.Barthes 1970).

فالاسم العلم بشهادة بارت "علامة، هو علامة قويّة، علامة دائما ضخمة وذات عمق دلاليّ كثيف لا يمكن لأيّ عرف لغوي الحدّ منه" (بارت 1970 : 122)، فهو يتطلب في الأثر الأدبي "الاستكشاف" و"فكّ الرموز" وتفسير أحلام اليقظة. والعَلَم في كتابات بروست M. Proust (1871-1922)، سواء كان شخصا أو مكانا، يقوم على مكوّنات سميّة حقيقية (نفسه : 103)، مثل نُزُل غرمنت Guermantes الذي يتضمن اسمه كثيرا من الذكريات والإحالات والمعاني اكتسبها من ماضيه وطابعه العمراني المتميّز. إنّ الاسم عند بروست يمكن أنْ يملأ ركنا كاملا من التّعريف في القاموس (نفسه : 104).

لعلّ هذا الكلام الصادر عن رولن بارت يعدّ أكبر شهادة على عمق دلالة الاسم العلم وعلى دوره في الأسمائية الأدبية. ويبدو هذاالعمق الدّلالي من خلال مختلف الأدوار والصّور التي تتقمّصها الشخصية في الرواية. فاسم مصطفى سعيد بطل "موسم الهجرة إلى الشمال"دالّ معجميّا على الصفوة والسعادة، وقد كان متّصفا بهذه الصّفات أيّام الطفولة والمراهقة. فهو طالب علم متميّز وأستاذ متألّق. ولكن الاسم يصبح في مرحلة موالية من حياته مضادّا لحقيقة الرّجل وللمعنى المعجميّ الذي يفهم لغويّا من التّأليف الصّوتيّ ومن النّمط الصّيغيّ. فينقلب مصطفى إلى طالب ثأر مقتنع، وزنديق مستهترأنانيّ، يهرب من واقعه تاركا وراءه عائلة تجني تبعات أخطائه. فمصطفى سعيد حزين وإنْ كان يتظاهر بخلاف ذلك "هل أبدو حزينا ؟ أنا على العكس سعيد جدا" (ص60).

إنّ هذه الحرية التي تمنح للكاتب حق الخلق والإبداع، وحقّ اختيار أسماء شخصياته اختيارا مدروسا ومبرّرا بحوافز سيميائية دلاليّة، إلى جانب اعتبارات أخرى جغرافية واجتماعية وتاريخية وحضارية، تسهم في وضع الخطوط الكبرى للشخصية وفي إبراز المكوّنات المعجميّة لمدلولها، وهي معطيات صالحة للأثر الأدبي نثرا وشعرا وقادرة على أنْ تحوّل

العلم إلى دليل يستمدّ دلالته من مصادرمتعدّدة : قوميّة ومحلّيّة ودينيّة وطبقيّة. فعلاقة الدّليل بالمرجع علاقة مبرّرة في الأعلام الأدبية، مبرّرة جزئيّا عند تسمية الأعلام العاديّة، ثمّ تصبح اعتباطيّة في علاقة الاسم بالمسمّى خارج السّياق.

وتجمع بين اسم العلم والمضمون الدّلالي الذي يكتسب من النص علاقة داخلية أو خارجية (نيكول E. Nicole, 1983, 54 : 203). فيشغل العلَم في العلاقة الداخلية دورا أساسيا مستمدّا من المعنى الأصلي الذي من أجله اختاره المؤلف أو ابتكره فوضعه وضعا. وأمّا العلاقة الخارجية فيمارس فيها عنصر الصدفة والمفاجأة، حيث يتولّد الاسم من حادثة خارجية طارئة، أو من مقترح ، أو بمناسبة سفر. وإنّ في تبنّي المؤلف لهذا الاسم الطارئ دليل على أنّه يناسب الأحداث ويطابق أطوار القصة. وحتى في هذه الحالة الطارئة فإنّ الاسم العلم الأدبي لا يقوم على ظاهرة الاعتباط بل يمثّل للكاتب دليلا مشحونا بالمعاني.

وبإمكان الأسمائية الأدبية أنْ توظّف، إضافة إلى المعاني المعجميّة الظاهرة، الدّلالة الإيحائيّة الضّمنية لبناء شخصيات الرواية. وهذه الدلالة الإيحائيّة تدرك من مستعملي اللغة الذين يملكون سَنَنَ الإحالة le code de référence، إمّا من المستوى اللساني لتمكّنهم من أسرار لغتهم الأمّ وامتلاكهم لها، وإمّا عن طريق وسائط ثقافية وحضارية وتاريخية واجتماعية تعبّر عنها الأسماء الأعلام التي يستعيرها المؤلف من الرصيد الإنساني المشترك. فيحافظ على بنيتها الأصلية أو يعيد بناءها بإدخال تحويرات صوتية طفيفة عليها وبالمحافظة على شكلها الصرفي. فتُؤثّر هذه الأسماء في القارئ الذي يستحضر بمجرد التّلفظ بها أسماء تاريخيّة تماثلها، وتقفز إلى ذهنه قيم أخلاقية واجتماعية اشتهر بها أصحابها وأرادها الكاتب من السّمات المكونّة لشخصياته الخياليّة. فمنها تُستوحى الدلالات الإيحائية، فيُسمّى البطل حنّبعل، أو يركّب تركيبا صوتيا مشابها

له مثل هنبعل أو هانيبال، يعني في كل الحالات ما يعنيه حنبعل الحقيقي من قيم أخلاقية راقية ومن معاني الفروسية والبطولة والقيادة والشجاعة، دون أنْ يكون الأصل المعجمي حاملا لهذه المعاني.

ويوظِّف الاسم العلم كل الوسائل الخاصة بنظام النّداء كالأسماء العامّة والعناوين وألفاظ القرابة، وكلّها تعيّن الشّخصيّة الأدبيّة داخل النّص. وقد وزّع بوديل (بوديل، 1997 : 134 –175) مداليل القصة على ثلاثة أقسام. اختص كل قسم بمعنى خاصّ، فتنوعت الحوافز والدلالات لبناء الشخصيات. فهي حوافز تعيينية وتضمينية وثقافية. وقد أخضعنا بدورنا المدوّنة لهذا التنميط الذي ينتج عنه التّوزيع االتّالي :

1.4.3 – مداليل تعيينية.

1.1.4.3 – معنى حقيقي :

شفافية جزئية : ودّ الريس : شخصية مدمنة على الزواج. همّه الجنس الذي سبّب حتفه.

2.1.4.3 – معنى مجازي :

الإنغليزي الأسود : كناية عن تشبّع مصطفى سعيد بالثقافة الإنغليزية.

3.1.4.3 – أسلوب ساخر :

بنت مجذوب : المرأة المسترجلة "وضحكت بنت مجذوب بصوتها الرجالي المبحوح" (ص92).

4.1.4.3 – تجميع الدّوال والمداليل للشخصية الواحدة.

تجميع الدوال : "كنت حسنا وتشارلز وأمينا ومصطفى ورتشارد" (ص56).

تجميع المداليل : "أنا صحراء الظمإ، أنا لست عطيلا، أنا أكذوبة" (ص54).

3.4.2 – مداليل إيحائية.

3.4.2.1– إيحاء معجمي Connotation lexicale :

" وجهي عربي كصحراء الرّبع الخالي ورأسي إفريقي يمور بطفولة شرّيرة " (ص58).

3.4.2.2 – إيحاء صوتي / صوتمي :

وِدْ البشير : اختزال حرف اللام من كلمة "ولد" دالّ على الانتماء الجغرافي والاجتماعي لبيئة إفريقية سودانية عربية ريفية.

3.4.2.3 – مداليل ثقافية.

أ– **إيحاء طبقيّ** : تمّ ذكر الشخصيات الأرستقراطية والفكرية والموسرة والسياسية والأجنبية والأدبية والخياليّة بأسمائها كاملة كمصطفى سعيد وحسنة بنت محمود وطارق بن زياد والأمير فيصل آل سعود وجين موريس.

ب – الرّموز والأساطير.

– أبو نواس : رمز الإبداع الشعري في فن الخمريات، وأبو زيد الهلالي رمز الشهامة والفروسية.

– سمسم : اسم خيالي أصبح جزءا من عبارة عجيبة جاهزة "افتح يا سمسم"، دالة على قدرة المرء على العبور إلى الشيء المطلوب وتحقيقه.

– الأندلس : رمز الأرض المسلوبة والفردوس المفقود، وانحطاط الحضارة العربية الإسلامية بسبب التّكالب على السلطة، وانقسام الخلافة الأموية في الغرب إلى دويلات وطوائف.

هذه الطرق المُحفّزة على اختيار الأسماء الأعلام، والمشحونة بدلالات حقيقية ومجازيّة ومعجميّة وصوتيّة وثقافيّة وأسطوريّة يأتلف بعضها مع بعض لبناء هيكل القصّة. فكل هذه الأساليب يوظّفها الكاتب بغرض إبراز معاني الأسماء ومضامينها.

5.3- اعتباط أم دلالة ؟

1.5.3 – اختلاف الأطروحات

كثر الجدل بين ثلاثة مواقف حول نظرية سوسير (1857–1913) القائلة باعتباط الدّليل اللغويّ. فمن اللسانيين من يساند النظرية، ومنهم من يخالفها تماما، وهناك شق ثالث توفيقيّ يعتبر الاعتباط تامّا أو نسبيّا (ولمت2 ,M. Wilmet1988, 836-835). ويقرّ مارك ولمت بوجود مجموعة من التبريرات Les motivations جاءت على لسان جاك بوهل Jacques Pohl ترفع الاعتباط عن العلامة وتبيّن في ست نقاط مبدأ عقلانية الدّليل، نذكر منها :

- التّبرير بالتأصيل، وهو الرجوع إلى أصل اللغة.
- التّبرير بمحاكاة أصوات الطبيعة l'onomatopée.
- التّبرير بالتّأصيل الشعبي : وهو تبرير لدلالة مابعدية يكتسبها الدّليل، وليس لدلالة وضعية قائمة على العلاقات التّرابطية الغيابية : rapports associatifs *in absentia*.
- التّبرير النّسبيّ : يتمثّل في الجمع بطريقة واعية بين دلائل اعتباطية لبناء دلائل جديدة غير اعتباطية مثل قوس قزح وحاملة الطائرات. ويوظّف هذا الصنف من التّبرير العلاقات السّياقية الحضوريّة. Rapports syntagmatiques *in presentia*.

ولقد تساءل ولمت نقلا عن رودلف انغلر عن اختلاف درجات الاعتباط بين كلّ من اسم العلم والاسم العامّ، ويأتيه الجواب أساسا من

أسماء الشخصيات التي لا يخلو اختيارها من وعي وتبرير وتحرّ وحرّية. فقد بيّنت إحصائيات وثائق الحالة المدنية في فرنسا سنة 1939 تراجعا مذهلا في إطلاق اسم أدولف (Adolphe) على المواليد الجدد (ولمت، M.Wilmet,1988 : 840) تشاؤما وتبرّما واستنكارا لأفكار أدولف هتلر (1889-1945) العرقيّة العنصريّة، وتنديدا بما ألحقه بالعالم من إبادة ودمار ورعب. وبالمقابل راج اسم بريجيت Brigitte ما بين الخمسينات والستّينات من القرن الماضي لما تمثله النجمة السينمائية بريجيت باردو (Brigitte Bardo) لشريحة كبيرة من الجمهور الفرنسي من الصّورة المثاليّة للمرأة المعاصرة الجريئة، ومن جاذبية وجمال.

أمّا فاكسلير (Vaxelaire 2005 : 675) فيرى أنّ انتقاء الأسماء من الواقع، حتى وإنْ كانت منتقاة من دليل الأسماء عن طريق الصدفة ودون تمعّن وتخيّر، ليس عمليّة اعتباطيّة. لأنّ هذه العمليّة تقوم على إعادة إنتاج الحقيقة وبنائها من جديد بناء مقصودا وإكسابها حقائق ووقائع من ذات الأحداث وليس من خارجها. فما هو مقصود ومألوف لا يمكن أنْ يوصف بالاعتباط بل إنّ الأسماء التي لا تنتمي إلى الرصيد، فيؤلفها الكاتب باحترام طرق تولّد الألفاظ العربية صوتيّا وصرفيّا ودلاليّا، ويكسبها خصائص الشخصية وطباعها كبرق الليل مثلا، لا تحمل على الاعتباط لما تتضمّنه من دلالات لغويّة واجتماعيّة ونفسيّة، وهي خصائص تتضح للكاتب منذ بداية التفكير في أحداث القصة.

وينتقل الاسم العلم من مجرد إشارة كان عليها في العالم الخارجي، إلى علامة في عالم القصّة. وإذا بمحتواه الغنيّ بالمعاني والإيحاءات يتحوّل إلى رمز لخصال حميدة أو مَسَاوٍ منبوذة. وقد يتحوّل بطريقة ساخرة ناقدة إلى نقيض معناه المعجميّ. فالاسم العلم "زهرة" قد يراد به في التّعيين ما تدلّ عليه المفردة العامّة من معاني الجمال والنضج والحيويّة. فيكون اسما على مسمّى، ويطابق معناه المعجميّ. وقد يناقض

الاسم كل هذه المعاني المعجميّة فيطلق على شخصيّة لا صلة لها خلقة وأخلاقا بالزهور. فهي قبيحة مترهلة ذابلة، قد أذوتها مصائب الدهر فأصبحت أقرب إلى الشوك من الورد. هذه الحتميّة يفرضها الكاتب على الأسماء، فيصبح – حسب أحداث الرواية– المتصرّف في مداليل الأسماء، يطوّعها لروايته، فتخرج أحيانا عن دلالاتها المعجميّة وترث دلالات ثانوية تمليها عليها طبيعة الشخصيات وتطوّر الأحداث.

ويوظّف الاسم العلم في النصوص الإبداعية إمّا معالجة لموضوع مّا، وهو الغالب الأعمّ في النثر، وإمّا نزولا عند متطلّبات الصّورة الفنّية الجماليّة في الشعر، وهو وجه آخر من أوجه الإبداع. وسواء أكان الدافع مضمونيّا أم شكليا فإنّ اختيار الاسم العلم يعدّ عملية واعية، وإنّ توظيفه في الإبداع الأدبي "يضعف شيئا فشيئا طابع الاعتباط الذي يحكمها في أوضاعها الأصلية ويقوّي جانب التبرير الذي بمقتضاه تتحول من ظواهر لغوية إلى ظواهر أسلوبية دالة على طريقة مخصوصة في الكتابة ورؤية مميّزة في الكلام" (الطرابلسي 2001 : 25).

وتتعدّد دلالات الاسم العلم الموظّف في النص الأدبي حسب الأدوار التي تسند إليه، فيصبح متجددا بتطوّر الأحداث، ولا تنحصر مهمته في التّعيين والذاتية والاستقلالية المطلقة القائمة على الاعتباط وعلى الافتقار إلى المعنى. ولكن المعاني والصفات التي يكسبها المقام للاسم العلم لا تعني بالضرورة انفصاله نهائيا عن مقولة العَلَمية وتحوّله إلى مقولة "العمومية". إنّه يحافظ على بعض سمات العَلَم وخاصة أحادية تعيين الشخصيات داخل إطار النّص، إلى جانب اكتساب دلالات من السياق والأحداث لا من المعجم، تعبّر عنها الصّفات والمواقف. "فمن حيَل الشعراء اللعب بالكلمات واشتقاق الدوال من المدلولات وتبرير العلاقة بين الأسمــــــاء والمسمّيات" (نفسه 2001 : 31). ومن تقنيات الكتابة اختيار

أسماء تتقارب معانيها المعجميّة مع صفات الشخصية وطباعها ودورها. فالاسم يطابق المسَمّى أو يقابله، وفي هذه الحالة أو تلك هو اختيار مبّرر.

أمّا الكُنى كـ"الجارية سوسن" و"مولاي مصطفى" و"موزي" في "*موسم الهجرة إلى الشمال*"، فهي أكثر تبريرا وأبعد عن الاعتباط من العَلَم ذاته، لأنّها تفوقه شفافية دلالية وتقوم على حوافز مختلفة ثقافية وحضارية وأدبية... وعادة ما تكون مختارة من شخصيات الإيحاء أو من صفات يتّصف بها الفرد، فتكسبه تعيينا جديدا وتمدّ القارئ بمعلومات ثانوية ودلالات مبررة. إنّ شخصية "آن همند" تتميز عن الشخصيات الأخرى بأنها طالبة مستشرقة، تحب الأدب العربي، أسعدها اطّلاعها على الحضارة الشرقية أنْ تكنّى باسم عربي وأنْ تحلم أحلام اليقظة وتلعب أدوار الجارية العائدة من غياهب التاريخ البعيد "كيف أنسى دارنا في الكرخ في بغداد على ضفة نهر دجلة أيام المأمون ؟ أنا أيضا اقتفيت أثرك عبر القرون ولكنّني كنت واثقة أننا سنلتقي" (*موسم الهجرة* : 135). فالكنية التي تلائم بالضرورة المكنّى تستوجب من المؤلف تعليل التكنية وتفسير دلالاتها وبيان علاقتها بالمكنّى عنه. ومن الكنى ما هو تصغير للاسم الأساسي مثل "موزي" الذي تسمّي به مسزروبنسن مصطفى سعيد. وهي كنية تحمل دلالات التحبّب والتدلّل. أمّا الصفات التي هي ألقاب، فتطلق على الشخصيات وتصبح جزءا من هويتها وذاتا ثانوية لا يمكن الاستغناء عنها كالحاج أحمد والدكتور مصطفى سعيد...

إنّ تبرير المعنى والتعبير عنه ليس من خاصّيات الاسم العلم الأدبي وحده، بل إنّ الاسم العلم العادي أيضا يحتمل المعنى (لفي ستروس Levi-Strauss ;1990 : 212-218,220). فاختيار اسم المولود مرحلة أولى من مراحل التّعبير عن المعنى. فلا اعتباط مع الاختيار، ولا تواضع مع التفكير واستخدام العقل. وفي اختيار الاسم العلم دلالات متعددة (أبو حليمة جمانة أحمد2002 : 184) منها :

- التفاؤل بأنْ يطابق الاسم المسمّى : (أمل – نور – سعيد).
- التّلذّذ بسماع الاسم : (أشواق – عبير – ريّان).
- تجميل المسمّى به : (هيفاء، قمر).
- التبرّك والتشبّه : (محمد، صلاح الدين، عائشة).
- إحياء الذكرى : (اسم الجد أو الأب...).
- التّطيّر : (مُرّة – حرب) .
- التّعظيم أو التّحقير بالكنى : (سيف الإسلام – الجاحظ – أشعب).

هذا ما يريد مطلق الاسم بالمسمّى. أمّا الاسم في علاقته بالمعيّن فإنّه لا يحمل في ذاته مدحا أو ذما، لأنّ الاسم الواحد يصلح لكل الأفراد الذين تفرّق بينهم الطّباع والصّفات والذّوات، فصادق يسمّى به الشّخص الصّادق والشّخص الكاذب. وهي طباع يكتسبها الشّخص بعد التّسمية وليس أثناءها أو بسببها. إنّ الدّلالة لغوية وليست ذاتيّة، وإنّ الإحساس بالتلذّذ والتفاؤل والتّطير... مصدره ما وراء اللغة وليس الاسم أو حامل الاسم. فالاسم وسم مميّز لفرد عن غيره من الأفراد الذين يحملون نفس اللقب لنفس العائلة أو لأكثر من عائلة (مارتان R. Martin 1987 : 151). فمحمد نعمان ليس أحمد نعمان، لأنهما إذا اشتركا في الاسم واللقب داخل العائلة الواحدة التبس المعنى وصعب التّمييز بين الذّاتين. ويعدّ اللقب علامة مميزة لأشخاص لا ينتمون إلى نفس العائلة ولكن يشتركون في نفس الاسم . فأحمد 1 وأحمد2 وأحمد ن، ذوات مختلفة باختلاف ألقابها. صحيح أنّ التّعيين الماديّ لا يحدّد ذات الفرد ولا يفصح عن جنسه، فكم من شخص كذوب وهو يدعى صادق، وكم من إنسان يلقب ببوش (Bush) وهو ليس رئيس أمريكا، وكم من كلب يحلو لصاحبه إطلاق اسم "بوش" عليه. فالتّعيين بالاسم العلم العادي لا يحدّد بالضرورة أوصاف المسمّى وطباعه وخلقه، وإنْ كان التّعيين في هذا المثال الأخير إيحائيا سياسيا

ورسالة يريد مطلق اسم الشخص على الكلب إبلاغها للسامع. وإنّنا لا نوافق غي آشار بايل Guy Achard Bayle (1996 : 107، 346) على رفضه تمييز اللقب شمبي Champi لشخص فرانسوا Françoisعن غيره ممن يشتركون معه في اسم فرانسوا (François)، وإلاّ فما قيمة اللقب حينئذ ؟ ولكن بايل (Bayle) يستدرك في مقاله الذي أحلنا إليه آنفا، معتبرا الاسم وخاصة اللقب علامة عن إجراء اجتماعي (un processus social) (نفسه : 347). فغياب اللقب يمثّل عدم انتماء، كما يمثّل غربة وإسقاطا وحطّا من قيمة الفرد وتجريده من أهليته في أعين الآخرين. إنّ الاسم دالّ دلالة ذاتية واللقب دالّ دلالة اجتماعية.

يمكن القول إنّ اختيار الاسم مبّرر برغبة الإنسان في تعيين المولود به دون غيره من الأسماء. فالتسميات تقوم في البداية على مقاييس جماليّة وحضاريّة وتاريخيّة وعقائديّة، ولذلك فهي ليست اعتباطية "ولعل أهمية دلالة العلم تتمثل في السماح لحامله بتغييره إذا كان محمّلا بمعنى تحقيري تهجيني من ذلك عانس وجرو وجدع" (ز. السائح دحماني 2009 : 155). إنّ العلم ليس اعتباطيا لأنه دال عند التأصيلي الذي يبحث في معاني الجذور وأصول الألفاظ، وعند الباحث في علم السلالة أو عند الجغرافي، وعند مطلق الاسم الذي يسمّي ليدلّ على غيره وعمّا هو في ذاته لنفسه. والعلَم دالّ في تحوّله من "العلَمية" إلى "العمومية" تحوّلا بالمجاز والتشبيه أو بالاستبدال البلاغي المعبَّر عنه بالأسمائية المجازية l'antonomase. فينتقل الاسم العلم من التّعيين إلى المفهوم، ومن التّخصيص إلى التّعميم، ويفارق مرجعه وذاته ليصبح وحدة معجمية بخصائصها الدلالية السّميّة.

الفصل الرابع

الشخصيات وعلاقة الاسم بالمسمَّى

تمثّل الأعلام سواء أكانت أسماء أماكن أم أسماء أشخاص دلالات تاريخية زمانيّة، فيصبح المكان مثل قرطاج وقرطبة وروما إطارا مكانيّا وزمانيّا على حد السّواء، وتحيل الشخصيات كحنبعل وصلاح الدين ونابليون على الأطر الزّمانيّة والمكانيّة وعلى خصائص الشخصية الذاتية. فالأعلام محدّدات هامّة في النّصّ تحتاج متى تعدّدت المسمّيات واتّحدت التّسميات إلى سياق مضبوط حتى لا يبقى "التّعيين نسبيّا" كما يقول الهادي الطرابلسي (2001 : 27)، وحتى يتمّ التّمييز بين طرابلس لبنان وطرابلس ليبيا أو بين مدن عديدة تسمّى قرطاج في أصقاع متعدّدة من العالم تشبّها بقرطاج الفينيقية وبأبطالها وبتاريخها.

1.4 – أصناف الأسماء الأعلام

يقسّم الاسم العلم إلى اسم حقيقيّ واسم خياليّ، وتكون الأسماء الحقيقيّة اسما ولقبا وكنية. أمّا الأسماء الخياليّة فهي أسماء أعلام أدبية، وتنقسم بدورها إلى قسمين رئيسيين : أعلام إخبار وأعلام إيحاء (الطرابلسي، نفسه : 27).

1.1.4 – أسماء إخبار : هي مواد الإخبار في النّصّ، لها علاقة مباشرة بالأحداث وتتّصل بواقع السّرد وذاتيّة الشّخصيات والأمكنة، وهي

من وضع الكاتب تؤدّي وظيفة مضبوطة في سياق النّص وتخبر عن وقائع القصّة التي تسهم في بناء أطوارها. فهذه الشخصيات خياليّة وحاضرة حضورا ذاتيّا ودالّة على تجارب شخصيّة أو وهميّة ابتدعها المؤلِّف، وتنقسم بدورها إلى أسماء شخصيات رئيسيّة ومنها شخصية البطل وأسماء شخصيات ثانوية des figurants.

2.1.4- أسماء إيحاء

هي موادّ إيحاء تستلهم من التاريخ والحضارة والأساطير والقصص، فلا تتّصل مباشرة بالأحداث بل تكون شاهدا عليها، وتدعّمها وتلهمها بالأفكار والمقاييس وتوحي إليها بمجموعة منَ القيم؛ فتتّخذ مثالا يحتذى به وتستثمر تجاربها للاتّعاظ والاعتبار وللتقريب بين الماضي والحاضر، ولربط الصلة بين أحداث وأشخاص وأماكن تتشابه لا فاصل بينها إلا قيْد الزمن. إنّها ذات قيمة إيحائيّة وذات وظيفة رمزية إبداعيّة، كانت أسماء إخبار قبل أن تتحوّل إلى أسماء إيحاء، ثم مع مرور الزّمن أصبحت تستعار من واقعها التاريخي، فلا توظّف في النّص الأدبيّ لذاتها بل لصفاتها ولِما توحي به من صور ورموز، ولِما تمثّله من حقائق قريبة من واقع أعلام الإخبار، فتقرّب بين تجارب معيشة وأحداث خياليّة. وتكثر الأعلام الإيحائيّة في النّثر، كما أنّها تتخلّل القصائد "التاريخية والدينية والاجتماعة" (الطرابلسي، 1996 : 390). وتذكر في المراثي والمدائح أسماء أعلام كثيرة تستعمل عن طريق صور بلاغيّة متنوّعة كالتّشبيه والاستعارة والكناية. وينتقي الشاعر أعلامه التي يوظّفها في قصيدته من التّراث والرّصيد الثقافي ومن التاريخ، ويوظّفها للتشبيه والاعتبار والاتّعاظ والتحذير والافتخار والتمجيد... فالفرق بين الصنفين أنّ علَم الإخبار يسمح لمستعمله بتسجيل تجاربه الحاضرة داخل نصّ السرد، وأنّ علَم الإيحاء يستثمر تجارب غيره السابقة والمسجّلة خارج نصّ السّرد، وبهذا التّصنيف تكون الأعلام الأدبية ذاتية إخبارية أو تصويرية إيحائية.

وإذا كانت شخصيات الإخبار في رواية"موسم الهجرة إلى الشّمال"، تنتسب إلى سجلّ عربي سوداني وسجلّ غربي إنغليزي، فإنّ شخصيات الإيحاء التي لا توظّف لذاتها وإنّما لغرض بلاغي وأخلاقي وتاريخي، قد أخذت من سجلاّت متنوعة : من تاريخ مصر الفرعوني، ومن الملف الدّيني ومن الموسيقى والسنفونيات، ومن الشعر والمسرح، ومن الثّقافة الشّرقية والثّقافة الغربية، ومن السّياسة المحلّية والإقليميّة. فالغرض من هذه الشخصيات الإيحائية في رواية الطّيب صالح هو إحياء الذكرى وربط العلاقة بين أحداث الماضي والحاضر وبين الشرق والغرب. استنتج المؤلّف من جولته عبر الزّمان والمكان أنّ الغزاة قديما لا يختلفون عن الغزاة والمستعمرين حديثا. هذه المقاربة بين الماضي والحاضر نمّت في نفس البطل مصطفى سعيد رغبة جامحة في الانتقام، جعلته يعود بأحداث التاريخ إلى الوراء، فيتخيّل، وهو في المحكمة، أنّه يسمع "صليل سيوف الرومان في قرطاجة وقوقعة سنابك خيل الينبي وهي تطأ أرض القدس، البواخر مخرت عرض النيل أوّل مرّة تحمل المدافع لا الخبز (...) إنهم جلبوا إلينا جرثومة العنف الأروبي الأكبر الذي لم يشهد العالم مثيله من قبل في السّوم وفي فردان" (ص100). فما أشبه اليوم بالبارحة ! لقد كنّى المؤلف بأسماء أعلام الإيحاء عن أكبر الحضارات (القرطاجنّية والرومانية والإسلامية) التي عرفتها الإنسانية قديما، وكنّى بمدينتي" السوم "و"فردان" الفرنسيّتين عن استباحة دماء البشر واستسهال إبادة الجنس الإنساني.

يمثّل حضور أسماء أعلام الإيحاء امتزاج حضارة الشّرق بحضارة الغرب. فهي أعلام خارج الموضوع الرّئيسي للرواية ومن خارج إطارها الزماني والمكاني. ولكن وجودها يدعّم الأحداث ويسندها دينيا ووطنيا وقوميا باستحضار ماضي الأمة الإسلامية المجيد من خلال شخصياتها وأماكنها وأحداثها قصد كسْر شوكة المستعمر المتعالي، وتذكيره بحضارة

قوم زاهرة تعود جذورها إلى آلاف السنين قبل ميلاد المسيح. فالبحث من خلال أحداث التاريخ عن صفحات زاهية وأخرى قاتمة هو تثبيت للذات وترسيخ للهوية وتبرير لأحداث الرواية ولتصرّف البطل.

لم تأت أعلام الإيحاء كلّها للتّصوير والبيان، بل وردت أيضا لتدعيم الخطاب وللاستشهاد والتشبيه، ودلّت على رصيد ثقافي ثريّ يمتلكه بطل الرواية، جمع بين الشعر (أبو نواس ، عمر الخيّام) والفلسفة (أفلاطون) والعِلم (أينشتاين) والدّين (القرآن، الإنجيل، المسيح) والسياسة (معاهدة فرساي)، والأدب (برناردشو)، والتراث (شنّ وطبقة) والسّيرة الشعبيّة (أبو زيد الهلالي) والتّاريخ (قرطاج، روما) والجغرافيا (السودان، النيل، لندن) والفن (بتهوفن، باخ). فهو رصيد تمتزج فيه، من خلال الأسماء الأعلام، الحضارة الشرقية بالحضارة الغربية، ويلتقي الجنوب بالشمال حاضرا وماضيا. وقد تحقّق المزج بين مختلف أعلام الإيحاء في مؤلَّف واحد بفضل شخصيّة بطل الرواية، الّرجل المتعلّم الملمّ بأسرار الثقافتين وخباياهما. فتجربته الإفريقية والأوروبية، ونبوغه وسعة اطّلاعه، جعلت المثقّفات الأروبيات يهتممن به ويحرصن على التّقرّب منه. ومكّنته هذه الصّفات من الإغراء والتّضليل وكسب إعجاب أصناف أخرى من النساء الإنغليزيات به. فهو يوظّف أعلاما في مجالات مختلفة واهتمامات متنوّعة لجلب احترام الآخرين له، وللتّأكيد، من خلال الأعلام العربية كطارق بن زياد فاتح الأندلس وأبي نواس شاعر الخمرة وابن خلدون عالم الاجتماع وغيرهم، على تجذّر الحضارة العربية الإسلامية، وعراقة هذه الأمّة الضاربة في أعماق التاريخ بأسلافها الفراعنة والبونيين والأندلسيين. فالبطل مصطفى سعيد لا يتوانى في فرض الذات، بكل الوسائل، على مستعمر متغطرس ومتجاهل لأمجاد الأمّة. إنّ شخصيات الإيحاء تعيدنا إلى أحداث ماضية يتشبّث بها البطل ليبرّر مهمّة وجوده في الغرب، وهي مهمّة يرمي من ورائها إلى الأخذ بالثأر ممّن أذاقوا بني جلدته المذلّة والمهانة.

لم تستوجب شخصيات الإخبار القريبة من الرّاوي تعيينا، فأشير إليها بوظيفتها الأسريّة وبنسبتها إلي المتكلّم، لأنّها لا تلعب دورا هامّا في السّرد كما نتبيّنه من قوله : "وجاءت أمّي تحمل الشّاي، وفرغ أبي من صلاته وأوراده فجاء، وجاءت أختي وجاء أخواي" (ص30)، بينما استدعت الشخصية الغريبة عن القرية وغيرِ المألوفة من الراوي وصفا مطوّلا (ص 30)، وتطلّبت تعيينا مدقّقا "فتحتُ ورقة فإذا هي وثيقة ميلاده، مصطفى سعيد من مواليد الخرطوم 16 أوغسطس عام 1898..." (ص 32).

وإذا ظلت بعض الشخصيات العابرة بدون اسم كما رأينا في حديث الراوية عن أفراد عائلته (أمّي، أبي، أختي)، فمن الشخصيات الغائبة عن الأحداث من عُيّنت باسمها ولقبها. إنّ أمّ مصطفى سعيد المسمّاة "فاطمة عبد الصّادق" اسم بلا مسمّى، فهي لا تظهر مجسّدة في شخصية ماديّة ذات حضور في الرواية وفاعلة في الأحداث، وإنّما هي مجرّد حبر على ورق، وهي مجرّد ذكرى تخطر على بال ابنها لِماما، بل هي جزء من الحالة المدنيّة للبطل، تُثبِت هويّته ولا تتجاوز بطاقة ولادته.

وتحمل بعض أعلام الإخبار مثل وِدْ الريّس وبِتْ الريّس ووِدْ البشير لُكْنَة سودانية محلّيّة باستعمال "وِدْ" بدلا عن "ولد"، كما يظهر الطابع الاجتماعي العربي لهذه الأعلام بنسبة النساء إلى آبائهن مثل بنت محمود وبنت رجب وبنت مجذوب. وهي ظاهرة تغلب على أعلام الإناث في الرّواية تجعلهنّ كائنات نكرات، لما يمثّله اسم المرأة من محظور في هذه المجتمعات. كما تتّسم بعض الأسماء بالسّمة الدينية الإسلامية مثل كنية"الحاج"، بينما صاحبت بعض الأعلام صفات دالّة على المهن والدرجات العِلْمية كسعيد التاجر والدكتور مصطفى سعيد. وشُبّهت أعلام أخرى بشخصيات قصصيّة خرافيّة كما جاء في قول البطل "كأنني شهريار رقيق تشتريه في السوق بدينار، صادف شهرزاد متسوّلة في

أنقاض مدينة قتلها الطاعون" (ص 55)، أو كما جاء على لسان شخصية بنت مجذوب "يشعر الرجل كأنه أبو زيد الهلالي" (ص90).

إنّ الدّلالة الأساسيّة لأعلام الإخبار هي ضبط الأحداث وتقييد الإطار الزّماني الذي تتحرّك فيه الأشخاص، وتحديد الإطار المكانيّ للبلدان والأودية والجبال. ولكلّ أديب اهتمام خاصّ بمدونته الأسمائية son corpus onomastique التي تؤسس نواة السّرد.فيعِدّ قائمات من الأسماء الغريبة أو النادرة، والجميلة أو القبيحة، يبحث عنها في الصحف في ركن إعلانات الولادة والوفيّات والزّفاف، وفي لافتات الإشهار والمسلسلات التلفزيونيّة، وفي الدّواوين الشّعريّة، تماما كما يفعل الآباء عند تسمية أبنائهم، فيختار منها ما يتلاءم مع واقع شخصياته وأحداث روايته.

هذا المنهج الانتقائي للأسماء الأعلام في الآثار الأدبية شائع بين الكتّاب شيوعه بين عامّة الناس عند اختيارهم لأسماء مواليدهم. والانتقاء الذي قد يسبق أحداث القصّة، وإنْ كانت أحداثا جاهزة في ذهن المؤلف، يؤكّد الدّور المتميّز للاسم العلم في تحقيق العمل الأدبيّ، وما لا يعرفه القارئ والدّارس حول أعلام الأدب هو ما يتعلّق بمنهج المؤلف في وضعها. فهل الاسم العلم وليد لحظة الكتابة، أم هو نتيجة لتطوّر الأحداث وتبلورها فيُختار تدريجيا عندما تتّضح الرؤيا، أم أنّ المؤلف يقرّرتعيين الأعلام في نهاية العمل وقد اكتملت الأدوار واستقرت الأحداث فيكون العلم اسما مطابقا لمسمّاه. إنّ الاسم العلم يعتبر، في نظرنا، حجر الزاوية الذي لا يمكن الشّروع في بناء الرّواية بدون ترسّخه كأهمّ آليّة من آليات الصّناعة الأدبية.

3.1.4- أسماء شرقية وأخرى غربية : ما السّبب ؟

زخرت رواية" موسم الهجرة إلى الشّمال" بأسماء الأعلام الإيحائية والإخبارية من صنفين مختلفين : أعلام عربية وأعلام أجنبية، يسهل على القارئ التّمييز بينها لاختلاف بُناها الصّوتية والصّرفية. وشملت بعض

الشّخصيات والأماكن التي وظّفت توظيفا رمزيّا. من أعلام الإيحاء توت عنخ آمون (ص 59) وطارق بن زياد (ص 61) وإشبيلية (ص61) والأندلس (ص61). وقداختلطت أسماء الجنوب، كالخرطوم والقاهرة وأبي نواس، بأسماء الشمال كلندن وباريس وأينشتاين. ولأنّ هذه الرواية حافلة بالأسماء الأعلام، ركّزنا عليها دراستنا التّطبيقيّة واعتبرناها المدوّنة الأساسيّة للبحث في الأسمائية الأدبية. فنصّ الطّيّب صالح ملئ بأسماء الأعلام العربية والأوروبية وخاصّة الأنغليزية، وهي تمثّل " ضربين متقابلين مختلفين من الشّخصيات، تفرّق بينها الطّباع والأخلاق واللّغة والدّين والجغرافيا. فالعَلَم كما يقول آشر بايل (P.A.Bayle,1986 : 210) يؤسّس للذّات" الحقيقيّة أوالخياليّة ويُنتقَى لدلالته الشفّافة الخفيّة.

4.1.4 – الأسماء والكُنى

تضمّنت الرّواية أعلام شخصيات وأعلام أمكنة. فعُيّنت الشخصيات المذكّرة بأسمائها دون ألقابها كمحجوب ومحمود ومصطفى، أو بأسمائها وألقابها كمصطفى سعيد وعمر الخيام، بينما طغت نسبة الشخصيات العربية المؤنثة إلى اسم الأب مثل بنت محمود وبنت مجذوب وبنت عمّي رجب. ولم تذكر هوية المرأة كاملة إلاّ في حالتين مع فاطمة عبد الصادق أم مصطفى سعيد، وهي امرأة غريبة عن القرية وغائبة عن أحداث الرواية، أو حسنة بنت محمود ذات الغربة الداخلية بسبب زواجها من رجل غريب عن أهالي القرية وبسبب تمرّدها على التقاليد ورفضها زوجا ثانيا اختاره لها والدها كرها كما اختار لها الزوج الأول، ففرضا عليها فرضا وكانت النتيجة الانتقام فالانتحار. أمّا الأسماء المعرّاة تماما من الألقاب كمبروكة زوجة ودّ الرّيس الكبرى، فإمّا أنْ تكون شخصيات ثانويّة عابرة لا تحتاج لأيّ تعريف، أوأنْ تكون شخصيات محوريّة، غنيّة عن التّعريف لا تصاحب في كلّ مرّة بلقبها، فهي أصبحت معروفة من القارئ بعد أن تمّ التّعرّض إليها مرارا أثناء أحداث الرّواية، كمصطفى

وحسنة ومحجوب. كما لا تحتاج أسماءالإيحاء إلى تعريف مثل أسماء الشّخصيات كشهريار وشهرزاد والمعرّي، ومثل أسماء البلدان والعواصم والأودية والكتب المقدّسة كالأندس ولندن والنّيل والقرآن. وجاءت عديد الشخصيات في الرواية، وخاصة الإناث، صورة للحالة المدنية وللانتماء العائلي اللذين بدونهما تبقى ذواتا نكرة. فهي شخصيات متحرّكة بأدوارها، لكنّها صامتة بأسمائها، ولأنّه لا اسم لها فإنّ هويّتها الوحيدة تتمثل في انتسابها إلى غيرها. فهي بنت فلان أو زوجة فلان أو أمّ فلان، بينما قلّت نسبة الرجل إلى الأب والابن في هذا الأثر. فبنْت مجذوب وبنت محمود أو ودْ الرّيّس شخصيات هامّة في الرّواية تحمل أسماء مركّبة اجتماعيّة. فهي ليست شخصيات ذاتيّة الدّلالة، وكأنّ الكاتب يسعى إلى طمس منتظم لكلّ ما له علاقة بهذه الدّلالة الذّاتية التي تمثّل السّمة الرئيسيّة للاسم العلم. فالوضعية الاجتماعية التي تكنّى بها الشخصيات لا تمثّل الذّات مباشرة بل هي وسائط عن الذات.

إنّ القدرة اللّغوية والمستوى الثقافي متباينان بين شخصيات هذه الرّواية. لذلك جعل الكاتب من شخصية الراوي، القادم مثل البطل من الغرب، المخاطب الذي يتوجّه إليه مصطفى سعيد بالخطاب لِما يمتلك من ثقافة مزدوجة شرقية وغربية مثّلت نقطة الانسجام والالتقاء بينهما، فأفشى إليه أسراره وأطلعه على ماضيه الحافل بالحركية، الثّريّ بأعلام أشخاص أثّرت في حياته بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. فالبطل لم يُفصح عن اسم الراوي، وتحدّث عنه بضمير المتكلم" أنا". فهو الشخصية الثانية الهامّة في الرواية. وبقدر ما يُكثر الكاتب من ذكر اسم البطل "مصطفى سعيد" اسما ولقبا، فإنه اختارإضمار اسم السّارد المتكلم. فهو بطل من درجة ثانية، ساهم في التّذكير بالأحداث بعد اختفاء البطل، وكان شريكا له في بعض الأحداث الحاضرة وشاهدا على عدد كبير من الوقائع الّتي حكاها مصطفى سعيد على مسمعه، فاطّلع على ماضيه المجهول الغامض،

والتزم أخلاقيّا بإخفاء أسراره. إنّه عنصر فعّال في تطور أحداث الرواية، ولكنه ظل متستّرا وراء ضمير المتكلم "أنا". فهو نكرة رغم أنّ الضمّائر معارف، لأنّه لم يعيّن ولم يخصّص، ومن لا اسم له لا ذات له.

إنّ انتساب الشّخصية إلى وليّ أمرها، يبقى تسمية تصنيفيّة تفتقر إلى الدّلالة الذّاتية المحضة، وبالمقابل تحظى بوظيفة دلاليّة، لأنّها تمكّن الشّخصية من الانصهار في السّلم الاجتماعي وفي الطّبقة التي تنتمي إليها. ويكون هذا الصّنف من التّسمية كنية ذات دلالة عائلية متكوّنة من صرافم معجميّة ملازمة للاسم العلم ومكوّنة لمركب اسميّ، وهي أمّ، أب، زوجة، أخت، ولد، ابن، صاحب، مولى.تدلّ كلّها على الانتماء والألقاب أو على الجاه والشهرة، مثل صاحب الحمار وأبي الفوارس وأم المؤمنين. ويضاف إلى هذه اللّوازم الشائعة، لوازم أخرى رأسها اسم مبهم كالأسماء الخمسة الدّالة على الملكيّة (ذات، ذو، ذوو) مثل ذو الفقار.

ولا تقتصر الكُنية على الألقاب العائلية فحسب، بل توظّف الأنماط الصّيغيّة كأفعل التفضيل مثل أكرم وأشقر، وصيغ المبالغة كشدّاد وعفّان، والصّفات المشبّهة كثابت وشريف، والنّسبة كالبغدادي والدّمشقي، واسم المفعول كمبارك ومحمود، وغير ذلك من الصّيغ الاسمية. وكثيرا ما تكون لهذه الألقاب حكاية، أو هي متولّدة عن مجاز ممّا يجعلها معيّنة مشيرة دالة في آن واحد. والكُنى في أغلب الحالات ذات طابع مدحي ترفع من قيمة المُكَنَىّ بها، ولكن قد لا يكون غرضها الإطراء والثناء، بل الحطّ من قيمة الفرد، فيفيد الاسم المصغّر الذّم والتّحقير (طويهر)، ويفيد الكمّ والتّكثير بصيغ المبالغة (الهرّاب)، كما يُعبّرالاسم العلم عن التحقير بطريقة معجميّة كالأعور والأعرج والجاحظ .

ويختلف التعيين حسب أدوار الشخصيات :

- فمن التّعيين ما هو قارّ : la désignation permanente كمصطفى سعيد ومحجوب وودْ الريّس والحاج أحمد

- ومنه ما هو تعيين مطّرد la désignation régulière : كحسنة بنت محمود وبنت مجذوب

- ومنه ما هو تعيين عابر la désignation éphémère : كالإنغليزي الأسود والإفريقي وجاريتك سوسن.

وتبدو أهمية الاسم العلم في اختيار اسم الشّخصية الرئيسية عنوانا لبعض الأعمال الأدبيّة العربية والغربية "كزينب"(1914) لمحمد حُسين هيكل(1888-1956)، و"سلوى في مهبّ الريح" (1944) لمحمود تيمور (1894-1973) ، و"حليمة" (2008) لمحمد لعروسي المطوي(1920-2005) وغرغنتيون(1534)"Gargantua" لرابلي Rabelais، و"السيدة بوفاري"*Madame Bovary*" (1857) لفلوبير G. Flaubert.

أمّا النوادل والخدم وصغار الموظّفين فهي شخصيات لا تدعى بأسمائها بل بوظائفها التي تذكّر القارئ بطبقتها الاجتماعية. وإذا عُيّنت فبالاسم دون اللقب. وقديما، كانت تقترن بأسماء هذه الفئة الاجتماعية معاني البركة والسّعد والنّصر، فتفيد الأسماء معجميّ االحماية والسّعادة كمبارك وسعيد وناصر.

ويكثر تعيين شخصيات القصّة العربية بالاسم دون اللّقب أوالكنية، بينما غلبت في "موسم الهجرة إلى الشّمال" الكنية (وِدْ الريّس، بنت مجذوب، الحاج أحمد...)، وعلى غير المعتاد صاحبت الألقاب الأعلام العربيّة وخاصّة الأعلام الأجنبية الغريبة عن القرية. يفهم من ذلك تأثّر البطل بعادات أهل الغرب في تعيين الأشخاص قصد تخصيصها والتّعريف بها مثل مصطفى سعيد، وحسنة بنت محمود، ومحمد سعيد الحبّاشي، وجين موريس، وآن همند، وإيزبلاّ سمّور... كماعُيّنت الشخصيات بأسماء عامة دالّة على وظائف اجتماعية ودرجات علمية كسعيد التّاجر وود البصير مهندس القرية ومحجوب رئيس اللّجنة

والدكتور مصطفى سعيد. وإلى جانب التّعيين بالاسم العامّ، فإنّ بعض الأسماء عيّنت بالانتساب إلى العائلة (بنت، ولد، زوجة، أمّ، ابن، أرملة). فالآباء والأمّهات والبنات والأولاد لا يوجدون إلاّ بوجود العلاقة العائلية التي تربطهم بأهاليهم، وكأنّ الذّات قاصرة عن التّعريف بصاحبها خارج إطار السّلالة. وللأصل الجغرافي والانتماء العرقيّ أيضا دور في تعيين الأفراد (السوداني، العربي، الأنغليزي...). وكثيرا ما توحي هذه النّسبة الجغرافية والجنسية بالغربة أو بالتّعصّب والاحتقار (زنجيّ، غجريّ، هنود حمر).

غلب على البطل تعيينه باسمه الكامل، فذُكر 87 مرة بالاسم واللقب. ولمّا كانت الأحداث تدور في القرية وليس في أنغلترا، فقد أشير إليه بالاسم دون اللقب 39 مرة. وهو تصرّف ينمّ عن علاقة النّد بالّند والألفة ورفع الكلفة بين السّارد والبطل، ويصوّر طريقة المجتمع العربي في المناداة، فلا حواجز تقام بين المنادي والمنادى، لذلك يشار إلى المخاطب باسمه دون لقبه.

ويُعدّ اللجوء إلى الأسماء المزيّفة في الرّواية انتحالا لشخصيات متعدّدة. فالبطل مصطفى سعيد يغيّر اسمه بمجرّد تغيير الأشخاص الذين يلتقي بهم، ويتقدّم لكل امرأة باسم مختلف. "فهو حسن وتشارلز وأمين ومصطفى ورتشارد" (ص 56)، فيسهم التّداخل بين الأسماء الأعلام في تداخل الهويّات وفي تشويش متعمّد للأحداث، وتمويه وسلوك غير لائق. إنّ انتحال أسماء مزيّفة يبيّن الصورة الحقيقيّة التي لا يعرفها أهالي القرية عن مصطفى سعيد. وتقوم الصفات مقام الاسم العلم لتصوّر الشّخصية الرّوائيّة على وجهها الحقيقيّ الذي أراده لها الكاتب، ولتكمّل مهمّة الاسم في التّعيين والإشارة، من ذلك صفات الأسود والبشع والهمجيّ والوغد والإفريقي والذّكي... بعض هذه الصّفات محفّزة وكاشفة عن سمات إيجابية في الشّخصية، والبعض الآخر تحقيريّ تهجينيّ.

وعموما فإنّ الصّفات الكثيرة للشّخصية الرّوائيّة تهدف إلى كشف الحقيقة عن موصوفها، وترمي إلى جعل الاسم شفافًا في مدلوله الأسمائي. أمّا انتحال الشخصية لأسماء غير أسمائها فهو يرفع القناع عن حقيقة المنتحِل ويبيّن أهمّية الاسم في طمس ذات حامله، فهو ليس من الصّفاء والصفوة بمكان.

ويعطي تنوّع التّسمية وإسناد أكثر من منادى للشخصية معلومات جديدة عن الفرد دون أنْ يغيّره تماما. فيحافظ على تفرّده وذاتيته، ويضيف إلى رصيده الزّماني والمكاني خصائص جديدة متحوّلة. فكل اسم علم يحدِّد مجموعة من المعطيات القارّة كالجنس واللقب والقرابة، ويحمل تغييرات في سيرته الذّاتية كما بدا في شخصية حسنة بنت محمود أو كما يبدو أكثر وضوحا في الشخصية المحورية "مصطفى سعيد" الغنية بالأحداث والمفاجآت والتقلّبات، في رواية تكاد تكون ترجمة ذاتية لمسيرته خارج الوطن وداخله. وكلّ شخصية يحدّدها الاسم العلم تقوم على جملة من الأوصاف والطّباع والأحداث والأدوار تجعل منها شخصية متحوّلة متحرّكة غير ثابتة متطوّرة بتطوّر السّرد. وتتنازع ذات الفرد البالغ ثلاثة تعيينات ممثّلة في الاسم واللقب والكنية، فتبدو الشخصية كأنها تتّسع وتتغيّر وتتطوّر وتنفجر كما حدث لشخصية حسنة. وعندما تكتمل الهوّية يدرج حاملها في الإطار الزماني والمكاني للمجموعة، لأنّ الأسماء الأعلام تعدّ دعامة الذاكرة الجماعية. فالتّحوّلات التي تطرأ على الفرد لا تغيّر شيئا من ذاته، لأنّ العَلَم متى اشتهر قام على ثنائية ضدية : ثنائية الثّبات والتّحوّل.

لقد تمّ تعيين البطل مصطفى سعيد بمحدّدات صلبة متحجّرة، هي الاسم واللّقب، وببدائل لغويّة إشاريّة كالضّمائر، وبألفاظ معجميّة كعديد المركّبات الاسمية المأخوذة من الرّصيد العامّ. فهي تعيينات وضعيّة (الطفل المعذّب، الرّجل الأسود، الغول الإفريقيّ، الإله الأسود...). فإذا ما

رسمنا جدولا مرقّما يبيّن تواتر أعلام الشخصيات، لاحظنا أنّ الاسم الأكثر تواترا، بصفاته المختلفة، هو اسم البطل. ولا يمثل هذا الاستنتاج مفاجأة بسبب استقطاب مصطفى سعيد للأحداث بنسبة 30.038%. هذه النسبة المرتفعة لظهور الشخصية الرئيسية (155 مرّة من مجموع 516) تدلّ على أهمّيتها وحركيّتها وسيطرتها على مجمل أحداث الرواية. وقد تبيّن لنا من خلال جرد أسماء أعلام الرّواية أنّ أعلى نسبة في التّعيين بالاسم العلم، اسما أو لقبا أو كنية، (مثل موزي اسم التّحبّب لمصطفى) كانت من نصيب الشخصيات التي لها دور هامّ في السّرد، بينما تضعف نسبة الأعلام الثانويّة والهامشيّة، كما يبيّنه المسرد التالي الذي اشتمل على عيّنة كبيرة وهامّة من الأسماء، وأهمل بقية الشخصيات التي ذكرت مرة واحدة في النّص.

1- جدول الأعلام العربية

الشخصية	العدد	المجموع	النسبة %
أ – مصطفى سعيد	87		
مصطفى	37		
موزي	13		
مستر سعيد	05		
مستر مصطفى سعيد	03		
مستر مصطفى	02		
حسن	02		
أمين	02		
الدكتور مصطفى سعيد	01		
أمين حسن	01		
تشارلز	01		
رتشارد	01	155	30.038
ب – ودْ الريّس	99	99	19.186
ج – الحاج أحمد	15		
ياسوداني	01		
جدّي	65	81	15.697
د– محجوب	74	.	.
محجوب رئيس اللجنة	01	75	14.534
هـ – بنت مجذوب	39	39	07.558
و – بنت محمود	16		
حسنة بنت محمود	08		
حسنة	06		
أرملة مصطفى سعيد	04		
مسّز سعيد	01	35	06.782
ز – بكري	25	25	04.844
ح – عمي عبد الكريم	07	07	01.356

أمّا الشخصيات الأخرى، فلم يتعدّ معدّل تعيينها باسم العلم مرّة أو مرّتين، لذلك أهملنا إدماجها في الجدول، مثل : عمّي عبد الرحمان (مرة واحدة)، عمّي عبد المنام (1) عمّي عيسى (1)، الطّاهر الرواسي (1)، بنت عمّي رجب (2). وكلّها شخصيات عابرة وغير فاعلة في النّص.

2 – جدول الأعلام الأجنبية

الشخصية	العدد	المجموع	النسبة %
أ – جين موريس	17	17	20.987
ب – آن همند	14		
جاريتك سوسن	03	17	20.987
ج – مسز روبنسن	15		
أليزبات	01	16	19.757
د – مستر روبنسن	04		
روكي	05	09	11.111
هـ – ايزبلا سمور	09	09	11.111
و– شيلا غرينور	07	07	08.641
ز – رتشارد	06	06	07.407
ح – بروفسورماكسول فستركين	04	04	04.938

ولا تدخل الشّخصيات الهامشيّة أو الحادثة في العدد الإجمالي (81) للأعلام الأجنبية، فقلّ أنْ تجاوز ذكرها المرتين مثل سور آرثر هنغنز (2) والكولونيل همند (1)... وإنّ تفاوت نسب التّعيين بالاسم العلم، وتنوّع هذا التّعيين كما هو الحال مع مصطفى سعيد وحسنة بنت محمود، لا يمكن أنْ يكون محايدا وغير واع. إنّه يوحي بدور صاحبه في النّص وبقيمة الشخصية، فكلّما تنامى ذكر اسمها أو تناقص كان ذلك علامة على

دورها في تطوّر سيْر الأحداث. وكما جاء في الجدول الأوّل فإنّ التّعيين بالعَلَم متنوّع يصاحَب أحيانا بالكنية أو بصفة دالّة على الطّبقة الاجتماعية والرّتبة العِلميّة أو بمقولة الجنس كبنت وابن ومسّز ومستر.

إنّ الاسم العلم وخاصّة اللقب يحدّد انتماء صاحبه إلى محيطه الاجتماعيّ. فمصطفى سعيد ليس ابن المحيط الضيّق المتمثّل في القرية، مسرح أحداث الرواية، وهي مكان بدون اسم، لكنه ينتمي إلى المحيط الواسع وهو السودان، فيتقاسم فضاءه مع أهالي القرية ومع كل أهالي السودان. إنه فضاء التواصل بين الشّخصيّة وبين القرويين فضاء يخفّف من غربته ويدمجه في البيئة الضيّقة، وإن كان الاسم لا يمثّل في حد ذاته عنصر غربة، بل الشّخصية هي مصدر هذه الغربة. ولذلك لم يَثُر البطل على الاسم (آن همند أو ايزابيلا غرينور)، بل ثار على حامل الاسم الذي يصبح في نظره عنصرا فارقا وتمييزا عنصريّا صارخا، ليس بسبب اسمه وإنّما بسبب ما يوحي به الاسم من ذكريات أليمة، وما يكتنز في لاوعي البطل من علاقات عدائية بين صاحب الاسم رمز الاستعمار والهيمنة، وصاحب الأرض المطالب بحقّه التّاريخيّ.

ذهب فاكسلير (Vaxelaire 2005 : 681) إلى أنّ الجمع بين الاسم واللقب عند زولا يعني أنّ الشخصية تمثّل دورا ثانويا في الرّواية. ويخالف الطيب صالح هذا التّمشّي وخاصة مع الشّخصيات التي لها مكانة اجتماعية أو سياسيّة مرموقة كمصطفى سعيد الدكتور في الاقتصاد، وأبي زيد الهلالي وعمر الخيّام وطارق بن زياد والأمير فيصل آل سعود. بل إنّ الشخصيات الأجنبية القريبة من البطل والمؤثّرة في حياته قد ذكرت في الرّواية بالاسم الكامل (اسم ولقب) كجين موريس وآن همند وشيلا غرينورد وإيزابيلا سيمور، رغم أنّه لا يمكن الخلط بينها إذا جرّدت من ألقابها لتفرّدها ولخصوصيّة تأليفها الصّوتي. فلا وجود في حياة مصطفى سعيد إلاّ لـــ"جين" واحدة أو "آن" واحدة أو "شيلا" واحدة. فالجمع بين

الاسم واللقب لا يهمّش بقدر ما يقرّب الشّخصيات من الواقع، لأنّ هويّة الأفراد تتكوّن من اسم ولقب. وقد يكون الغرض من الجمع بين اسم البطل ولقبه على امتداد أحداث الرواية رغبة من السّارد في التذكير بغربة هذه الشخصية الدخيلة على القرية، وهي غربة مادية ومعنوية. فمصطفى "ليس من أهل البلد، لكنه جاء منذ خمسة أعوام (...) رجلا في حاله، لا يعلمون عنه الكثير" (ص30).

ويتقبّل القارئ الشخصيات في الأدب الواقعي بالأسماءالمنقولة المرتجلة وغير المرتجلة وكأنّها حقيقيّة، ويُقبل عليها دون استغراب. أمّا في أدب الخيال العلمي la science-fiction فلا تستساغ الأسماء العاديّة مثل محمد وأحمد وإبراهيم، بينما تهزّ المتقبِّلَ، وخاصة الأطفال، أسماء خيالية مثل"جنغر" و"باتمان" وكزمير" و"إيشوت تولوت" و"أتلان" وحتى "السنافر". فيتفاعل معها لأنّها توحي بعالم خيالي. ولأنّ دلالتها في عدم دلالتها. فإنّ واضعها يختارها بمهارة وتحرٍّ كبير كي يعيش معها قارؤها في الإطارين الزّماني والمكاني اللذين رسم خطوطهما الكاتب دون شعور بالغربة. ويلاحظ ذلك خاصة في أدب الصغار إذ يتبنّى الأطفال أسماء هذه الشخصيات الوهمية، وما كانوا ليستمتعوا بها ويتداولوها بينهم ويتقمّصوا شخصياتها لو لم تكن خيالية غير معهودة ومصنوعة صنعا.

ليس من الضروري أنْ تتغيّر أسماء الشخصيات من أثر إلى آخر. ففي بعض الروايات يحافظ الكاتب على نفس الأسماء لنفس الشخصيات كما نرى ذلك في ثلاثية أحلام مستغانمي : "ذاكرة الجسد" (1996) و"فوضى الحواس" (2003) و"عابر سرير" (2004). فيتعوّد القارئ على نفس الأسماء ونفس الشخصيات، ويجعله هذا التّسلسل يعتقد أنّ الأحداث واقعيّة طبيعيّة بعيدة كل البعد عن الخيال، تدلّ عليها أسماؤها المتواترة في الرّوايات الثّلاث. وينشأ بالمحافظة على نفس الأسماء الأعلام ونفس الشخصيات نوع من التواطؤ والتواصل بين الكاتب وقرائه. كما يسهم هذا

الأسلوب في تماسك النص وتناسقه la cohésion du texte et sa cohérence.

يمكن أنْ نصنّف شخصيات "موسم الهجرة إلى الشمال" إلى صنفين يتقابلان في صفة العفّة :

– صنف مزواج مطلاق لا معنى للحياة عنده إلاّ في تصيّد المرأة أو الرجل، ولا يرى للحياة قيمة غيرِ الجنس والجسد (الطّيّب صالح : ص 30، 40). فمصطفى سعيد لم تصفُ له الحياة في عالم النساء، ولم يسعد بقربهن لأنّ هاجس الانتقام يحرّكه. فقد كان في "اصطياد "مستمر، إذا أوقع واحدة في شراكه "أسرج حصانه" ورحل مطاردا صيدا آخر. ولا يهنأ له العيش إلاّ بعد أنْ يوقع به. إنّ القارئ أمام عالمين متناقضين، عالم نساء أوروبا مثل آن همند وإيزابيلا سيمور... "يقبلن على الحياة بمرح وحبّ استطلاع" (ص 57)، وعالم الرّجل الشرقي ممثّلا في مصطفى سعيد"صحراء الظمإ، متاهة الرغائب الجنوبية" (ص 57)، عالم "زير النساء". ولا يختلف ودْ الريّس عن مصطفى سعيد، فرغم تقدّمه في السّن فإنّ "رئاسته" مقتصرة على عدد الزيجات، "لا يعنيه من المرأة إلاّ أنها امرأة" (ص89). أمّا بنت مجذوب، هذه الشخصية الطّريفة، فهي كما يدلّ عليها اسمها، ما زالت جذّابة وهيٍ في السبعين من عمرها، تهافت الرجال عليها فتزوجت ثمانية أزواج، وطُبعت، إلى جانب جمالها، بطباع الرجال وجرأتهم وعدم تحرّجهم من الكلام المحظور، ممّا جعلهم يستأنسون بمجلسها ويحبّذون صحبتها، فتشاركهم عالمهم بتدخين السجائر وشرب الخمر والقسم بالطّلاق مثل الرّجال، والتّفكّه بمواضيع ممنوعة عن النّساء في حضرة الذّكور.

– ويقابل الصّنف الأوّل من الشّخصيات صنف ثان يدلّ المعنى الوضعي المعجمي لأسمائها على ما تتّصف به من صفات حميدة. فالحاجّ أحمد، جَدّ الراوي، يختلف عن بقيّة شخصيات الرّواية اختلافا تامّا، فهو

يتّصف بدماثة الأخلاق والتشبّع بروح الإسلام، لذلك خصّص الكاتب اسمه بالبدلية الدّينية "الحاج أحمد" ذات الإيحاء الدّينيّ الخالص. ولم تمنعه هذه الكنية الدّينيّة من الاعتدال في مواقفه وأحكامه، فاكتفى مثل صديقه بكري بزوجة واحدة، ولم يتزوج بعد وفاتها. إنّ في عدم تعدّد الزوجات خروج عن المألوف في محيط ريفيّ يبدو فيه الاكتفاء بزوجة واحدة تصرّفا غير طبيعي. يقول الراوي : "كُنَّا بالفِعْلِ مَعْروفِينَ فِي البَلَدَ بأَنَّنا لاَ نُطَلِّقُ زَوْجَاتِنَا وَلاَ نَتَزَوَّجُ عَلَيْهِنَّ، وكَانَ أَهْلُ البَلَدِ يَتَنَدَّرُونَ عَلَيْنَا وَيَقُولُونَ إِنَّنَا نَخَافُ مِنْ زَوْجَاتِنَا" (ص 90).

2.4 – بين الواقعية والخيال

1.2.4 – اختيار مبرّر

يقوم اختيار أسماء شخصيات الرواية على ثنائية الواقع والخيال. ويحيل أحد طرفي الثنائية إلى مذكور من واقع الأحداث، بينما يحيل الطّرف الثّاني إلى مرجع يشير إلى شخصيات واقعيّة تاريخيّة وأسطوريّة وأدبيّة وسياسيّة وغيرها. وتقسّم أسماء الشخصيات حسب بعض المحلّلين ونقّاد الرواية تقسيمات مختلفة تفسّر سبب إسناد الأسماء في العملية الأدبية. ومن هذه التصنيفات ما ذكره فاكسلير Vaxelaire(2005 : 668) :

- أسماء لها علاقة بخصائص الشخصيات فيجمع بين الاسم والشخصية رابط وثيق.
- أسماء لها علاقة بالأماكن التي تدور فيها الأحداث كالأسماء العربية في رواية فرنكوفونية تجري أحداثها في تونس أو الجزائر أو لبنان.
- أسماء لها علاقة بالعصر الذي تدور فيه الأحداث فتتضمّن شبها تاريخيا كالروايات التاريخية أو كشخصيات الإيحاء في رواية واقعية.

- أسماء اختيرت لشكلها وليس لمضمونها، وهي الأقل توظيفا وتواترا لأنها أقرب إلى الاعتباط منها إلى العقل والتبرير.

وتسند إلى الشّخصيات أسماء فكاهيّة تدعّم دورها في الرواية أو تناقض حقيقتها، كأنْ يسمّى الشخص لبيبا وهو غبي أو قنوعا وهو أكول أو أسود وهو أبيض. ومما يؤكّد الاختيار الواعي لأسماء الشخصيات الأدبية أنّ الإغريق القدامى كانوا يميّزون بين أسماء الشخصيات حسب الجنس الأدبي. فأسماء شخصيات التراجيديا تختار من الأسماء الحقيقية والتاريخية، بينما تركّب أسماء شخصيات الكوميديا تركيبا هزليا خياليا.

هذه الشّفافيّة في اختيار الشّخصيات حسب الجنس الأدبي، وهذا الوضوح في التّمييز بين أدوار الشخصيات أساسه الاسم العلم. فعندما تكون الأسماء واقعية وليست خيالية، وعندما تكون شبيهة بالكُنى والألقاب المعروفة والأسماء المتداولة والتاريخية، يتبادر إلى ذهن القارئ أنه أمام أحداث حقيقية. ويقوى عنده هذا الإحساس مع أسماء المواقع الحقيقيّة.

ويربط الاسم العلم الأحداث بشخصياتها وأماكنها متى كانت أعلام إخبار، فتطابق التّسميات المسمّى وتترجم عن الواقع وتقرّب الأصوات المكوّنة للاسم من المعنى. ويهدف اختيار الاسم من الواقع إلى تحقيق أبعاد فنّية واجتماعيّة وتاريخيّة وأخلاقيّة يريد الكاتب تبليغها إلى قارئه.

ويطالَب الروائي عند اختيار الأسماء أو عند وضعها، بالمحافظة على دالّ مقبول في تأليفه الصّوتيّ وبنيته الصّرفيّة حتى يكون أقرب ما يمكن تعبيرا عن الواقع وقربا من الحقيقة، وحتى يكوّن به دليلا بوجهيه الدّاليّ والمدلوليّ. ولا يهمّ إنْ كانت الأسماء واقعيّة أو خياليّة، بل الذي يهمّ أنْ تشبه في تأليفها الصّوتي وبنيتها الصّرفيّة الأسماء الحقيقيّة وإنْ كانت من ابتكار الكاتب، ما دام قد احترم في وضعها جملة من المقاييس والمواصفات اللّغوية التي لا تخرج عنها عناصر المدوّنة العامّة ومكوّنات الرصيد العربي. فإذا ما وضع المبدع أسماء خياليّة مبتكرة من عنده، فهو

يبنيها بناء لغويا محكما في البنيتين الصّوتية والصّرفية للغة حتّى تنسجم مع النظام ولا تمثّل نشازا بتنافر حروفها أو بغرابة أنماطها الصّيغيّة، وتوهم بالواقعية، وتدلّ على معنى ضمنيّ أراده لها مبتكرها. هذه الدلالة قد تكون معنوية أو مادّية أو نفسانية كمجنون ليلى وتأبط شرّا ومدينة الأنوار. فمحتوى الاسم المركب يوحي بحالة حامل الاسم.

إنّ اختيار أسماء الأعيان خارج سجلّ التّسميات المعهودة يجعل المؤلف يستعين بالقاموس وبالرّصيد العامّ حتى تناسب التّعيينات الموضوعة مفاهيم اعتاد عليها القرّاء، فلا تنفّرهم من الرواية ولا تبعدهم عن عالم الحقيقة، لأنّ عملية الابتكار وتركيب اسم علم جديد ليست إلاّ عملية تحويل اسم عام إلى اسم علم متكوّن من اسميْ جنس كبرق الليل، أو من صفة وعَلَم كمجنون ليلى، أو من صفة وتركيب اسمي إضافي كجابر عثرات الكرام، أو من تركيب إسنادي على شكل جملة مثل سُرّ من رأى. والغرض من هذه الأسماء الخارقة هو لفت النظر إليها، والتفكير في دلالاتها اللغوية وعلاقتها بالمسمّى، والتساؤل عن جدوى حلولها في النّص محلّ أسماء عادية مألوفة كمحمّد وأحمد ويحيى، وعن علاقتها بالواقع خارج إطار القصّة.

لقد تبيّن لنا أثناء تحليل "موسم الهجرة إلى الشّمال" وهي رواية مليئة بأعلام الأشخاص والأماكن، أنّ الطيب صالح يمتلك طاقات إبداعية خلاّقة وقدرة على التخيّل ومهارة في الصّنعة الأدبية، تمثّلت أساسا في التركيز على دور الأعلام في الرّواية وحسن توزيعها على الشّخصيات وإكسابها معاني تخدم النّص وتدفع بأطوار الرّواية إلى الأمام. فقد راوح اختياره للأسماء الأعلام بين الحقيقة والخيال. فالأمكنة الواسعة كالسودان ومصر وأنغلترا، والأمكنة الأقل اتّساعا كالخرطوم ووادي النّيل والقاهرة ولندن، أمكنة حقيقيّة توهم بصحة الأحداث وواقعية المغامرات وتبدّد شكوك القارئ وريبته. إنّ الأمكنة الحقيقية تمثّل أكبر خدعة يلجأ إليها

الكاتب ليوهم القارئ الذي يعرف هذه الأمكنة بأنّ كلّ ما يدور فيها من أحداث خياليّة ومصنوعة هي أحداث مقبولة وحقيقيّة. فيختلط في ذهن المتقبّل الخيال بالواقع، ويمتزج الطبيعي بالوهمي. ويكون هذا الصنف من الكتابة واقعيا بتوظيف شخصيات خيالية في محيط جغرافي حقيقي، وتحريكها في أطر مكانيّة يعرفها القارئ، بالإضافة إلى دعائم أخرى تجسّد الواقع ممثّلة في الشّخصيات التّاريخية والدّينية والأدبيّة القريبة من ثقافة القارئ. فالشخصيات الإيحائية ليس لها نفس حضور الشخصيات الإخبارية، ولكنّ ظهورها إلى جانب الأطر المكانية الحقيقية يوهم بواقعيّة الأحداث.

ويبدو الدّور الوظيفيّ للأسماء في الرّواية في ما تحمله من مداليل لغوية وإيحاءات اجتماعية وحضارية وجغرافية وفي انسجامها مع الواقع العربي الإسلاميّ الإفريقيّ. فلو أنّنا حافظنا على نفس الأحداث ونفس الأمكنة واستبدلنا أسماء الرواية بأسماء غير عربية وغير إسلامية وغير سودانية لفقدت الأحداث روحها وعمقها وواقعيّتها وصدقها، ولتملّكت الحيرة القارئ بسبب ما يمكن أن يطغى على أركان الخطاب من فوضى. فالنّص يستمدّ مصداقيته من أعلامه أشخاصا كانوا أو أماكن، واقعيّة أوخياليّة. وتدلّ أسماء الشخصيات الخياليّة دلالة الأسماء الحقيقيّة على أصل لغوي وعرقي وعلى وسط اجتماعي. وتشير الأسماء إلى جنس أصحابها، وربّما تشير إلى سنّهم وعصرهم ومحيطهم الجغرافي، فـ"وِدْ الريّس" تلفّظ سوداني ريفي و"ولد دادة" خصيصة موريتانية في نسبة الأشخاص و"ابن فلان" كنية تكاد تكون عامّة في البلدان المغاربية ، بينما "آيت فلان" هي تسمية بربرية أمازيغية.

إنّ اللاّفت للنظر في هذه الرواية ليست الأسماء المحليّة العربيّة كمحجوب ومصطفى وحسنة وإنّما هو كثرة الأسماء الأجنبية. وهي أسماء إخبار وأسماء إيحاء. وما من شك أنّ الشخصيات العربية البسيطة كودْ

الريس والشيخ أحمد وبكري وبنت مجذوب... لم تسمع قط بأسماء مثل بيتهوفن وأفلاطون وبرناردشو وروزفلت، بل إنها لم تسمع حتى بالأسماء العادية التي هي أسماء إخبار كسوزان وآن وإليزابيث، فهي شخصيات من عوالم البطل والراوي اللّذين لا يجدان صعوبة في النّطق بها، وفي التّمييز بين جنسها وسنّها ودورها في الرواية. هذه الشخصيات الغربيّة تمثّل الثقافة التي تتقاسمها شخصيتا البطل والراوي.

لا يمكن للقصّة أنْ تقوم بدون أسماء أعلام. فالشخصيات الخيالية والواقعية تمثّل في الخطاب عناصر حيّة كالتي تعترضنا في الكون بلحمها ودمها وحركتها. والأسماء الأعلام في هذا النّص بعضها حقيقي مأخوذ من اللغة والاستعمال كمصطفى سعيد، والبعض مستعار من الجغرافيا والتاريخ والأساطير والخرافات والفنون والعلوم. وهذا التنوع يمزج القديم بالحديث والشرق بالغرب والموسيقى بالرسم والسياسة بالدّين والطبقة الأرستقراطية بالطبقة الشّعبية. وقد تمّ كل ذلك بتوظيف الاسم العلم الذي بذكره اختلطت الأحقاب التاريخية وتأجّجت الأحقاد ونمت الدلالات الإيحائيّة التّضمينيّة.

إنّ إسناد اسم علم إلى المسمّى في العالم الحقيقيّ أو الخياليّ يخضع لنظام ثلاثيّ قائم على وظائف التّعريف والتّصنيف والتّحديد اجتماعيا وقصصيّا. وإضافة إلى وظيفته السردية التي تعيّن الشخصية وتعرّفها بوسائط متعدّدة أهمّها ذكر سماتها، فإنّ الاسم العلم القصصي هامّ كما يقول بارت لأنه "يؤسس حقا للقصة" (نيكول 239 : E. Nicole 1983).

3.4 – ترجمة الاسم العلم

1.3.4 – منهج الترجمة

اعتبر الاسم العلم غير قابل للتّرجمة بسبب وظيفته التّعيينيّة وتفرّده وخلوّه من الدلالة. فالأفكار هي التي تترجم، ووحدات المعجم وحدها تنقل من اللغة المصدر إلى اللغة المورد، إلاّ أنّ الأعلام المنقولة في الأثر من

لغة إلى أخرى، كما يكثر ذلك في "موسم الهجرة إلى الشمال"، تستوقف الدارس وتطرح مجموعة من الأسئلة :

- كيف يتعامل الكاتب المترجم مع الأصوات المكونة للاسم العلم الأجنبي في حال تعريبها ؟

- هل يطوّع الاسم الأجنبي للأنماط الصيغية العربية ؟

- هل يحافظ على شكل الأسماء العادية كما هي في اللغة المنقول عنها ؟ أم يذكر مقابلها في اللغة المنقول إليها، كمقابلة يوسف لجوزيف ويعقوب لجاكوب وموسى لمويز والنمسا للأتريش ؟

- ما هو تبرير تعريب بعض الأسماء والإبقاء على عجمة أسماء أخرى ؟

- هل إنّ ظاهرة ترجمة الأسماء الأعلام الأجنبية في الأثر الأدبي تبقى ظاهرة لسانية بحتة أم تحرّكها دوافع أخرى، فوق لسانيّة extralinguistique، أي دوافع سياسية وقومية وعرقية ؟ "ففي إيطاليا، نتج عن تدخّل السياسية الفاشيّة في اللّغة انطواء الأدب على الإنتاج القومي، وفي حالات قليلة "طَلْيَنة" الأسماء" (برني كاناني : M.B. Canani 1994 181, note2).

ويطغى على منهج نقل الأسماء الأعلام طابع الذّاتية. فهذا الميدان في حاجة إلى منهجيّة واضحة شاملة متناسقة، خاصّة على المستويين الصّوتي والصّرفي، وباعتبار العوامل الثّقافيّة والدّلاليّة والاجتماعية التي تستدعي في بعض الحالات وجوب المحافظة على الاسم، لما يحمله من خصائص دلاليّة وتأصيليّة تحدّد دوره في النّص. فلا يمكن ترجمة اسم بوفاري (Bovary) باسم عربي كالساذج أو الأبله، لما يكون قد حمّله له واضعه من شحنات دلالية تعكس شخصيّة البطل، يفتقدها الاسم بالترجمة، ففي اسم بوفاري (Bovary) كما يقول فاكسلير (Vaxelaire 2005 : 187)

"شيء من البلاهة" تتّصف بها شخصيّة شارل بوفاري بطل الرّواية، للشبه في التأليف الصوتي بين Bovary و Bovin التي تعني حيوانا من جنس الأبقار والثيران والعجول. إنّ سمات الاسم المعجميّة لا تظهر في الاسم المعرّب، ولا تؤدّي الترجمة نفس المعنى بنفس الدّقة، لأنّ كل ترجمة تعدّ خيانة وتضرّ بالمعنى الأصلي. ويسحب هذا الحكم على الأعلام المشحونة ثقافيا ودلاليا وإيقاعيا. وهي خصائص يصعب تحقيقها بالتّرجمة ويستحسن نقلها بالتعريب.

وإذا اختار المترجم ترجمة الأسماء، فعليه أنْ يلتزم باختيارات الأثر الأصلي، وأنْ يوجد مقابلا يؤدّي نفس المعنى في اللغتين، ويمكّن قارئ الترجمة من تأويل معاني الأحداث تأويلا قريبا من القراءة الأصلية. وإذا لم ينجح في تحقيق هذا الهدف فقد أخفق المترجم في نقل روح النّص نقلا واضحا، ويصبح بذلك واضعا لنصّ جديد بأفكار وشخصيات وأطر جديدة، وليس مترجما لأثر موجود؛ لأنّ الأسماء الأعلام ليست عرضيّة في الأثر الأدبي وليست وليدة الصدفة، بل هي مقصودة ومحمّلة بالرموز.

هذا التقابل بين الإفراط الدلالي l'hypersémanticité (كاناني182 : 1994; M .B.Canani)، كما في السّيدة بوفاري *(Mme .Bovary)*، ومجرّد التّعيين كما في إليزابيث، يمثّل جوهر ترجمة الاسم العلم أو تعريبه. وإنّ التّوفيق بين وظيفتي التّعيين والدّلالة يعتبر من أهم المشاكل التي تعترض ناقل الأسماء الأعلام الأجنبية.

2.3.4 – ضوابط النقل

من ضوابط النّقل التي وضعها كاناني (182 : M.B.Canani,1994) أنّ الأسماء الأعلام المشهورة والدّالة على نفس المرجع في كلّ اللّغات، تترجم بلسان اللغة المنقول إليها مثل ديكارت (1596–1650) اسم الفيلسوف الفرنسي المعروف. فمرجعيته واحدة مشتركة بين كلّ اللغات

لأنّها مألوفة عند القارئ لاشتهار صاحبها، لذلك يسمح بنقل الاسم من لغة إلى أخرى بطريقة مختلفة بواسطة إعادة التّسمية la re-nomination (كاناني 1994 : 182) فينجز الاسم في الفرنسية Descartes وفي الإيطالية Cartisio وفي العربية ديكارت. أمّا إذا أصبح نفس هذا الاسم العلم معيّنا لشخص عادي، فلا يقبل حسب كاناني (1994 : 182) تغييرا بنقله إلى لغة أخرى، ويحافظ على عجمته في اللغة المتقبّلة.

وتخصّ هذه الضوابط الأسماء المستوحاة من الواقع، التي وضعتها الجماعة اللّغوية خارج النّص وتداولتها في الاستعمال. فهي أسماء من العالم الخارجي extratextuel، توظّف في النّص وتصبح منتمية إلى العالم الداخلي للأثر intratextuel. أمّا الأسماء الموضوعة والتي يبتدعها المؤلّف قصد تطويعها لخصائص الشخصية الأدبية فهي من عالم النّص الداخلي.

ويرجع كاناني عدم ترجمة الأسماء الأعلام المألوفة إلى أكثر من سبب :

– يمكن أنْ يحصل تشويش على دلالة الاسم العلم في محيطه اللغوي.

– قد ينتج عن ترجمة الأعلام إلْتباس في اللغة المنقول إليها بسبب اختلاف الثقافات. ويلاحظ هذا في اللغتين الفرنسية والإيطالية، فرغم انتمائهما إلى نفس العائلة اللغوية، فإنّ الاسم العلم جنفياف Geneviève لا يحمل أيّ دلالة إيحائية تهجينيّة أو تعظيميّة في الفرنسية، يمكن أنْ نخصّه بعلامة معجميّة محايدة (–)، بينما يثير الاسم جينوفيفا (Genoveffa) في ذهن المتقبّل الإيطالي صورة السّاحرة أو الشّرّيرة (كاناني 1994 : 183). فنفس الاسم يمكن أنْ يكون محمّلا بدلالة إيحائية تهجينيّة Connotation péjorative في لغة دون أخرى.

ومن سلبيات ترجمة الاسم العلم أيضا التّفريط في بعض معانيه الأساسية عند قارئ غير مطّلع، فلا يثير فيه اسم" دون كيشوت" الإحساس بالعبثية وفي نفس الوقت الإحساس بالفكاهة والهزل، وكذلك الأمر عند انتقال اسم جحا من نصّ عربي إلى نصّ أجنبي دون أنْ يصاحب بتوضيحات ونعوت وأوصاف خاصة بالشخصية تعرّف بها لدى القارئ الأجنبي وتضعه في الإطار الروائي الحقيقي.

ولئن كانت الوحدات المعجميّة العامّة تتميّز عن الأسماء الأعلام باختصاصها بالظواهر الدّلاليّة العلائقيّة كالاشتراك الدلالي والترادف والتضاد، فإنّ الاشتراك اللفظيّ، وهو مظهر معجميّ قائم على الاشتراك في اللفظ مع الاختلاف في العلاقات المرجعية، له دور في توسيع دائرة تعيين الأسماء الأعلام. هذا النوع من الاشتراك اللفظي يستوجب في مستوى نقل الاسم العلم بالتعريب، المحافظة على شكل الاسم العادي في اللغة الأصلية، والتّصرّف في الاسم المشهور بما يناسب نظام اللغة الصوتي والصرفي. فمدينة قرطاج عاصمة الإمبراطورية القرطاجنّية (814ق.م 146) تنجز Carthage بالفرنسية وCartagèna، بالإسبانية، وهو اسم أسند لاحقا إلى مدينة إسبانية. والاشتراك العَلَمي، كالاشتراك المعجمي، يحيل على مراجع مختلفة من ذلك مثال نابليون :

نابليون I (بونبرت) (1769–1821) Napoléon I

نابليون II (1811–1832) Napoléon II

نابليون III (1873–1908) Napoléon III

لكنْ إذا اتّفق المرجع واختلفت اللّغات، فلا ينطبق الاشتراك اللفظي على نفس الاسم العلم بسبب مناسبة اللفظ لنظام اللغة الآخذة، ومن ذلك المثالان كليوبترا ومارك أنطوان اللذان ينجزان في لغات ثلاث بطرق مختلفة :

الفرنسية	الإيطالية	العربية
Cléopâtre	Cleopatra	كليوبترا
Marc Antoine	Marcantino	مارك أنطوان

وقد رافقت بعض الأسماء الأجنبية في "موسم الهجرة إلى الشّمال" ألقابا دالّة على الوضع الاجتماعي والثّقافي والسّياسي للأعلام، جاء جزء منها مترجما والجزء الثاني معرّبا، مثل صحيفة التايمز وصحيفة الماتان le Matin وقصر ليليزي l Elysées. فقد بقي على سبيل المثال في "صحيفة ماتان" المكوّن الثاني للمركب دخيلا على العربية حتى لا يلتبس الأمر بين صحيفة ماتان الفرنسية وصحيفة "الصباح" التونسية أو غيرها من الصحف العربية التي تحمل نفس الاسم. وجاءت أسماء أخرى معرّبة ومحافظة على طابعها الأعجمي رغم وجود مقابل عربيّ لها، من ذلك بروفسور ماكسول فستركين والسير بنتاين وكابتن سكوت ومستر روبنسن ومسّز روبنسن. ولهذا الاستعمال المكثّف للأسماء الأجنبية في الرواية تأويلان : يعود التأويل الأوّل في نظرنا إلى تأثير الثّقافة الاستعمارية الغربيّة في البطل، فهو كما قيل عنه "كان ابن الأنكليز المدلّل" (ص68). أمّا التأويل الثاني فتفسره الأطر الجغرافية والاجتماعية واللغوية.

وقد نقلت الأسماء في رواية الطّيّب صالح بتحويل الأصوات التي لا توجد في النظام الصوتي العربي بمقابللها في الألفبائية العربية. فعوّض حرف "القاف" "G" مرة بحرف الغين كما في كوبنهاغن Copenhagen ومرة بحرف الكاف كما في انكلترا England، بينما عرّبت أسماء أشخاص مثل رتشارد Richard وتشارلز Charles وطوماس Thomas بنفس تأليفها الصوتيّ وإيقاعها النّطقيّ في اللغة المصدر وبنفس بنيتها الشكلية النّمطيّة. وتصرّفت اللغة الآخذة في أسماء أعلام أخرى فعرّبتها بإخضاعها لنظام اللغة الصّوتيّ والصرفيّ كسويسرا Suisse وفرنسا

France... ونقلت الفرنسيّة كثيرا من الأعلام بإدخال تحويرات صوتيّة عليها مثل Sésame الاسم العربي سمسم على وزن فعلل.

وتكثر ترجمة الأسماء الأعلام في النّصوص الموجّهة إلى الأطفال، وخاصّة في الرسوم المتحرّكة والأشرطة المصوّرة. فالغرض من الترجمة في هذا الجنس الأدبي تربويّ، يمكّن القارئ أو المتفرّج الصغير من ربط الصّلة بين الاسم والمسمّى وحلّ رموزه وفهم الدّلالة التي أرادها له الكاتب. فلتعويض الاسم الأصلي باسم عربي مترجم له أهداف تعليمية وثقافية وقومية وفنّية أيضا، إذ يحصل لدى الطفل شعور عجيب غريب عند تقبّله لهذا الاسم المبتكر وغير المألوف، وينمو عنده هذا الإحساس بما يتوفّر له الآن من إمكانية الاطّلاع على النّص الأصلي والنّص المترجم في البرامج المعروضة على القنوات التّلفزيّة التي تمكّن المتفرّج الصّغير من المقارنة التلقائية الواعية أو اللاّواعية بين الأسماء في اللغتين، وتنمّي فيه، بحكم انتمائه إلى اللغة الأم، هذا الشعور العجيب الغريب تجاه اسم البطل، فيفضّل الترجمة التونسية "نقّار الزّهواني" عن الاسم الأصلي "Whoodi Whood Peker" لِما تحمله التّرجمة من أصوات مألوفة ومن دلالة هزلية مضحكة، تدلّ على طباع شخصية الصورة المتحرّكة ومرحها.

أمّا إذا صنعت أسماء الشخصيات صنعا كاملا، فيتمّ التّركيز في نقلها على الجانب الشكلي، ويحافظ على وظيفة التّعيين. وإنّ الاهتمام بالبنية غرضه التأثير في المتقبّل الصّغير تأثيرا شكليّا لا معنويا، لما تلعبه الأصوات من دور إيقاعي مضحك يجمع بين الحروف المتنافرة والمقاطع المتكررة. ففي مسلسل السنافر les schtroumpfs، عيّنت هذه المخلوقات الزّرقاء الصّغيرة جدّا التي تعيش في الفقاقيع، بأسماء مركّبة تدلّ على وظيفتها الاجتماعية وعلى طباعها، وتميّز كل شخصية عن غيرها بصفاتها الخاصّة كسنفور كبير وسنفور أكول وسنفور غضبان. وقد سهّل المقابل العربي للأسماء الأعلام تواصل الأطفال مع شخصيات هذه

الرسوم المتحرّكة، وعملت صفات هذه المخلوقات وأدوارها على وضوح الصورة لدى المتفرّج الصّغير، ومكّنت من متابعة أطوار أحداث القصة، والتّفاعل مع شخصيات السنافر الطيبة ومساندتها معنويا ضد"شرشبيل" عدوّ السّنافر الذي يتكوّن جزء من اسمه من لفظ "شرّ". فقد ساعدت الترجمة على انتشار أسماء هذه الكائنات الخيالية الغريبة بين عامة الناس، فأصبحت موضوع دعابة تشتق منها أفعال خاصة بلغة المراهقين مثل سَنْفَرَ / يُسنفر، وكنًى يطلقها الكبار على الصغار تحبّبا وتهكّما. وتوسّع في الاستعمال الحقل الاشتقاقي لهذه الأسماء، فشمل عديد المقولات، كمقولة العدد (السّنافر) ومقولة الجنس (سنْفور / سنفورة) ومقولة الحدث المقرون بزمان (سَنْفَر، يُسنفِر).

ولكسب المستهلك الصغير، يعمد المترجم إلى وضع أسماء للشّخصيات توحي تسميتها العربية بالمعنى الأول في اللغة المنقول عنها، وتسهّل الفهم والتّفاعل مع الأحداث والأسماء لدى المتقبل العربي، وتحافظ على خصائص النظام الصوتي والصرفي للغة المورد. نلاحظ ذلك في أدب الأطفال الشعبي المحكيّ والمكتوب، وفي الحكايات الخيالية ذات الطّابع الكوني الإنساني كحمراء حمراء le petit chaperon rouge وبيضاء الثلج Blanche neige... حيث" يصبح المحتوى الدلالي لمكونات الاسم ذي القيمة الوصفيّة العنصر الذي يجب المحافظة عليه في اللغة المترجم إليها" (كاناني، 1994 : M.B.Canani 191). فإذا ما ترجم مضمون الاسم ترجمة حرفية، نتجت عنه تسمية جديدة دالة.

إنّ الوظيفة الطبيعية الأولى للاسم العلم هي مجرّد التّعيين بسبب تفرّد المرجع الذي يحيل إليه. أمّا في الأثر الأدبي فإنّ للعَلَم _ إلى جانب وظيفة التّعيين والتّخصيص – وظيفة الإيحاء. فتسهم الترجمة في ضمان استمرارية هذه الخصائص مجتمعة. ويسعى المترجم إلى تحديد بناء الذّات في اللّغة الآخذة بأدوات ثقافيّة وحضاريّة ولغويّة حتى لا يكون نقل الاسم العلم إلى عالمه الجديد إفراغا له من محتواه الرّمزيّ بل يجب أنْ يكون عنصر ثراء وغنًى.

الخـــــاتـــمـــة

تعرض البحث إلى آراء اللّغويين المتقدّمين حول الاسم العلم وآراء المناطقة المتأخرين (القرنين 19-20)، ووقف عند أبحاث لسانيين اختصوا في الأسمائية وجددوا في دراسة الاسم العلم على جميع المستويات اللغوية : معجميّا ودلاليّا وتركيبيّا وبلاغيّا. فقد أصبح للاسم العلم في بنية القاموس وجود مباشر وغير مباشر. تتمثل علاقة العلم المباشر بالمدوّنة الكبرى للقاموس عندما يصبح مدخلا من مداخله العامّة حتّى وإنْ كان مدخلا فرعيّا يرد عادة في آخر الحقل المعجمي الذي يجمع جذوع الجذر الواحد، وهو ما اصطلحنا عليه بالعلاقة المباشرة رغم الحكم السائد معجميّا بإقصاء الاسم العلم من القواميس العامّة نظرا إلى خلوّه من الدّلالة. وبالمقابل يكثر وجود الاسم العلم بطريقة غير مباشرة في البنية الصغرى للقاموس العام. فيكون طرفا في تدعيم التّعريف، ويمثّل جزءا من المثال المنقول أو المصنوع، أويذكر في النّصّ القاموسيّ باعتباره صاحب الشاهد الشّعريّ أو النّثريّ لا يذكر لذاته، بل للاحتجاج به ضمن سياقات المدخل العامّ.

لا شك أنّ الوظيفة الأساسية للاسم العلم تعيينيّة تخصيصيّة. وهي فكرة بنَى عليها المناطقة أطروحاتهم، واعتبروا العَلم غير مُخبِر عن حامله ولا يتضمّن أي محتوًى وصفي نعني أساسا (نظريتي ميل وكريبك). فقد اهتم المناطقة بقيمة الاسم العلم المرجعيّة، وأهملوا قيمته الدّلالية، باستثناء مناطقة بداية القرن العشرين مثل فريج وروسل وكوين وستـــــراوسن وجسبرسن (Frege وRussel وQuine وStrawson وJespersen)، (فكسلير.Vaxelaire : 2005 ص697-711)، واعتبروه خاليا من المعنى لا يدلّ على مرجعه ولا يصفه بل يحيل إليه. ويعود اهتمامهم بالاسم العلم لما يمثّله من جوهر قضايا الفرد والذّات، فجعلوا

منه موضوعا لتطارح عديد المسائل الفلسفيّة كالوجود وعدمه، والذّات والمرجع، وعلاقة الجسد بالاسم الذي يعيّنه. وظهرت أطروحات اعتبرت من اهتمامات فلسفة اللغة كنظريّة "المعيّن المتحجّر" لكريبك ، والنّظريّة الوصفيّة التي تقوم على "حزمة الصّفات المحدّدة لحامل الاسم" لستراوسن Strawson (فكسلير J.L.Vaxelaire 2005 : 702-705).

لم تعتن الدراسات اللسانية بالاسم العلم باعتباره ظاهرة معجميّة توليديّة تستحقّ الدّرس المعمّق إلاّ في بداية السبعينات من القرن الماضي (ق 20). فعادت المدرسة الفرنسيّة إلى القاموس التّاريخيّ تبحث فيه عن الوحدات المعجميّة ذات الأصول العَلَميّة المتحوّلة بالمعجمة إلى مداخل عامّة.وتناولته اللّسانيات الحديثة بمقاربات مختلفة، وخاصّة المقاربة النّصية أي معالجة الاسم العلم داخل النّص والوقوف عند القضايا الدّلالية المعجميّة والتّركيبية التي يثيرها وضعه داخل السّياق. وقد ظلّت أطروحات اللّغويين حول الاسم العلم قبل هذا التاريخ لصيقة بأطروحات المنطق، تكرّرها ولا تطوّرها، وإنْ كانت غاري بريور (Gary-Prieur) لا ترى خطرا في الأخذ بأفكار المناطقة، ولكن تنصح بالتّفطن إلى الحدود التي ينبغي للّساني عدم تجاوزها (1994 : 14). وبقيت مقاربة الأسمائيين في البداية لاسم العلم مجرّد عرض مدرسيّ سطحيّ يتناول مسائل شكلية كالرسم (حرف التاج)، والتّحديد أو التّعيين (الألف واللام)، والعدد (المثنى والجمع)، والخلوّ من المعنى (يشير ولا يدلّ).

ثمّ تخلّصت اللسانيات من المقاربات المنطقيّة الخالصة للاسم العلم بظهور عِلْم جديد ضمن علم المعجم هو الأسمائية بفروعها المتعدّدة وهي الأعلامية والمواقعية والمسمّياتيّة والأسمائية المجازية والأسمائية التّوليديّة. تدرس الأسمائية اللسانية الاسم العلم في وضعه الطّرازي الثّابت عندما يكون لفظا منعزلا، وفي وضع التّحول المعجميّ أو السّياقيّ داخل الخطاب. فظهرت بحوث عديدة حول الاسم العلم الثّابت والاسم العلم

المتحوّل بالمحدّدات والمشيرات والمَعْجمة. وأقبل الدارسون على العَلَم المحوّل والمُمَعْجم أكثر من العَلَم غير المحوّل، يبحثون في التّغييرات الدّلاليّة والصّرفيّة الطّارئة عليه. فالظاهرة جديدة ثرية بالاستنتاجات.

يمكن للاسم العلم أنْ يقبل مقولة العدد ومقولة الجنس ومقولة التّعيين بالألف واللام وبالإضافة. وهو في تشبّهه نحويا بالاسم العام يفقد سمة التفرّد. وبالإمكان أيضا تخصيصه بمركبات وصفيّة، فيحلّ العَلَم محلّ الصّفة لا الموصوف مثل : جاء رجل أشعب، وأنت جحا. وفي هذه الحالة الأخيرة اختلاف بين العربية والفرنسية التي تكون الأعلام فيها صفات متى تحوّلت بالمعجمة واستعملت استعمالا مجازيا بتشبيه (أ) بـ (ب) في المثال "Jacques est un Don Juan" بمعنى "جاك زير نساء". وينتقل الاسم العلم في الوصفية والمجاز والاستعارة والمعجمة من التّعريف في وضعه الثّابت إلى التّنكير في وضعه المحوّل متى فارق التّعيين والتّخصيص إلى التّعميم والشّمول، وهو تحوّل يأتيه حسب النّظريّة الأسمائية من السّياق ومن مختلف المقامات التي يكتسب منها معاني لم تكن له.

إنّ قراءة التراث اللّغوي العربيّ تبيّن عمق التّحليل وبعد النّظر ودقّة التّفكير. فقد عالج اللّغويون العرب مثل سيبويه والمبرّد وابن جني والسّهيلي وابن يعيش... مسائل متعلّقة بالاسم العلم، هي الآن مواضيع بحث ونقاش في علم الأسمائية. من هذه المسائل التي تطرّق إليها اللّغويون وعاد إليها اللّسانيون حديثا تعريف الاسم العلم بمقارنته باسم الجنس، وقد اصطلحوا عليهما بعلَم الشّخص وعَلَم الجنس، وصنّفوا الأعلام إلى عَلَم عيْن وعَلَم معنى. ولم تغب عنهم قضية التّسمية، فخاضوا في العلاقة التي تجمع حدث التّسمية بالمسمِّي والمسمَّى (الكتاب 1 : 38- نتائج الفكر في النحو للسهيلي : 38). ووضعوا كذلك سلّما للأسماء المعارف ورتّبوها، حسب النّظام لا الإنجاز، من أعرف المعارف، وهو اسم العلم، إلى أضعفها وهو الألف واللام الذي يحتلّ أسفل المراتب.

وأبرزوا ضمن ما درسوه حول الاسم العلم الفروق بين العَلَم والضمائر وخاصة ضمير المخاطب (الكتاب ج1 : 141، ج2 : 93–94). وهي مسائل عاد إليها الباحثون المعاصرون في سياق دراستهم لعناصر الخطاب وروابط النص (محمد الشاوش 2001. ج2 : القسم الرابع، الفصل الثالث – نرجس باديس 2009 : الفصل السابع).

إنّ ظاهرة تحويل الاسم العلم ومعجمته مازالت تحتاج في العربية إلى مجهود كبير، وإلى كثير من الخيال والمجاز، سواء أكان ذلك في المجال الأدبي أم في المجال اللساني، من أجل تطويع الأسماء الأعلام في اللغة والاستعمال، وتوليد وحدات معجميّة ومفاهيم ومصطلحات جديدة منها عن طريق قواعد التّوليد المعجميّة في اللّغة العربيّة الصّوتيّة والصّرفيّة والدّلاليّة، وأيضا بالعودة إلي كتب الأمثال والنّظر في ما تحتوي عليه من وحدات عباريّة تمثّل الأسماء الأعلام أهمّ عناصرها الدّلاليّة.

لقد أثار هذا البحث في ذهننا أسئلة عديدة من بينها :

1 – لماذا ليست لنا في لغتنا أمثلة كثيرة للأعلام المُمَعجمة المتحوّلة نهائيا إلى وحدات معجمية تصبح بدورها أصلا للتّوليد المعجميّ، ولماذا ليس لنا في الاستعمال اللغوي نشاط تحويل الأعلام تحويلا ظرفيّا حسب السّياق إلاّ في ما ندر من الأمثلة ؟

2 – لقد ازدهر التّأليف القاموسيّ العربيّ الخاص بأسماء الأعلام (وفيات وتراجم)، ولكنْ لِمَ لمْ يؤلَّف قاموس خاص بالأعلام المتحوّلة تحويلا معجميّا أو استدلاليّا كما هو الشّأن في الغرب ؟

3 – لِماذا لمْ تهتمّ الدّراسات المعجميّة العربيّة المعاصرة بالأسمائيّة – عدا بعض البحوث – ولم تشارك الباحثين الغربيين حيرتهم العلميّة حول قضايا اسم العلم المحوّل، فتكشف بعضا من أسرار هذه المقولة

اللغوية، خاصة وأنّ اللّغويين العرب القدامى قد انتبهوا إلى أهمّية الموضوع، وجاءت أطروحاتهم سابقة لزمانهم نظرا لما اتّسمت به من عمق الملاحظات ودقة الاستنتاجات وتفطّن إلى قدرة هذه المقولة اللّغويّة على الدّلالة والتّوليد المعجمي (ابن جنّي 1955 ج 3 : 238- 239. السّهيلي. الغزالي).

إنها أسئلة نرجو أنْ تكون مواضيع بحوث قادمة حول الاسم العلم نواكب بها ما يؤلّف في الغرب في مجال علم الأسمائيّة.

المراجع

I – المدوّنة

- خريف (بشير) (2000) : *برق الليل*. دار الجنوب للنشر، تونس 240ص.
- درويش (محمود) (2001) : *جدارية محمود درويش*. ط2. رياض الرّيس للكتب. بيروت. 103ص.
- صالح (الطّيب) (1994) : *موسم الهجرة إلى الشمال*. دار الجنوب للنشر. تونس. 156ص.
- محفوظ (نجيب) (د.ت) الشّحاذ. دار مصر للطباعة، القاهرة.
- منيف (عبد الرحمان)(1993) : *شرق المتوسط*. دار الجنوب للنشر. 220ص.

II – المراجع باللغة العربية

- ابن أحمد الخليل (ت 175هـ) : *كتاب العين*. (1985). تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السّامرائي. دار ومكتبة الهلال. 8 أجزاء.
- ابن جنّي أبو الفتح عثمان (ت 392هـ) : *الخصائص*. (1955) تحقيق محمد علي النّجار. ط2 بيروت. 3 أجزاء.

(1983) : *المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة*. دار الكتاب العربي. بيروت. ط 2.

- ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن (ت 311هـ) : *كتاب اشتقاق الأسماء*. تحقيق عبد السّلام هارون. دار سحنون للنّشر والتّوزيع. تونس 1990.
- ابن مراد إبراهيم (1994) : افتتاحيّة مجلة المعجميّة، ص5-8. العددان 10/9 لسنتي 1993-1994، مجلة المعجميّة تصدر عن جمعية المعجمية

العربية بتونس. طبع الشركة التونسية لفنون الرسم. سبتمبر 1996، 406 ص.

- (1997) : *مقدمة لنظرية المعجم*. دار الغرب الإسلامي، بيروت. 225ص.

_(2004) : *المفهمة في المعجم*. مجلّة المعجميّة العددان 18-19(2002_2003)

- ابن منظور جلال الدين (ت711هـ) : *لسان العرب*. (1988). دار إحياء التراث العربي. بيروت ط1. 20 جزء.

- ابن يعيش موفّق الدين (ت 643هـ) : *شرح المفصل*. 10 أجزاء(الجزء الأوّل). دار صادر. إدارة الطباعة المنيريّة. (د.ت).

- الأستراباذي رضيّ الدين (ت686هـ) : *شرح الكافية*. (1998) تقديم إميل بديع يعقوب. دار الكتب العلمية بيروت. 5 أجزاء.

- أبو حليمة جمانة أحمد (2002) : *مزيّة الاسم ومزيّة اللقب والكنية*. المجلة الثقافية. الأردن. عمان. تموز 2002 ، عدد56. ص183-186.

- أنيس إبراهيم (1963) : *دلالة الألفاظ*. مكتبة الأنجلو المصرية.

- باديس نرجس (2009) : *المشيرات المقامية في اللغة العربية*. مركز النشر الجامعي. تونس. 461ص.

- البكوش الطيّب (2000) : *ترجمة أسماء الله الحسنى*. أعمال ندوة" الترجمة : النّظريّة والتّطبيق".تونس28-30 سبتمبر 2000.نشر دار المعلّمين العليا بتونس. ص 429_438.

- التّهانوي محمّد علي الفاروقي(ت1158) : *كشّاف اصطلاحات الفنون*.3 مجلّدات. كلكتة 1862.ط3.

- الجابر محمد (1987) : *المؤتلف والمختلف من أسماء المواضع بين الإسكندري والحازمي*. مجلّة مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة. الجزء 60.مايو1987. ص113_ 127

- الجرجاني عبد القاهر (ت471هـ) : *دلائل الإعجاز في علم المعاني*. (1978). صحّحه الشيخ محمد رشيد رضا. دار المعرفة. بيروت. 428 ص.

- خطّابي محمد (1991) : *لسانيات النّص، مدخل إلى انسجام النّص*. ط1. المركز الثّقافي العربي، بيروت. 416ص.
- الدّولابي بن بشر محمد بن أحمد بن حماد (1322هـ) : *كتاب الكنى والأسماء*. ط1. مطبعة مجلس دائرة المعارف النّظامية، الهند.حيدر أباد. ص2-6.
- السائح دحماني زكية (2009) : *معْجَمَة الاسم العلم*. ندوة *"المعجم العربي الحديث وتحدّيات عصر العولمة"*. كلية عين الشقّ. الدّار البيضاء. 21-26 مارس 2008. *"دراسات وأبحاث معجميّة، تراثيّة وأدبية"*، أفريل 2009.
- (2012) : *النّص القاموسي بين القاموس العام والقاموس الأسمائي : دراسة مقارنة*. ندوة الملتقى العلمي الدولي الثامن للقاموسيّة. الجزائر 2012.
- السهيلي(ت581) : *نتائج الفكر في النحو*. (1978)، تحقيق إبراهيم البنّاء. منشورات جامعة قاريونس.
- سيبويه (ت180هـ) : *الكتاب*. (1988) تحقيق وشرح عبد السّلام هارون. ط3. مكتبة الخانجي القاهرة. 5 أجزاء.
- السيوطي جلال الدّين(ت911) : *المزهر في علوم اللغة وأنواعها*. مجلدان. تحقيق محمد أحمد جاد المولى ومحمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. دار الجيل بيروت/ دار الفكر للطباعة
- الشّاوس محمد (2001) : *أصول تحليل الخطاب في النظرية النّحوية العربّية*. جزءان. منشورات كليّة الآداب منوبة. جامعة منّوبة، تونس. 1358 ص.
- الطّرابلسي محمد الهادي (1996) : *خصائص الأسلوب في الشّوقيات*. طبع المجلس الأعلى للثقافة. 589 ص.
- (2001) : *توظيف الاسم العلم في النّص الشعري*. حوليات الجامعة التونسية عدد2001/45. أعمال مهداة إلى الأستاذ محمد اليعلاوي. ص25-51.
- عاشور المنصف (1999) : *ظاهرة الاسم في التّفكير النحوي*. بحث في *مقولة الاسمية بين التمام والنقصان*. منشورات كلية الآداب منوبة. تونس. 763 ص.

- شرح الاسم : *دراسة ظاهرة الرّبط والعائد من خلال نصّ معاذة العنبريّة للجاحظ*. مجلّة الحياة الثّقافيّة 1990.
- عبد الخالق أحمد محمد (1999) : المعجم العربي لألفاظ الشخصية. بحوث الندوة الدولية للمعاجم اللغوية والمختصّة. 14-17 مارس 1999. المجلة المصرية للدّراسات النّفسية عدد20. المجلّد8. سبتمبر 1999. ص51-69.
- غاليم محمد (1987) : *التّوليد الدّلالي في البلاغة والمعجم*. دار توبقال للنشر. ط1. 196ص.
- الغزالي أبو حامد ت 505هـ : المقصد *الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى*. (1971) تحقيق وتقديم د. فضلة شحادة. دار المشرق. لبنان. 207ص.
- قسومة الصادق : *النّزعة الذّهنية في رواية الشحّاذ لنجيب محفوظ*. دار الجنوب للنشر. تونس 1992. 163ص.
- المبرّد أبو العباس محمد بن يزيد (ت 285 هـ) : *المقتضب*. تحقيق عبد الخالق عضيمة. (1963) عالم الكتب بيروت. 4 مجلدات.
- محفوظ نجيب (دت) : *الشّحاذ*. ط. دار مصر للطباعة، القاهرة.
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة : *المعجم الوسيط* (1985). مطابع الدّار الهندسيّة. القاهرة. جزءان.
- المناعي مبروك - (1997) : *الحرب في شعر عنترة العبسي*.حوليات الجامعة التونسية : عدد 26.
- ميلاد خالد (2001) : *الإنشاء في العربيّة بين التّركيب والدّلالة. دراسة نحوية تداوليّة*. منشورات كلية الآداب بمنوبة والمؤسسة العربية للتوزيع. تونس. 664ص.
- الهذيلي عبد الرزاق (2001) : *الاسم العلم في التّراث النحوي*. شهادة الدراسات المعمّقة. كلية الآداب منوبة تونس. (عمل مرقون). 104ص.

- الهيشري الشاذلي (2003) : *الضمير، بنيته ودوره في الجملة*. جامعة منوبة. منشورات كلية الآداب. سلسلة اللسانيات. المجلد17. تونس 2003. 561ص.

III - المراجع باللغة الفرنسية :

- Achard-bayle Guy (1996) : *La Désignation des personnages de fiction*. In Poétique. Sep 1996. N°107. Seuil.Paris. P 333-353.
- (2001) *Grammaire des métamorphoses, référence, identité, changement, fiction*. Champs linguistiques. Ed. Duculot.Paris. 1ère éd. 2001. 300p.
- Alba –reina Maria José et Maria Luisa Mora-millan (1995) : *Nom propre et proverbe*. Actes du Colloque de Brest 21-24 Avril 1994 sur : nom propre et nomination. Klincksieck.Paris. P267-275.
- Algirdas. Julien(1985) : Des lieux et des hommes. 1ère édition. Puf.Paris. 181p.
- Angel Pascal (1985) : *Identité et référence*. La théorie des noms propres chez Frege et Kripke. Presse de l'école normale supérieure. Paris. 196p.
- Anscombre Jean-Claude (2002) : *Dénomination, sens et référence dans une théorie des stéréotypes nominaux*. In Cahiers de praxématique. N°36. P43-72.
- Arrive Michel (1973) : *La sémantique littéraire*. In Bernard Pottier (dir). P271-287.Paris.
- Aussant Emilie (2009) : *Le nom propre en Inde. Considérations sur le mécanisme référentiel*. ENS éditions. 163p.
- Bartes Roland (1970) : -S/Z. édition du Seuil.Paris. 255p
- (1972) Le degré zéro de l'écriture. Éditions du Seuil.Paris. 180p.
- Baudelle Yves (1989) : *Sémantique de l'onomastique romanesque*. Thèse pour le doctorat.2tomes. Université de la Sorbonne nouvelle (Paris III). 990p.

- (1994) *Contribution à une sémantique des noms propres : le cas de l'onomastique romanesque.* Actes du colloque de Brest : Nom propre et nomination. Klincksieck .Paris. 1995. p169-180.
- Ben mansour Seyfeddine (2000) : *La définition du nom propre selon Ibn Ya'īš (1158-1245).* Lexique 15 : les noms propres ; natures et déterminations. Numéro coordonné et présenté par Daniele Levan de velde et Nelly Flaux. Pus. p11-19.
- Benveniste Emile : (1974) : *Problèmes de linguistique générale.* TII. Gallimard.Paris. 286p.
- Berni – Canani. Michèle : *Les noms propres dans la fiction littéraire : problèmes de traduction.* Actes du colloque de Brest. 21-24 Avril 1994. Klincksieck.Paris.
- Billy Pierre- Henry (1995) : *Pour une redéfinition du nom propre.* Actes du colloque de Brest 21-24 Avril 1994 : nom propre et nomination. Klincksieck .Paris. p137-144
- Billy Pierre- Henry et Chaurand Jacques (1998) : *Onomastique et histoire onomastique littéraire.* Actes du VIII colloque de la société francaise d'onomastique. 26-29 Avril. Aix-en-Provence. 1994. éd Pul.
- Bonnet Clairelise et Tamine Joël (1982) *: Les noms construits par les enfants : description d'un corpus.*In Langages n°66. Juin 1982. numéro spécial sur le nom propre, par Jean Molino . Larousse.Paris. p67-101.
- Bosredon Bernard et GUERIN Olivia (2005) : *Le cluny, le Champollion : d'un emploi non prototypique du nom propre.* In Langue française n°146 Juin 2005. Numéro spécial sur : les noms propres : la modification. Confié et présenté par Sarah Leroy. Ed . Larousse.Paris. P9-22.
- Boudon Pierre (2006) : *L'articulation des noms propres.* Actes du colloque de Cerisy-la- salle, sur : Antoine Culioli : un homme dans le langage. Juin 2005. Ophrys 2006. P70-86.

- Boukhelouf. Sabiha (2002) : *Déchiffrage onomastique et double culture. Les anthroponymes dans Nedjma de Kateb Yacine.*In Le français moderne, n°70, 1, 2002. P71-78.

- Breal Michel (1973) *: Essai de sémantique. Science des significations.* ch XVIII : Le nom, propre. Ed Slatkine Reprints. Genève 1976. P177-183.

- Bromberger Christina (1982) : *Pour une analyse anthropologique des noms de personnes.*In Langages 66. Juin 1982. Larousse.Paris. P103-124.

- Buchi Eva, Aud wirth (2005) *: De la description définie au nom propre de personne : sur un apport possible de l'anthroponymie historique à la théorie du nom propre modifié.*InLangue française n°146 Juin 2005. Larousse.Paris.p23-38.

- Buyssens Eric (1973) *: Les noms singuliers.* In Cahiers de Ferdinand de Saussure. N°28-1973. P25-34.

- Cassirer Ernest (1973) : *Langage et mythe, à propos des noms de dieux*, les éditions de Minuit. Paris 208p.

- Charaudou Patrick (1996) : *Grammaire du sens et de l'expression.* Hachette éducation.Paris. P17-666.

- Christin Anne-Marie (1998) *: L'écriture du nom propre*, L'Harmattan. 320p.

- Corblin Francis (1983) : *-Les désignateurs dans les romans* .In Poétique n°54 Avril 1983. Seuil.Paris. P199-211.

(1987) : *-Indéfini, défini et démonstratif.* Constructions linguistique de la référence. Librairie Droz. s.a. Genève.

- Curat Hervé (1999) : *Les déterminants dans la référence nominale et dans les conditions de leur absence.*Chap14 : Le nom propre.P255_272. Librairie Droz. Genève. Paris, 1999.

- Dauzat Albert (1926) : *Les noms de lieux, origine et évolution.* 2ème éd. Alcan 1926. 264p.

- De mulder Walter (2000) : Nom propre et essence psychologique, vers une analyse cognitive des noms propres.In Lexique 15. 2000. Pus. P47-62.

- De Saussure Ferdinand (1976) : *Cours de linguistique générale.* Paris. Payot 331p.

- Dubois Jean (1965) : *Grammaire structurale du français : nom et prénom.*In Langue et langage. Larousse. P41-78.

- (2002) : *Dictionnaire de linguistique.* Larousse. Paris. 2002

Engel. Pascal (1985) : *Identité et référence.* La théorie des noms propres chez Frege et Kripke. Presses de l'Ecole Normale Supérieure. Paris. 196p.

- Fabre Paul (1987) : *-Théorie du nom et recherche onomastique.*In Cahiers de praxématique. n°8 p9-25.

- (1998*) Les noms de personnes en France.* Que Sais-je. Puf.Paris. 127p.

- Flaux Nelley (1991) *: L'antonomase du nom propre ou la mémoire du référent.*In Langue Française. Décembre 1991. N°92 : Syntaxe et sémantique des noms propres. p26-45. Larousse.Paris.

- (1995) : *La catégorisation du nom propre.* In Nom propre et nomination. Actes du colloque de Brest 21 – 24 avril 1994 Klincksieck. Paris 1995. P63-73

- (2000) : *Nouvelles remarques sur l'antonomase.*In Lexique 15, Pus 2000. P117-144

- (2000) : *Le nom propre et le partitif.*In Lexique 15. Pus. P93-115.

- Flaux Nelley et Walter De mulder (1997) *: Indéfinis et référence.*In Langue française. Décembre 1997. Larousse.Paris. p3-7.

- Fontant. Magali (1998) : S*ur le traitement lexicographique d'un procédé linguistique : l'antonomase du nom propre.*In Cahiers de lexicologie. N°73. 1998. Didier érudition. p5-41.

- Forsgren Mats (1995) : *Nom propre, référence, prédication, et fonction grammaticale.* Actes du colloque de Brest 21-24 Avril 1994 : Nom propre et nomination. Klincksieck. Paris 1995. P95-105.

- Fraenkel. Béatrice (1995) : *Faire avec son nom propre : le cas de la signature.* Colloque de Brest 21-24 Avril 1994 : Nom propre et nomination. Klincksieck.Paris. 1995. P355-359.

- Frege. G (1971) : *Ecrits logiques et philosophiques.* Paris. Seuil.1971.

- Galley Micheline (1991) : sémantique linguistique : un exemple, la théorie de R. Montagne. Puf.Paris. P84-102

- (2003) : *Note sur l'onomastique des narrations populaires au Maghreb. Le cas de la geste hilaliènne.*In Mélanges. D. Cohen. Maisonneuve et Larose. 2003. P236-255.

- Gary- Prieur. Marie Noëlle (1989) : *Quand le référent d'un nom propre se multiplie.* In Modèles linguistiques XI, 2, 1989. P119-133.

- (1990) : *A propos du fonctionnement sémantique des noms propres et des noms abstraits.* In linguistique nouvelle. La déixis. Puf 1990. p135-146.

- (1990) *: Du Bach, du Colette : neutralisation.*In Le français moderne. N°3 octobre 1990 p174-189.

- (1991) : *Le nom propre constitue-t-il une catégorie linguistique ?*In Langue française, Décembre 1991. N°92 : syntaxe et sémantique des noms propres. Larousse. P4-25.

- (1991) : *La modalisation du nom propre.*In Langue françaisen°92.

- (1994) : *Grammaire du nom propre.*In Collection linguistique nouvelle Puf.Paris. 1ère édition 1994. 252p.

- (1995) : Les Simenon, Frédéric Dard et autres Japrisot *: l'effet du pluriel sur l'interprétation exemplaire d'un nom propre.* Actes du colloque de Brest du 21-24 Avril 1994. Klincksieck 1995. P247-258.
- (1996) : *Figurations de l'individu à travers différentes constructions du nom propre français.*In Cahiers de praxématique n°27. P135-146.
- (2000) : *Le nom propre et le pluriel.*In Lexique 15. PUS 2000. P63-77.
- (2001) : *L'individu pluriel : Les noms propres et le monde.* SNRS éditions. 2001. 171p.
- (2005) : *Où il est montré que le nom propre n'est (presque) jamais modifié.* In Langue française n°146. Juin 2005. Larousse. P53-63.
- GeoffroyYounous et Nefissa (1991) : *Le livre des prénoms arabes.* Collection vivre l'islam en occident 1991. 247p.
- Gil Fernando (1971) : *La logique du nom.* L'herne. 1971. 252p.
- Gimaret Daniel (1988) : *Les noms divins en Islam.* Les éditions du cerf 1988, 448p.
- Guilbert Louis (1975) : *La créativité lexicale,* librairie Larousse. Paris.
- Granger Gilles (1982) : *A quoi servent les noms propres ?*In Langages n°66 1982. P21-36.
- Greimas Algirdas-Julien (1985) : *Des dieux et des hommes*. In La Collection formes sémiotiques. Puf. 1985, 233p
- Hafidi Mansour (2004) : *Noms propres et dictionnaire de Langue : la syrie dans le Ilf.* In Le français moderne. Vol 72, n°2, 2004. Ed. Cilf. P200-208.
- Herz Laurant (2004) *: Dictionnaire des animaux et des civilisations.* L'Harmattan.

- Issac Luc (1995) : *Nom propre et publicité.* In Actes du colloque de Brest. 21-24 Avril 1994. Klincksieck .Paris. 1995. P161-168.
- Issacharoff Michael et Madrid Lelia (1995) *: De la pensée au langage*. éd. José Corti. 228P.
- Jakobson. R (1963) : *Essais de linguistique générale.*ChapIX. P 176_19.(256P.) .Ed Minuit. Paris.
- Jespersen Otto1924) : *La philosophie de la grammaire.* P75-83(Les noms propres).Traduit de l'anglais par Anne Marie Léonard 1971 . Ed. de Minuit.Paris.
- Jimenez Pedro Pardo (1995) *: Les nouvelles de Marcel Aymé : de la répétition anthroponymique à la connotation.* Actes du colloque de Brest 21-24 avril 1994. Klincksick.Paris. 1995 p259-266.
- Jonasson Kerstin (1991) : *Les noms propres métaphoriques : construction et interprétation.*In Langue française. Décembre 1991 n°92. éd Larousse. Paris . P64-81.
- (1992) : *La référence du nom propre relève-t-elle de la deixis.* In noms et re-noms : la dénomination des personnes, des populations, des langues et des territoires. Sous la direction de Salih Akin. Publication de l'université de Rouen. CNRS. P457-470.
- (1994) : *Le nom propre. Constructions et interprétation.* Champs linguistiques. Duculot 1994. 256p.
- (2005) : *La modification du nom propre dans une perspective contrastive.*In Langue française n°146. Juin 2005. P67-83.
- Kerbrat-Orecchioni Catherine (1997) : *La connotation.* Pul. 1977. 256p.
- Kleiber Georges (1981) : *Problèmes de référence. Descriptions définies et noms propres*. Klincksieck. Paris. 1981. 534p

- (1985) : *Sur la sémantique et pragmatique des syntagmes nominaux. Le projet Delors et la camarade Catherine.* In L'information grammaticale 1985 n°27. P3-9.
- (1991) : *Du nom propre non modifié au nom propre modifié : Le cas de la détermination des noms propres par l'adjectif démonstratif.*In Langue française n°92-1991 : syntaxe et sémantique des noms propres. Larousse p82-103
- (1994) : *Sur la définition des noms propres : une dizaine d'années après.* In(Nom propre et nomination). Actes du colloque de Brest 21-24 Avril 1994. Klincksieck .paris 1995. P11-36.
- (1994) : *Nominales. Essais de sémantique référentielle.* Armand Colin. 247p.
- (1999) : *Problèmes de sémantique : la polysémie en question.* Presses universitaire de septentrion (Pus). 1999. 223p
- (2001) : *Remarques sur la dénomination.* In Cahiers de praxématique n°36. 2001 : Linguistique de la dénomination. P21-41.
- (2003) : *Adjectif démonstratif et point de vue.*In Cahiers de praxématique n°41-2003. P33-54.
- (2005) : *Les noms propres « modifiés » par même.*In Langue française n°146 juin 2005. Larousse. P114-126.
- (2007) : *Sur le rôle cognitif des noms propres.*In Cahiers de lexicologie n°91. 2007.2 éd Garnier. P153-167.
- Korolak Stanislaw (1995) : *Les noms propres sont-ils des noms individuels ? Un aperçu des approches logiques.* Actes du colloque de Brest 21-24 Avril 1994. Klincksieck . Paris 1995. P37-54.
- Kripke. Saul (1980) : *La logique des noms propres.* Les éditions de Minuit, traduit de l'Américain par P. Jacob et F. Recanati. 173P.

- Lardet Pierre (1998) : *L'onomastique « facétieuse » de Jules César.*In Lexique 14. Pus. 1998. P167-186

- Laurent Bénédicte (2007) : *Noms de marque, noms de produit : analyse d'une exemplarité de la créativité lexicale.* In Neologica n. 1.2007.Ed. Garnier.Paris.P125-143.

- Lebel. Paul 1962 : *Les noms de personnes en France.* Que-sais-je ? N°235 Puf.Paris. 1962. 126p.

- Lebihan. Guy (2006) : *Le nom propre : identification, appropriation, valorisation.*In Cahiers de sociolinguistique n°11. 2006. P9-26.

- Lecolle M, Paveau M.N, Reboul-Toure S (2009) *: Le nom propre en discours.* Presses Sorbonne Nouvelle. (Les Carnets du Cediscor 11). 203p.

- Leroy Sarah (2004) : *Le nom propre en français.* Ophrys collection l'essentiel français. 2001.137p

- (2005) : *Noms propres « modifiés », nom propre standard.*In Langue française n°146 juin 2005. Larousse P3-8

- (2005) : *L'emploi exemplaire, un premier pas vers la métaphorisation.*In Langue française n°146. Juin 2005. Larousse. P84-98.

- Lesay Jean Damien (2004) : *Les personnages devenus mots.* Ed. Berlin. 2004. 350p.

- Levi-Strauss. Claude (1962) : *La pensée sauvage.* Pocket Plon. 349p.

- Linsky. Leonard (1967) *: Le problème de la référence.* Éditions du Seuil. 1967. 186p. Traduit de l'anglais par S.S-Gillet, P. Devaux, P. Gochet.

- Lyons. J (1970) : *Linguistique générale : Introduction à la linguistique théorique.* Larousse. Paris.

- Maillet. Jean (2005) : *Dico des noms propres devenus noms communs,* éd.Albin Michel. Paris.

- Martin Robert (1983) : *La notion d'univers de croyance dans la définition du nom propre.*In Linx, n°9. 1983. P7-28.
- (1983) : *Pour une logique du sens.* Puf.Paris. 1983. 319p.
- (1987 : *Langage et croyance. Les « univers de croyance » dans la théorie sémantique. Collection* philosophie et langage. Pierre Mardaga éditeur 1987. 189p.
- Mehiri Abdelkader : *Les théories grammaticales d'Ibn Jinni.* Publications de l'université de Tunis 1973. 459 p.
- Mill John Stuart (1988) *: Système de logique déductive et inductive.* T1. Bruxelles. Pierre Mardaga éditeur. 1943. 574p.
- Milner.C (1998*) : Introduction à une science du langage.* Ed du Seuil. Paris.
- Molino Jean (1971) : *La connotation.* In la linguistique vol. 7, fas1 Puf. 1971. P5-30
- (1982) : *Le nom propre dans la Langue.* Langages. Juin 1982 n°66. P5-20.
- Monneret Philippe (2003) : *Le sens du signifiant.* Implications linguistiques et cognitives de la motivation. Honore Champion Paris 2003. 113p.
- Mortureux. M.F (1997) : *La lexicologie entre Langue et discours.* S.E.D.E.S. 191p.
- Nicole Eugène (1983) : *L'onomastique littéraire.*In Poétique 54. Avril 1983. Seuil p233-253.
- Noailly Le Bihan Michèle (1983) : *Sur le statut spécifique des noms propres de personnes en Français.* In Travaux de linguistique et de littérature. XXI, 1, 1983 p247-259.
- (1995) : *Un nom propre, deux morphologies : pourquoi dire ?* Actes du colloque de Brest 21-24 Avril 1994. Klincksieck. Paris 1995. P75-83.
- (1999) : *La querelle des noms propres.*In Modèles linguistiques2-0-1. P107-112.

- (2000) : *« Ce même Bajaret » : nom propre et principe d'identité.*In Lexique 15. Pus 2000. P21-34.
- (2005) : *« Etre Chateaubriand ou rien ».* In Langue Française n°146. Juin 2005. Larousse. P39-53.
- Pariente J.C (1982) : *Le nom propre et la prédication dans les langues naturelles.*In Langages 66. juin 1982. P37-65.
- Petiot Genivière (1992) : *Dénomination et stratégies discursives. In noms et ré-noms.* Publication. CNRS. Rouen p479-487.
- Petit Gerard (2001) : *Pour une conception lexicologique de la dénomination.*In Cahiers praxématique 36, 2001. P93-115.
- Portine Henri (1998) : *La visée référentielle.* In travaux linguistique de CERLIO. P13-31.
- Quine W. V (1975) : *La philosophie de la logique.* Ed Aubier Montaigne. Paris p. 158, traduit de l'Américain par Jean LARGEAUT.
- Recanati François (1983) : *La sémantique des noms propres.* Remarques sur la notion de désignateur rigide.In Langue française n°57. P106-118.
- Reig Daniel (2003) *: L'onomastique arabe. Une vision originale de l'analyse sémantique.* In Mélanges D. Cohen. Maisonneuve et Larose. P547-561.
- Rey Alain -(1977) *le lexique : images et modèles.* Du dictionnaire à la lexicologie. Armand colin. Paris.
- (1979) : *La terminologie : noms et notions. Que-sais-je ?* Puf .Paris. 1979. 1ère édition. 127p
- (2001) : *Le Petit Robert des noms propres.* Nouvelles éditions. Presses de Maury imprimeur. (Préface. pXI-XX. 2002).
- Rey- Debove Josette (1986) : *Le métalangage. Etude linguistique du discours sur le langage.* Collection l'ordre des mots. 2ème tirage. 318p.

- (1995) : *Nom propre, lexique et dictionnaire de Langue.* Actes du colloque de Brest 21-24 Avril 1994. Klincksirck.PARIS. P107-122.

- (1998) : *La linguistique du signe : une approche sémiotique du signe* .Armand Colin. Paris 303p.

- (1971) : Etude linguistique et sémiotique des dictionnaires français contemporains. Mouton 1971.

- Rivara René (1987) : *Les noms propres, logique et pragmatique.*In Sigma 11. Publication du CELA. Aix-en-Provence. P81-127.

- Roig-Miranda Marie (1993) : *L'antonomase vue de France et d'Espagne.*In Verbum, n° 1-2-3/1993- Rhétorique et sciences du langage.

- Rostaing Charles (1985) : *Le nom de lieux. Que-sais-je ?* 10ème éd.Puf.Paris. 128p

- Rousseau André (1998) : *Référence et sens.* In Travaux linguistiques du Cerlico. Pur (Rennes). P33-51.

- Schnedecker Catherine (1995) : *La distribution du nom propre et son rôle dans la structuration des chaines de références.* In Actes du colloque de Brest 21-24 Avril 1994. Klincksieck. P311-329.

- (1997) : *Nom propre et chaines de référence.* Collection recherches linguistiques. Klincksieck Paris 1997. 231p.

- Searle John R (1996) *: Les Actes de langage. Essai de philosophie du langage.* Hermann éditeurs des sciences des arts. 260p.

- (1979) *: Sens et expression.* Etude de théorie des actes de langage. Ed.de Minuit. p167-189.

- Siblot Paul (1995) : *Noms et images de marque : de la construction du sens dans les noms propres.* Actes du colloque de Brest 21-24 Avril 1994. Klincksieck.Paris . P147-160.

- (2001) : *De la dénomination à la nomination : les dynamiques de la signifiance nominale et le propre du nom.*In Cahiers de praxématique 36, 2001. P189-214
- Sublet Jacqueline (1991) : *Le voile du nom propre.* Essai sur le nom propre Arabe. Puf écriture 1991. 208p.
- Sumpf. Joseph (1984) : *Noms et re-noms propres.*In Langages n°76 la dénomination. Décembre 1984. P113-130.
- Tamer Jana (2004) : *Dictionnaire étymologique* : les sources étonnantes des noms du monde arabe. Maisonneuve et Larose. Paris. Prologue et introduction. 407p.
- Thomasseau Jean-Marie (1983) : *Ganet et l'anthroponymie maghrébine. Les noms féminins dans les Paravents.* Poétique 54 Avril 1983. Seuil.Paris. p213-232.
- Tournier Jean (1993) : *Précis de lexicologie anglaise.* Nathan. 3ème édition. 208p.
  Ullman. S (1969) : *Précis de sémantique française.* Berne Francke. 352p.
- Vaxelaire Jean Louis (2005) : *Les noms propres. Une analyse lexicologique et historique.* Honoré Champion. Paris. 952p.
- Walter Henriette (1995) : *Nom propre et nom commun : un statut provisoire.* Actes du colloque de Brest 21-24 Avril. 1994. Klincksieck .Paris. p236-244
- Wiederspiel Brigitte (1992) : *Le nom propre : un troisième type de référence ?* In Nom et re-noms. P471-478
- (1992) : *Le rôle du signifiant dans les appellatifs de peuples, de langues et de territoires chez les francophones d'Amérique du Nord. In Noms et re-noms.* Sous la direction de Salih Akin. Université de Rouen CNRS. P126-150
- Wilmet Marc (1986) : *La détermination nominale.* Puf.Paris. Collection linguistique nouvelle. 196p.

- (1988) *Arbitraire du signe et nom propre.* In Mélanges offerts à Bernard Pottier. 2v, (Vol 2.) P833-842. Klincksieck Paris
- (1991) : *Nom propre et ambiguïté.*In Langue française n°92 : syntaxe et sémantique des noms propres. P113-124.
- Ziaian Shodja (1992) : *la Langue comme lieu de combat occulte : le conflit Persano-Arabe,*In (Noms et re-noms). CNRS. P189-207.

الفهارس العامة

1- فهرس أسماء الأعلام العربية والأجنبية

1-1- الأعلام باللغة العربية

1-1-1- أسماء الأشخاص

أ

ج

ح

خ

د

ر

ع

غ

ف

ق

1-1-2- أسماء الأماكن.

ج

خ

د

ر

س

ص

ط

غ

1-2- الأعلام باللغة الفرنسية

1-2-1- أسماء الأشخاص

Les noms de personnes

A

B

C

D

E

F

G

H

J

K

L

M

N

P

Q

R

S

T

U

V

Les noms de lieux **2-2 أسماء الأماكن**

2- ثبت لأهمّ المصطلحات والمفاهيم العربية والمعرّبة

ف

3 – ثبت الأسماء الأعلام المُمَعجمة

3-1 بالعربية

ء

آدم : إنسان، بشر. نسبة إلى آدم أبي البشر.

الإسكندريّة : مدينة في مصر نسبة إلى الاسكندر المقدوني.

أشعب : طمّاع. من يجلس إلى الموائد دون استئذان.

أمْرَكَ، تَأَمْرَكَ، أَمْرَكَةً : صيّره أمريكيّا

ب

أَبْصَرَ : دخل البصرة.

تَبَغْدَدَ يَتَبَغْدَدُ : انتسب إلى بغداد.

بَلْشَفَ (معرّب) : صيّره بلشفيّا.

بويهيون : نسبة إلى أسرة فارسيّة شيعيّة.

ت

تونَس يُتَوْنِس تَوْنَسَة : صيّره تونسيّا. أمّم القطاع من قطاع خاصّ إلى قطاع تونسيّ عامّ.

ج

تَجَاحَظَ في كلامه : تشبّه بالجاحظ.

جحا : ذكيّ، أبله. نسبة إلى شخصيّة فكاهيّة.

ح

حاتميّ : صفة الكريم المضياف.

حُنَيْن : علم يضرب مثلا للفاشل الخائب فيقال "رجع بخفّي حنيْن".

خ

الأخفش : ضعيف النّظر، ومنه لقب يطلق على جماعة من كبار علماء العربيّة ونحوييها.

خوارزميّات : نسبة إلى عالم الرّياضيات عبد اللّه الخوارزمي (780 هـ – 850 هـ). يعني المصطلح مجموعة من القواعد الرّياضية المسترسلة.

ر

الرّباط : اسم عامّ يدلّ على مكان المرابطة عموما. وأصبح يطلق على عاصمة المملكة المغربيّة.

الرقيّات (قيس) : نسبة إلى مجموعة من النّسوة اللاّتي شبّب الشاعر بهنّ يحملن كلّهنّ اسم رقية.

ز

الزّيتونة : اسم عامّ لنوع من الأشجار، متحوّل إلى اسم علم أطلق على مسجد وجامعة عربيّة إسلاميّة بتونس.

الزّيديّة : طائفة من الشّيعة تقول بإمامة زيد بن علي بن الحسين ، انتشرت في اليمن وماتزال سائدة فيها.

س

السّاميّة : عائلة لغويّة تنتسب شعوبها إلى سام بن نوح.

سَحْبان : صفة الفصيح وهي نسبة إلى سحبان بن وائل، اشتهر بفصاحته وبلاغته.

ش

الشّنفرى : سوء الخلق. عَلَم متحوّل عن اسم عامّ.

ط

طُفَيليّ : طمّاع، من يذهب إلى الولائم من غير أن يدعى إليها ، نسبة إلى طفيل وهو رجل غطفانيّ كوفيّ.

طائيّ : كريم حسن الضّيافة. نسبة إلى حاتم الطّائي.

ع

عثمانيون : هم أمراء أتراك عرفوا باسم مؤسّس سلالتهم عثمان الأوّل.

تَعَنْتَر يَتَعنْتَر : تشجّع.

العنْتر : الشّجاع، شديد الأذى.

عَنْتَرَه بالرّمح : طعنه.

العَنْترة : الشجاعة في الحرب، السلوك في الشدائد.

ف

فاطميون : سلاطين تونس ومصر انتسبوا إلى فاطمة بنت النبيّ.

فَرْعَن : يُفَرْعِن فرعنة تجبّر، تكبّر.

ك

كَوَّف يُكَوِّف تكْويفا، تكوّف يتكَوَّفُ تَكَوُّفا : أتى الكوفة وحلّ بها.

م

ماركسيّ، ماركسية : نسبة إلى نظريّة كارل ماركس الاقتصاديّة.

المهديّة : مدينة تونسيّة منسوبة إلى مؤسّسها عبد اللّه المهدي.

ن

ناصريّ : نسبة إلى المذهب الناصري.

النّاصريّة : مذهب قومي عربي أسّسه جمال عبد الناصر.

تَنَصَّر : انتمى إلى الحزب الناصري.

3-2 بالفرنسية

A

adonis : (أدونيس) الشاب الوسيم، تحوّل الاسم العلم إلى اسم عام سنة 1565، وهو في الأصل اسم إله في الميثيولوجيا الفينيقيّة.

alzheimer : (الزّهريّ) اسم مرض نسبة إلى دكتور الأعصاب الألماني ألزهيمر مكتشف مرض ضعف الذّاكرة عند المسنّن.

B

Barème : (باريم) ضبط للموازنات. نسبة إلى واضعه الرّياضي برّام " barrême " استعمل في الفرنسية كوحدة عامّة سنة 1803.

bechamel : (بشاميل) مرق أبيض من إنتاج المركيز لويس دي بيشمال. دخل الاسم إلى اللغة الفرنسية سنة 1735.

bovarysme : (بوفاريزم) الهروب من واقع رديئ إلى خيال وهمي خرافي. مفهوم مُمَعجم عن الاسم العلم بوفاري " bovary " من رواية الكاتب الفرنسي فلوبير G.Flaubert

bordeaux : (بوردو) اسم خمرة منسوبة إلى مدينة بوردو الفرنسيّة مكان إنتاجها.

bougainvillié : (بوغنفيلي) اسم نبتة تستعمل للزينة ذات أزهار مختلفة الألوان، حوّلت عن اسم مكتشفها الكونت دي بوغنفيل سنة 1809.

boycotter : (بويْكتي) قاطع وعارض وعطّل العمل. هو فعل مقترض عن الإنجليزية " to boycott " نسبة إلى شارل بويكت الذي احتجّ ضدّه الفلاّحون لتعنّته وظلمه. وعن اسمه تولّدت مجموعة من المشتقات

سنة 1881 منها boycott, boycottage,
.boycotteur,

C

calepin : (كالبن) الكنّش الصّغير نسبة إلى واضعه الإيطالي كالبينو، دخل المصطلح الممعجم اللغة الفرنسية سنة 1534.

cartésien : (كرتزيان) صفة ممعجمة عن اسم العلم ديكارت، بمعنى الفكر العقلاني المنهجي. ظهر المصطلح في الفرنسية سنة 1665.

champagne : (شمبانيا) اسم خمرة شهيرة عالميّا تنسب إلى المدينة الفرنسية شمبانيا. تولّد عن الاسم العلم المتحوّل إلى اسم عام حقل اشتقاقي منه الفعل شمبانيزي "champaniser" بمعنى اعتنى بالخمرة، و"champanisation" وهو. اسم ظهر الفعل الممعجم سنة 1839.

chauvinisme : (شوفنزم) المغالاة في الوطنيّة، نوع من التّطرّف، نسبة إلى الاسم العلم "chauvin" دخل المصطلح إلى الفرنسيّة سنة 1803.

D

Discussions bysantines : (ديسكِسيون بيزنطين) مناقشات بيزنطيّة، بمعنى مناقشات جوفاءلا طائل من ورائها.

don Juan : (دون جيون) فاسق، زنديق، زير نساء. أصبح من مكونات المعجم الفرنسي في 1822، له مشتقات اسمية منها "donjuanisme, donjuanerie" وفعلية "donjuaniser" ووصفية" donjuanesque, donjuanique " ودون جيون شخصية مسرحية إسبانية عرفت بتحررها من كل القيود.

Donquichotte : (دون كيشوت) تدلّ على من يبحث عن المثاليّة ويتّسم بالجود ويدافع عن (قيم لا يمكن تحقيقها، وهي معان مستوحاة من الشّخصيّة الخياليّة "دون كيشوت". استعمل العلَم بدلالته الرّمزيّة في اللّغة الفرنسيّة سنة 1631.

F

frigidaire, réfrigérateur : (فريجدير، رفرجرتور) ثلاجة، تحوّل المصطلح عن اسم علم.

G

gargantua : (غرغنتيا) أكول، نهم، شره. وهو في الأصل اسم الشخصيّة الرئيسية لرواية الكاتب الفرنسي "رابلي".F.Rabelais

gaulisme, être gauliste : (غوليزم) الغوليّة، انتماء سياسي لحزب الرئيس الفرنسي اليميني شارل دي غول.

H

harpagon : (أربغون) بخيل. أصله اسم علم لشخصية مسرحية البخيل للكوميدي الفرنسي موليير.

L

louis : لويز : نوع من النقود الذهبيّة نسبة إلى الامبراطور الفرنسي لويس الثالث عشر. ضرب اللّويس في 1640 وأصبح المصطلح دالا على قطعة نقديّة.

M

Mécène : (ميسين) مشجّع الكتّاب والفنّانين، من اسم العلم Maecenas. دخل العلَم المحوّل إلى الفرنسيّة سنة 1526.

P

parkinson : (بركنسن) اسم مرض اكتشفه الدكتور باركينسون

فسمّي باسمه، يعرف بالشلل الرّعاشي أو مرض الباركنسون.

pasteurisation : (بسترزسيون) بمعنى تعقيم. طريقة اكتشفها الدكتور الفرنسي لويس باستور للمحافظة على المواد المعقّمة. استعمل الفعل pasteuriser لأوّل مرّة في الفرنسيّة في 1872. وتولّدت عنه مجموعة من المشتّقات منها pasteurisé و pasteurisation.

poubelle : (بوبال) الحاوية. اسم عام مُعجم عن الاسم العلم "بوبال" رئيس بلديّة باريس واضع حاويات المدينة. استعمل المصطلح في الفرنسيّة نسبة إليه سنة 1890.

S

sadisme : (سادزم) السّاديّة. اسم عامّ متحوّل عن الاسم العلم Sade. تدلّ المفردة على معنى التّلذّذ بإلحاق الألم والأذى بالآخرين.استعملت سنة 1834. مشتّقات الاسم المحوّل كثيرة مثل sadiquement, sadiste, sadien, sadique.

sandwich : (سندويتش) لفظ اقترضته الفرنسيّة عن الانغليزية سنة 1802 ويعني الشطيرة، نسبة إلى واضعها الكونت دي سندويتش.

sémite : (سيميت) السّاميّة وساميّ.عائلة لغوية منها العربية والعبرية ، نسبة إلى سام بن نوح.

shakespeairien : (شكسبيري) بمعنى شكسبيريّ نسبة إلى شكسبير المسرحي الانغليزي.

sicilien : (سيسيليان) نوع من الجبنة المنسوبة إلى سيسيليا مكان إنتاجها.

Sosie

(سوزي) بمعنى شبيه، مِثْل، والكلمة في الأصل اسم شخصيّة ميثيولوجيّة. ظهر استعمالها في المعجم الفرنسي سنة 1715.

T

tartufe,tartuffe, tartuferie :

(ترتوف) نسبة إلى شخصية ترتوف للمسرحي موليير. ويعني العَلَم بتحوّله إلى اسم عام النفاق. استعمل بهذا المعنى في الفرنسية سنة 1669.

V

volcan :

(فولكان) بركان : جبل تتصاعد من فوهته النيران. استعمل بهذا المعنى في الفرنسية سنة 1356، وأصبح له سنة 1575 المعنى الذي له حاليّا أصله شخصيّة أسطوريّة. تولّدت عن الاسم المُمعجم مشتقات بمعان مختلفة : volcanique, volcansation volcanologie, volcalisme, vulcanologue vulcain, أو volcanologue .vulcanale, vulcanisation

فهرس المواد

المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية
Imprimerie Officielle de la République Tunisienne
since 1860 منذ

فعل أداة ظرف معجم إسم صفة

زكيّة السّائح دحماني



من قدماء المعهد الثّانوي المختلط بالكاف. متخرّجة من كليّة الآداب بتونس ومن جامعة السربون (باريس III). متحصّلة على الإجازة سنة 1978، وعلى شهادة التعمّق في البحث من جامعة السربون (باريس III) سنة 1979، وعلى الإجازة في اللّسانيات العامّة والتّطبيقيّة سنة 1981 من المعهد العالي للّسانيات بباريس وعلى دكتورا المرحلة الثالثة بنفس الجامعة (باريس III) سنة 1987، وعلى شهادة التّأهيل الجامعي من كليّة الآداب والفنون والإنسانيات جامعة منوبة، اختصاص "اللّسانيات المعجميّة" سنة 2010. أستاذة محاضرة بكليّة الآداب والفنون والإنسانيات جامعة منوبة.

- مديرة قسم العربية بالمعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس من 1999 إلى 2002.
- كاتبة عامّة لجمعيّة المعجميّة العربيّة بتونس للدّورتين 7/6 وأمينة مال الجمعيّة للدّورتين 11/10.
- عضو وحدة البحث "مفردات العربيّة بين المعجم والقاموس".
- عضو المشروع التونسي الفرنسي المشترك CMCU بين جامعة منوبة بتونس وجامعة ليون 2 لوميار بفرنسا.
- كتبت عديد المقالات حول الدّراسات المعجميّة والقاموسيّة منشورة في مجلّا[...] و"حوليات الجامعة التّونسية"، ومنشورات مركزي البحث (ELISA) و(L.T.T) بـ[...] ومركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية بالجزائر والمجلس الأعلى [...] وجامعة اليرموك بالأردن.

ردمك : 4-34-085-9973-978